تفسير الإمام الغزالي

٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م



دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية
(مبدع)
فاس - المغرب

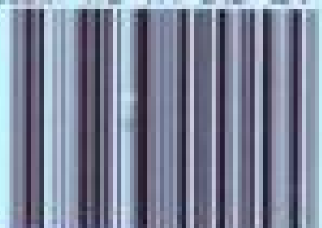
الكِتَابُ في سُطُورٍ

تكمن أهمية هذا البحث في جمع التراث بصفة عامة، وتراث التفسير بصفة خاصة، ليصبح بعد عملية الجمع والتوثيق مادة علمية صالحة للدراسة والتحليل والاستنتاج؛ خصوصًا أن ما تم جمعه لحد الآن من تراث التفسير ليس سوى قليل من كثير. ومن ثم ما زالت فهوم كثيرة لكتاب الله تعالى غائبة عن الساحة العلمية الحديثة، وما زالت أماكنها شاغرة في المكتبات الإسلامية.

فكان هذا البحث لجمع تفسير علَم من أعلام العرب والإسلام - وهو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الذي اهتم به الباحثون من عدة جوانب؛ اهتموا به فقيهًا وأصوليًا وفيلسوفًا ومتصوفًا، لكن لم يسبق لأحدهم - حسب علمي - أن اهتم بأبي حامد الغزالي مفسِّرًا، أضف إلى ذلك أن بعض العلماء أجمعوا على وجود تفسير واحد للإمام الغزالي .. ولا يعلم عن هذا التفسير شيئًا، وأرجو أن يقرب هذا التفسير المجموع من تفسير الإمام الغزالي المفقود.

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية
(مبدع)
الهاتف: [illegible] ، الناسوخ: [illegible]
البريد: ص.ب ٦٠١٢ الأدارسة فاس - المغرب
البريد الإلكتروني: mobdii@gmail.com

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٠٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٠٢٢٧٤١٥٧٨ - ٠٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٠٢٥٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٠٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢)
الإسكندرية - هاتف: ٠٣٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٠٣٥٩٣٢٢٠٤ (٠٠٢)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

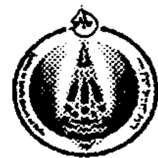


تفسير الإمام الغزالي رحمه الله

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م)

جمع وتوثيق وتقديم

محمد الريحاني



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية
(مبدع)
فاس - المغرب
Foundation For Scientific Research and Studies

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية
(مبدع)
فاس - المغرب
Foundation For Scientific Research and Studies

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بطاقة فهرسة : فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، ١٠٥٨ - ١١١١ . تفسير الإمام الغزالي / جمع وتوثيق وتقديم محمد الريحاني .
- ط ١. - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ؛ فاس ، المغرب : مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ، (مبدع) ٢٠١٠ .
٤٠٠ ص ؛ ٢٤ سم . تدمك ٤ ٩٢٩ ٣٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - القرآن - تفسير . أ - الريحاني ، محمد (جامع وموثق ومقدم).
ب - العنوان . ٢٢٧

نشر مشترك

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

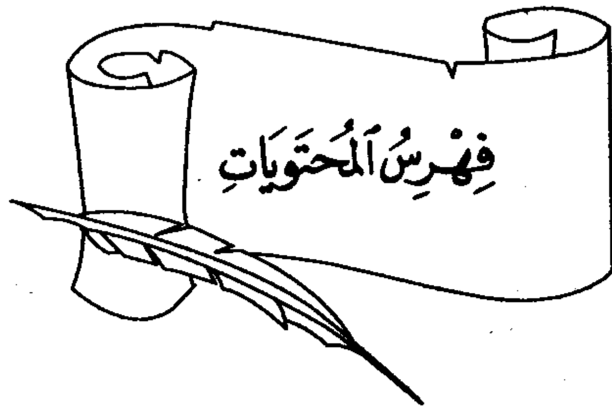
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - جمهورية مصر العربية
الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
(٢٠٢ +) ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٢٧٠٤٢٨٠
(٢٠٢ +) ٢٢٧٤١٧٥٠
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الأزاريطة قسم باب شرق بجانب جمعية الشبان المسلمين هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية
(مبدع)
فاس - المغرب
Foundation For Scientific Research and Studies

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)
الهاتف : 535962884 (212)
الناسوخ : 535962920 (212)
البريد : ص.ب 6012 الأدارسة فاس المغرب
البريد الإلكتروني : mobdii@gmail. com

بسم الله الرحمن الرحيم

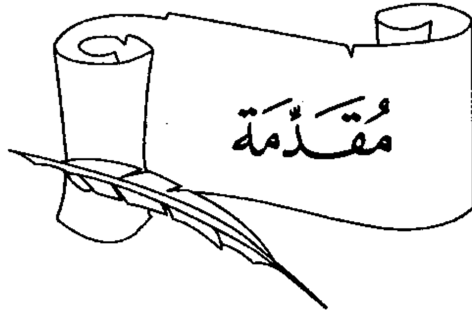


* * *

إهداء

إلى أبوي اللذين سهرا على تربيتي في
الصغر وتعليمي في الكبر، إلى أستاذي
وشيخي الدكتور الشاهد البوشيخي
حفظه الله ﷻ، إلى رفيقة العمر في
طريق الله ﷻ، إلى من ندبوا أنفسهم لخدمة
كتاب الله تعالى حفظًا وفقهًا وعملًا.
أهدي هذا الكتاب

محمد الريحاني



مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وحفظه - سبحانه - من التحريف والتبديل والعبث البشري الذي لحق بالكتب السماوية السابقة، وهيأ له أوعية الحفظ من كَتَبَة الوحي وحَفَظَته في كل حين ومن كل جيل « كتابًا وقرآنًا » مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فكان معجزًا في بيانه، معجزًا في إتقانه، أذهل البلغاء وأعجز قرائح الأدباء والشعراء ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ [الجن: ١، ٢].

والصلاة والسلام على رسول الله، الرسول الأمي المبعوث رحمة للعالمين، الذي صار بالقرآن الكريم سيد الحكماء؛ حيث أمر ﷺ بتبيينه وإيضاحه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤].

أما بعد ؛ فمما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية تعيش في هذا العصر ظروفًا حالكة وأيامًا عصيبة على جميع مستويات عيشها، ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة كثيرًا إذا قلنا: إن الأمة تعيش مرحلة « القصعة » بكل أبعادها ؛ وهي مرحلة الوهن الحضاري.

ومن رحمة الله - تعالى - بهذه الأمة أنها لم تصب في مقاتلها، فهي قابلة للشفاء والرجوع للشهود الحضاري مرة ثانية؛ لأن الله تعالى الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر - سبحانه - على بعث الحياة من جديد في هذه الأمة، فمرضها قابل للشفاء إن شاء الله تعالى، ولا يعني بحال من الأحوال الموت الميؤوس منه صاحبه.

ولتحقيق هذا النهوض مرة أخرى والرجوع إلى الشهود الحضاري على الناس، لا بد من العمل المستمر والدؤوب على جميع المستويات، وخصوصًا ما يتعلق بتصحيح وتقوية علمها بالشريعة وبالحياة الذي تتحقق به مقاصد الإسلام في بناء المجتمع الصالح النافع.

أما العلم بالحياة فأهميته واضحة، ويقصد به علم نافع تصلح به الحياة وترتقي. وأما العلم بالشريعة فلا يعني حفظ نصوصها وتقديمها فقط، بل لا بد من الاجتهاد في فقه أسرارها واستنباط الأحكام الكفيلة بتوجيه واقع الناس في الاتجاه الصحيح.

فقد أدرك المسلمون - بالمقارنة بين حياة الجاهلية وحياة الإسلام - أن للتشريعات الإسلامية آثارًا بعيدة وقوية في تغيير واقع الناس وأوضاعهم؛ ولذلك عكف علماء الإسلام على كتاب اللَّه تعالى، إيمانًا منهم أن الرفعة لا تكون إلا بالإقبال على القرآن الكريم تلاوةً وفقهًا وعملًا، مصداقًا لقوله ﷺ: **« إن اللَّه يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين »** (١).

لذلك فمن أوجب الواجبات الإقبال على التراث الإسلامي، الذي نشأ حول كتاب اللَّه تعالى بالمطالعة والتحقيق والتكشيف والجمع.. إلخ؛ لأجل اكتشاف كنوز التراث وتوظيفها، ثم الوقوف على الثغرات لملئها، والأخطاء لتصويبها. ومن هنا تتبين قيمة جمع التراث بصفة عامة، وما يتعلق بالقرآن الكريم بصفة خاصة.

١ - موضوع البحث:

إن البحث في تفسير كتاب اللَّه تعالى من أجلِّ العلوم قدرًا، وأشرفها منزلة؛ لأن « أحق ما صُرفت إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية ما كان للَّه في العلم به رضًا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدًى، وأنَّ أجمع ذلك لباغيه كتابُ اللَّه الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه » (٢).

ولذلك فعلم التفسير أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه؛ لأن موضوعه كتاب اللَّه تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية، وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأن كل كمال ديني ودنيوي لا بد وأن يكون موافقًا للشرع، وموافقته تتوقف على العلم بكتاب اللَّه تعالى الذي هو « الرأس والعمود وذروة السنام في العلوم الإسلامية كلها؛ منه جاءت، وبسببه كانت، وعليه دارت، وإياه خدمت فلا فقه لكليات الدين وجزئياته إلا بعد التفقه فيه، ولا فقه لأصول الفقه وفروعه إلا بعد التضلع منه وفيه، وإنما فَقِهَ من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، عن عمر بن الخطاب ﷺ.
(٢) تفسير الطبري (٣/١).

فَقِهَ في دين اللّٰه ﷺ فعلم وعلَّم، وقضى وأفتى واجتهد في النوازل الكبرى والصغرى بسبب امتلائه من علم القرآن وبيان القرآن » [١].

وعلى هدي ما ذُكر وجدتني أميل إلى ارتياد مجال التفسير، ولاقتناعي أن من الأدب الاستماع إلى ما قاله السابقون قبل أن نقول شيئًا، حتى لا تضيع الجهود في شيء قد أبدعوا فيه وأحسنوا وفرغوا منه؛ لأن « الوعي الصحيح بالماضي شرط في فهم الحاضر، وبناء المستقبل، ولن يُستطاع إبداع فكري جاد، ولا إقلاع حضاري متميز، إلا بعد الاستيعاب التام لما كان، وتحليله وتعليله، ثم من بعد ذلك يأتي التركيب لما ينبغي أن يكون انطلاقًا مما كان، والمقطوع الأبتر من بُتر من الذات بانقطاعه أو قطعه على التراث » [٢] ارتأيت بتوجيه من أستاذي المشرف الدكتور الشاهد البوشيخي - حفظه اللّٰه تعالى - أن أقوم بجمع ما أثر من تفسير لأحد مشاهير العلماء، وهو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ) ومن هنا يأتي هذا البحث الذي أقدمه بعنوان: « تفسير الإمام الغزالي، جمع وتوثيق وتقديم ».

٢ - دوافع البحث:

وهي تنقسم في عمومها إلى ثلاثة أقسام: دوافع عامة، ودوافع ذاتية، وأخرى موضوعية.

أ - الدوافع العامة:

أهمية جمع تراث التفسير: إن تراث علماء هذه الأمة غني بمختلف العلوم والنظريات، ولو جُمع وفُتِح واستُخِدم استخدامًا صالحًا لأغنانا عن جل ما هو دخيل في ثقافتنا وحضارتنا؛ لأن اللّٰه تعالى هدى علماء هذه الأمة إلى كثير مما يعود به النفع العظيم والعام للعالمين أجمع، وذلك لصلتهم القوية باللّٰه تعالى وقلوبهم الصافية وبصيرتهم النافذة.. إلخ.

لذلك فأهميته جمع التراث بصفة عامة، وتراث التفسير بصفة خاصة واضحة، ليصبح بعد عملية الجمع والتوثيق مادة علمية صالحة للدراسة والتحليل والاستنتاج، خصوصًا وأن ما تم جمعه إلى الآن من تراث التفسير، ليس سوى قليل من كثير، فما زال علماء مشاهير لم يجمع تفسيرهم، ومن ثم ما زالت فُهومٌ كثيرة لكتاب اللّٰه تعالى غائبة عن الساحة

---

(١) من تقديم الدكتور الشاهد البوشيخي لكتاب « تفسير الإمام مالك » للأستاذ حميد لحمر، المنشور خطأ بعنوان: « الإمام مالك مفسرًا ».

(٢) نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين للدكتور الشاهد البوشيخي (ص ٥).

العلمية الحديثة، وما زالت أماكنها شاغرة في المكتبات التفسيرية.

ب - الدوافع الذاتية:

وتتمثل في حبي للعلوم الإسلامية عامة، وكتاب الله وما نشأ حوله من علوم بصفة خاصة منذ الصغر - ولله الحمد - غير أنها ازدادت توثقًا بمتابعة دراستي الجامعية بكلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية.

بالإضافة إلى اقتناعي بضرورة جمع التراث وتحقيقه بصفة عامة، وما يتعلق بالتفسير بصفة خاصة، وذلك لتيسير الاطلاع عليه ودراسته والاستفادة منه، وقد زاد هذا الاقتناع على يد أستاذي الدكتور الشاهد البوشيخي الذي وجهني في بحث شهادة الإجازة إلى تحقيق مخطوط بعنوان « الجيش الكمين لقتال من كفَّر عامة المسلمين » لمحمد شقرون المغراوي (ت ٩٢٩هـ)، وفي بحث شهادة استكمال الدروس إلى الاشتغال بجمع « تفسير أبي حامد الغزالي من خلال كتابه إحياء علوم الدين »، وكان مناسبة مباركة للاطلاع على قيمة هذا التراث، والاقتناع بضرورة جمعه.

ج - الدوافع الموضوعية:

وهي في عمومها تتعلق بشخصية حجة الإسلام أبي حامد الغزالي وما أسهم به في مجال التفسير.

مما لا شك فيه أن أبا حامد الغزالي عَلَمٌ من أعلام العرب والإسلام، وعلمٌ من أعلام الفقه والتصوف، وعلمٌ من أعلام الفكر الإنساني بشتى نواحيه ومراميه، ويمكن القول ولا حرج: إن الإمام الغزالي أمة وحده في علمه ومعرفته.

لقد خلّف من ورائه كتبًا كثيرة يرتفع بها المحُصون أحيانًا إلى الأربعمائة - رغم أنه لم يعش إلا خمسة وخمسين عامًا -، وهذه الكتب تنوعت في موضوعاتها بين الفقه والفلسفة والتصوف... وغيرها، وبذلك يكاد يقع إجماع بين المسلمين على أن مجدد القرن الخامس الهجري هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وللإمام جلال الدين السيوطي أرجوزة عن المجددين في الإسلام حتى عصره سماها: « تحفة المهتدين بأخبار المجددين »: وفيها يقول:

فكان عند المائة الأولى عمر   خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعي كان عند الثانيه   لما له من العلوم الساريه
وابن سريج ثالث الأئمه   والأشعري عده من أمه

والباقلاني رابع، أو سهل، أو الأسفراييني، خلف قد حكوا
والخامس الحبر هو الغزالي وعده ما فيه من جدال [(١)]

وبالإضافة إلى هذا كله، فإن الباحثين اهتموا بالإمام الغزالي من عدة جوانب، اهتموا به فقيهًا وأصوليًا، وفيلسوفًا ومتصوفًا، لكن لم يسبق لأحد منهم - حسب علمي - أن اهتم بأبي حامد الغزالي مفسرًا.

٣ - الخطوات الأولية في البحث:

إن أول خطوة لي في هذا البحث ابتدأت كما تقدم في سنة استكمال الدروس؛ حيث تناولتُ تفسير أبي حامد الغزالي من خلال كتابه: « الإحياء » بحكم أن حجة الإسلام يعرف بإحيائه، وأن أغلب نصوص التفسير توجد فيه [(٢)].

وحين اقتنعت بجمع تفسير الإمام الغزالي من كتبه التي ثبتت صحة نسبتها إليه، بما في ذلك المخطوطات، عمدتُ أولًا إلى استخراج نصوص التفسير من كتبه المطبوعة فتجمع لدي الشيء الكثير.

بعد ذلك حاولت الاطلاع على المخطوطات التي تنسب إلى الإمام الغزالي، وقد واجهتني صعوبات عدة؛ من بينها:

١ - صعوبة الاطلاع عليها في الخزانات المغربية، وبالخصوص خزانة القرويين بفاس.

٢ - صعوبة التسليم بصحة نسبة تلك المخطوطات إلى الإمام الغزالي بل تيقنت بأن العديد منها منسوب إلى الإمام الغزالي كذبًا واستغلالًا لشهرة الإمام وذيوع اسمه [(٣)].

---

(١) « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » للسيد محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (١/٣٦) و « الغزالي » للدكتور أحمد الشرباصي (٩٥).

(٢) ن: مبحث مصادر جمع تفسير الإمام الغزالي (ص ٢١).

(٣) من ذلك كتاب الأوفاق الموجود بخزانة القرويين تحت رقم (٤٠/٨٥٩) وهو مملوء بالخرافات والسحر والطلاسم والجداول.. إلخ، قال عنه د. عبد الرحمن بدوي: « ومن هذا يتبين ما في هذا الكتاب من تلفيق غث، وأن نسبته إلى الغزالي هي من وضع طابعه ومصححه، لا في النسخة الخطية القديمة المزعومة » مؤلفات الغزالي (٤٥٣).

وكتاب: « مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب » الذي أورده د. عبد الرحمن بدوي ضمن قسم الكتب المنحولة؛ لأنه يعتمد في نقوله على مؤلفين بعد الإمام الغزالي؛ كالإمام القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ) وغيره، وذلك عند كلامه عن الأمانة وشرحه للآية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ن: مكاشفة القلوب (ص ٥٢) ومؤلفات الغزالي (٣٢٧).

وبعد استشارة أستاذي المشرف، اقتصرت على ما ورد من نصوص تفسيرية في كتب الإمام الغزالي المطبوعة الصحيحة النسبة إليه؛ لاقتناعي أن عدم الاطمئنان إلى النصوص يؤدي إلى الاضطراب في الدراسة، ولعلمي أن ما تجمع لدي من نصوص كافٍ أن يُظهر بجلاء الشخصية التفسيرية للإمام الغزالي.

وقد ظننت أن هذا الأمر سهل هين لا يعدو أن أمر مرًّا سريعًا على كتب الإمام الغزالي أجمع منها مادة التفسير، ثم أرتبها وأعيد كتابتها وفق ترتيب سور وآيات المصحف الكريم، ولكن ما أن شرعت في جمع هذه المادة حتى أدركت أن الأمر صعب من عدة وجوه:

١ - صعوبة التتبع الدقيق المتأني للنصوص التفسيرية كلها، وقد اضطررت إلى إعادة تتبع نصوص التفسير أكثر من مرة في كتب الغزالي، وخصوصًا منها: « الإحياء » و « المستصفى » وغيرهما.

٢ - صعوبة تمييز النص التفسيري من غيره في بعض الأحيان، مما اضطرني إلى استشارة أستاذي المشرف، وبعض الأساتذة الذين لم يبخلوا عليَّ بتوجيهاتهم في نصوص معينة.

٣ - ضعف إمكانات الطالب الباحث وخصوصًا الإمكانات المادية.

هذا وقد استغرق مني جمع مادة التفسير ما يقرب من سنتين، تجمع فيها لدي الشيء الكثير من آثار الإمام الغزالي وآرائه التفسيرية. وبعد دراستها وتصنيفها عرضتها حسب الخطة التالية:

٤ - خطة إنجاز البحث:

ارتأيت أن أقسم خطتي في هذا البحث إلى مقدمة وقسمين رئيسين تتخللهما فصول ومباحث فخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فقد خصصتها لما تخصص له المقدمات.

وأما القسم الأول قد خصصته للحديث عن الإمام الغزالي وتفسيره ومنهجه في هذا التفسير، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: **الإمام الغزالي وتفسيره.**

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة الإمام الغزالي.

المَبْحَثُ الثَّاني: توثيق تفسير الإمام الغزالي.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مصادر جمع تفسير الإمام الغزالي.

الفَصْلُ الثَّانيْ: **منهج الإمام الغزالي في التفسير.**

وقد اشتمل على مبحثين:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: منهجه في التفسير بالمأثور:

أ - بالقرآن الكريم.

ب - بالحديث النبوي الشريف.

ج - بأقوال الصحابة والتابعين.

المَبْحَثُ الثَّاني: منهجه في التفسير بالرأي:

أ - مفهوم التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي.

ب - اجتهاد الإمام الغزالي في التفسير:

١ - استنباط الأحكام الفقهية.

٢ - استنباط المعاني الإشارية.

٣ - استنباط المعاني الوعظية.

وختمت هذا القسم الأول بخاتمة تحدثت فيها عما يؤخذ على هذا التفسير المجموع، وكذا عن بعض النتائج المتوصل إليها.

ثم بعد ذلك يأتي القسم الثاني الذي أوردت فيه تفسير الإمام الغزالي المجموع مراعيًا ما يلي:

١ - أوردت الآيات القرآنية على رواية حفص مشكّلة، وقد أوردت بعضها بين معقوفتين [ ] تنبيهًا على أن الإمام الغزالي لم يوردها، وإنما أورد تفسيرها فقط.

٢ - خرجت الآيات القرآنية المستشهد بها داخل المتن ووضعته بين معقوفتين.

٣ - أوردت أرقام النصوص التفسيرية مرقمة ترقيمًا تتابعيًا في الهامش الأول.

وفي الهامش الثاني:

١ - خرجت الأحاديث النبوية المروية عن رسول الله ﷺ في مصادرها ما وجدت إلى ذلك سبيلًا.

٢ - عرفت الأعلام الواردة في المتن إلا مَن لم أجد له ترجمة أو لم أستطع تمييزه عن غيره أو من كان معروفًا.

٣ - شرحت الكثير من الألفاظ والمصطلحات مما يحتمل أن يشكل فهمه.

٤ - وثقت بعض الأقوال التي استشهد بها الإمام الغزالي في تفسيره.

٥ - أوردت بعض الإضافات التي توضح ما يحتمل أن يشكل فهمه في نصوص التفسير.

هذا وقد ألحقت بهذا البحث فهارس ضمت:

١ - فهرس التفسير.

٢ - فهرس الآيات المفسرة.

٣ - فهرس الآيات المستشهد بها داخل المتن.

٤ - فهرس القراءات.

٥ - فهرس الأحاديث.

٦ - فهرس الأعلام.

٧ - فهرس أسماء القبائل والشعوب والطوائف والجماعات ونحوها.

٨ - فهرس أسماء الأماكن والمواضع والبلدان.

٩ - فهرس القوافي.

١٠ - فهرس كتب الإمام الغزالي المذكورة في المتن.

١١ - فهرس غير كتب الإمام الغزالي المذكورة في المتن.

١٢ - فهرس المصادر والمراجع.

* * *

القِسْمُ الأوَّلُ

الإمام أبو حامد الغزالي ومنهجه في التفسير

- ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: الإمام أبو حامد الغزالي وتفسيره.

الفصل الثاني: منهج الإمام أبي حامد الغزالي في التفسير.



المَبْحَثُ الأَوَّلُ
حياة أبي حامد الغزالي

١ - اسمه ونسبه:

١ - هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي [١].

٢ - ولادته ونشأته: طوس - جرجان: (٤٥٠ - ٤٧٣هـ):

ولد الغزالي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٩م) بمدينة طوس [٢] من والد فقير صالح، كان يشتغل بغزل الصوف، ويحب مجالسة الفقهاء والمتصوفة ويشاركهم في حلقاتهم ويتأثر بأقوالهم، وكان يتضرع إلى اللّه أن يرزقه ولدًا صالحاً مثلهم، ويجعله فقيهًا واعظًا [٣].

لما احتضر والده أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفي صالح، فعلمهما الخط وأدبهما، وبعد أن فني ما خلف لهما أبوهما من رزق وتعذر عليهما تحصيل قوتهما، انتظما في سلك مدرسة، تُعلِّم الفقه لتلاميذها وتوفر لهم القوت، وكان الإمام الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير اللّه فأبى أن يكون إلا للّه [٤].

تلقى الإمام الغزالي في مبدأ أمره بطوس الفقه على شيخه أحمد الراذكاني ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان، فأقام عنده إلى أن أخذ عنه التعليقة في الفقه [٥].

---

(١) شذرات الذهب (٤/١٠).

(٢) طوس: عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى وقان، ن: معجم البلدان: مادة: طابراه (٤/٣).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٤/١٠٢).

(٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (١/٢٦٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٥).

٣ - ملازمته إمام الحرمين: بنيسابور (٤٧٣ - ٤٧٨هـ):

رحل بعد ذلك إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور (١) رغبة منه في زيادة تحصيله العلمي، فتخرج في مدة قصيرة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه (٢)، بحيث جلس للإقراء بعد أن برع في الفقه ومهر في الكلام والجدل، كما شرع في التصنيف في ذلك الوقت، وقد لازم الإمام الغزالي أستاذه إلى حين وفاته سنة (٤٧٨هـ).

٤ - إقامته عند نظام الملك: العسكر (٤٧٨ - ٤٨٤هـ):

خرج الإمام الغزالي بعد موت إمامه من نيسابور إلى العسكر (٣)، ولقي هناك نظام الملك، وكان مجلسه محط رحال العلماء ومقصد الأئمة الفصحاء، ونظرًا لعلو شأن الغزالي ناظر الفحول والكبار هناك بحضرة نظام الملك فظهر الغزالي عليهم وانبهر له الوزير، فأقبل عليه وحل منه محلًّا عظيمًا، فعظمت منزلته وولاه الملك التدريس في نظامية بغداد سنة (٤٨٤هـ) (٤).

٥ - التدريس في المدرسة النظامية: بغداد (٤٨٤هـ - ٤٨٨هـ):

بدأ الإمام الغزالي يدرِّس في نظامية بغداد، فأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته، ونفذت كلمته وعظمت حشمته، وضُرب به المثل، وشدت إليه الرحال، قال القاضي أبو بكر بن العربي: رأيته في بغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم (٥).

٦ - تزهده وانقطاعه عن التدريس: دمشق - مكة (٤٨٨ - ٤٩٠هـ):

بلغ الإمام الغزالي قمة المجد، وأتته الدنيا خاضعة ذليلة، أتته من جانبها المالي، ومن جانبها الذي يتصل بالشهرة وذيوع الاسم، ومن جانبها الذي يتصل بالجاه والنفوذ.

وفي سنة (٤٨٨هـ) شرفت نفس أبي حامد عن رذائل الدنيا فرفضها، وأقبل على العبادة والسياحة، وسلك طريق الزهد والانقطاع عن الناس (٦) تاركًا جميع ما كان عليه

---

(١) شذرات الذهب (٤/١١). (٢) شذرات الذهب.

(٣) عسكر نيسابور: المدينة المشهورة بخراسان، فيها محلة تسمى العسكر، والعسكر مجتمع الجيش؛ حيث يأتي لدخول مدينة يعسكر خارجها أحيانًا، أو بعد أن يفتحها يعسكر خارجها في ناحية من نواحيها، ومع مرور الزمن يصبح العسكر هذا لمدينة أو بلدة أو محلة تابعة لمدينة. ن: معجم البلدان، مادة: عسكر (٤/١٢٤).

(٤) شذرات الذهب (٤/١٢).

(٥) الوافي بالوفيات (١/٢٧٥)، وشذرات الذهب (٤/١٢).

(٦) شذرات الذهب (٤/١٢)، ووفيات الأعيان (٤/٢١٧).

في بغداد من شهرة وصيت ومركز، مظهرًا العزم على الخروج لمكة لأداء فريضة الحج، فتوجه إلى الشام واعتكف في زاوية بالمسجد الأموي، وظل في دمشق حتى (٤٩٠هـ)؛ حيث قصد الحج [١].

٧ - اشتغاله بالعبادة وإيثاره للعزلة: دمشق (٤٩٠ - ٤٩٨هـ):

لما رجع الغزالي من أداء فريضة الحج توجه إلى الشام، وأقام في مدينة دمشق يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وفي هذه الأثناء صنف كتبًا عديدة يقال: إن الإحياء منها [٢].

٨ - السياحة والاجتهاد في العبادة: بيت المقدس - مصر (٤٩٨ - ٥٠٠هـ):

توجه الإمام الغزالي من دمشق إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة وجاور في القدس [٣]، ثم قصد مصر وأقام مدة بالإسكندرية، ويقال إنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين لما بلغه عنه من محبة أهل العلم والإقبال عليهم، فبلغه نعيه وكان ذلك (٥٠٠هـ) فصرف عزمه عن تلك الناحية وعاد إلى وطنه بطوس [٤].

٩ - العودة إلى الوطن والاشتغال بالعبادة (٥٠٠هـ - ٥٠٥هـ):

عاد الإمام الغزالي إلى وطنه طوس، وصنف بها كتبًا نافعة، وأقبل على العبادة وملازمة التلاوة ونشر العلم وعدم مخالطة الناس [٥]، إلى أن انتقل إلى رحمة ربه في رابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران، وهي قصبة طوس [٦].

١٠ - شيوخه:

أول مشايخه في الفقه - كما تقدم - الإمام أبو حامد أحمد بن محمد الراذكاني بطوس، ثم أبو نصر الإسماعيلي بجرجان، ثم إمام الحرمين الجويني بنيسابور [٧].

وفي التصوف الإمام الزاهد أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي الطوسي ثم يوسف السجاج.

وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي، والحاكم أبو الفتح

---

(١) المنقذ من الضلال (٣٧٧).
(٢) شذرات الذهب (٤/١٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/٣٣٠، ٣٣١).
(٤) وفيات الأعيان (٤/٢١٨).
(٥) شذرات الذهب (٤/١٢).
(٦) وفيات الأعيان (٤/٢١٩).
(٧) الإتحاف (١/٩، ١٠).

نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي [١] وغيرهما.

١١ - تلامذته:

منهم القاضي أبو نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخمقري (ت ٥٥٤هـ)، وكذا الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان (ت ٥١٨هـ)، ومنهم كذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي، وغيرهم كثير [٢].

١٢ - آثاره العلمية:

عاش الإمام الغزالي خمسة وخمسين عامًا، ألف فيها عددًا ضخمًا من الكتب والرسائل، وقد بالغ البعض في عدد هذه المؤلفات حتى زاد به على أربعمائة كتاب [٣]، مما ألقى على الباحثين مؤونة شاقة؛ ألا وهي التمييز بين الصحيح منها والمنحول؛ ولذلك اقتصرت في هذا البحث على الآثار العلمية المقطوع بصحة نسبتها إلى الإمام الغزالي، وهي الكتب التي أوردتها ضمن المبحث الثالث من هذا الفصل المتعلق بمصادر جمع تفسير الإمام الغزالي [٤].

* * *

المَبْحَثُ الثَّاني
توثيق تفسير الإمام أبي حامد الغزالي

أجمع بعض العلماء على وجود تفسير واحد للإمام أبي حامد الغزالي، غير أنهم اختلفوا في عنوانه:

منهم من أثبته بعنوان « تفسير ياقوت التأويل » وهو أربعون مجلدًا؛ كعبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨هـ) في كتابه « نفحات الأنس » [٥].

ومنهم من أثبته بعنوان « ياقوت التأويل في تفسير التنزيل » وهو أربعون مجلدًا؛ كالعلامة

---

(١) الإتحاف (١/ ٢٦). (٢) الإتحاف (١/ ٦٠، ٦١).

(٣) مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (٥٥١ - ٥٦٧).

(٤) ن: (ص٢١).

(٥) مخطوط رقم (ح ٩٧٩٥)، ورقة ٢١٦ بـ ٢١٧ أ - بدار الكتب المصرية، ون: مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (٤٨٣).

عبد القادر العيدروسي (ت ١٠٣٨هـ) في كتابه: « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء »[(١)].

ومنهم من أثبته بعنوان: « تفسير القرآن العظيم » كالعلامة السيد مرتضى الزبيدي في كتابه: « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين »[(٢)].

ولا نعلم عن هذا التفسير شيئًا.

ولذلك فأهمية جمع ما أُثر عن الإمام الغزالي في التفسير واضحة؛ إذ سيقربنا إلى حدٍّ ما من تفسير الإمام الغزالي المفقود.

ولتحقيق هذا الغرض اعتمدت كتب الإمام أبي حامد الغزالي المطبوعة الصحيحة النسبة إليه مصادر لجمع تفسيره.

* * *

المَبْحَثُ الثَّالِثُ
مصادر جمع تفسير الإمام الغزالي

وهي المصادر التي جمعت منها المادة التفسيرية مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا، مع ذكر النصوص التي استقل بها كل مصدر عن الباقي.

١ - **الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) طبعة (١٩٨٦) دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

٢ - **إحياء علوم الدين**، الطبعة الثالثة (١٩٩١م) دار الفكر.

عدد نصوص التفسير: تسعة وتسعون وخمسمائة (٥٩٩).

٣ - **إلجام العوام عن علم الكلام**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية.

عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).

٤ - **الإملاء عن إشكالات الإحياء**، ملحق بالجزء الخامس من كتاب الإحياء، الطبعة

---

(١) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء: ملحق بكتاب الإحياء (٥/١١).

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١/٥٧).

الثالثة (١٩٩١م) دار الفكر.

عدد نصوص التفسير: أربعة (٤).

٥ - **أيها الولد**: حققها وعلق عليها وقدم لها بمبحث عن « آداب المتعلم والعالم » علي محيي الدين علي القرة داغي، طبعة دار الاعتصام (١٩٨٣م).

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

٦ - **بداية الهداية** مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) الطبعة الأولى (١٩٨٨م) دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: خمسة (٥).

٧ - **التبر المسبوك في نصيحة الملوك** دراسة وتحقيق: د. محمد أحمد دمج، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، المركز الإسلامي للبحوث بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنا عشر (١٢).

٨ - **جواهر القرآن ودرره. الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)** دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: ثمانية عشر (١٨).

٩ - **الحكمة في مخلوقات الله ﷻ**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: ثلاثة عشر (١٣).

١٠ - **خلاصة التصانيف في التصوف**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

١١ - **الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: تسعة عشر (١٩).

١٢ - **الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) دار الهداية مصر.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

١٣ - **الرسالة اللدنية** مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية.

عدد نصوص التفسير: أربعة (٤).

١٤ - **الرسالة الوعظية**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٤) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: واحد (١).

١٥ - **روضة الطالبين وعمدة السالكين**، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٢) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: خمسة وخمسون (٥٥).

١٦ - **سر العالمين وكشف ما في الدارين**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٦) الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).

١٧ - **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل**، تحقيق / د. محمد الكبيسي مطبعة الرشاد بغداد (١٣٩٠هـ / ١٩٧١م).

عدد نصوص التفسير: ثلاثة وأربعون (٤٣).

١٨ - **فضائح الباطنية أو كتاب المستظهري**، حققه وقدم له / د. عبد الرحمن بدوي طبعة (١٩٦٤م) الدار القومية.

عدد نصوص التفسير: اثنا عشر (١٢).

١٩ - **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي / رقم (٣) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

٢٠ - **القسطاس المستقيم**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: أربعة عشر (١٤).

٢١ - **قواعد العقائد في التوحيد**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: واحد (١).

٢٢ - **كتاب الأربعين في أصول الدين**، علق عليه محمد جابر، كتب المقدمة وترجم للمؤلف ونوه بالكتاب محمد مصطفى أبو العلا، طبعة (١٩٦٣م) مكتبة الجندي، القاهرة.

عدد نصوص التفسير: تسعة وعشرون (٢٩).

٢٣ - **كيمياء السعادة**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٥) الطبعة الأولى (١٩٨٨م) دار الكتب العلمية بيروت.

عدد نصوص التفسير: ثلاثة (٣).

٢٤ - **مدخل السلوك إلى منازل الملوك** تحقيق / محمد رياض المالح، الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) مطبعة العلم، دمشق.

عدد نصوص التفسير: تسعة (٩).

٢٥ - **المستصفى من علم الأصول** طبعة دار الفكر.

عدد نصوص التفسير: أربعة وسبعون ومائة (١٧٤).

٢٦ - **مشكاة الأنوار**، مطبوع ضمن رسائل الإمام الغزالي، رقم (٤) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).

٢٧ - **المضنون به على غير أهله**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٤) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: أربعة عشر (١٤).

٢٨ - **معارج القدس في مدارج معرفة النفس** منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة (١٩٨٠م).

عدد نصوص التفسير: ستة وعشرون (٢٦).

٢٩ - **المعارف العقلية** حققه وقدم له / عبد الكريم العثمان، الطبعة الأولى (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) دار الفكر، دمشق.

عدد نصوص التفسير: ستة عشر (١٦).

٣٠ - **معراج السالكين**، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (١) طبعة (١٩٨٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد نصوص التفسير: اثنا عشر (١٢).

٣١ - **معيار العلم في المنطق**، طبعة دار الأندلس (١٩٨٣م).

عدد نصوص التفسير: ثمانية (٨).

٣٢ - **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، طبعة (١٩٨٥م) مكتبة القرآن، القاهرة.

عدد نصوص التفسير: ثلاثة عشر (١٣).

٣٣ - **المنخول من تعليقات الأصول**، تحقيق: محمد هيتو (١٩٨٠م) دار الفكر دمشق.

عدد نصوص التفسير: ستة وأربعون (٤٦).

٣٤ - **محك النظر**، تحقيق وضبط وتعليق: د. رفيق العجم، الطبعة الأولى (١٩٨٤م) دار الفكر اللبناني، بيروت.

عدد نصوص التفسير: واحد (١).

٣٥ - **مقاصد الفلاسفة أو مقدمة تهافت الفلاسفة**، تحقيق: د. سليمان دنيا، طبعة (١٩٦١م) دار المعارف.

عدد نصوص التفسير: اثنان (٢).

٣٦ - **المنقذ من الضلال**، تحقيق: د. عبد الحليم محمود مع تقديم في قضية التصوف طبعة (١٩٨٨م) دار المعارف.

عدد نصوص التفسير: واحد (١).

٣٧ - **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، تحقيق: د. محمد حلاوي، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ / ١٩٨٣م) مؤسسة الرسالة.

عدد نصوص التفسير: واحد وخمسون (٥١).

٣٨ - **ميزان العمل**، حققه وقدم له: د. سليمان دنيا، سلسلة ذخائر العرب (٣٨) دار المعارف بمصر (١٩٦٥م).

عدد نصوص التفسير: ثمانية وثلاثون (٣٨).

٣٩ - **نصيحة من الإمام الغزالي**، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

عدد نصوص التفسير: ثلاثة (٣).

٤٠ - **الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي**، وقد تضمن أيضًا بيان مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة والمزني، والأقوال والأجوبة البعيدة لأصحاب الإمام الشافعي بالرمز إلى كلٍّ منها باصطلاح مخصوص، دار المعارف، بيروت (١٩٧٩م).

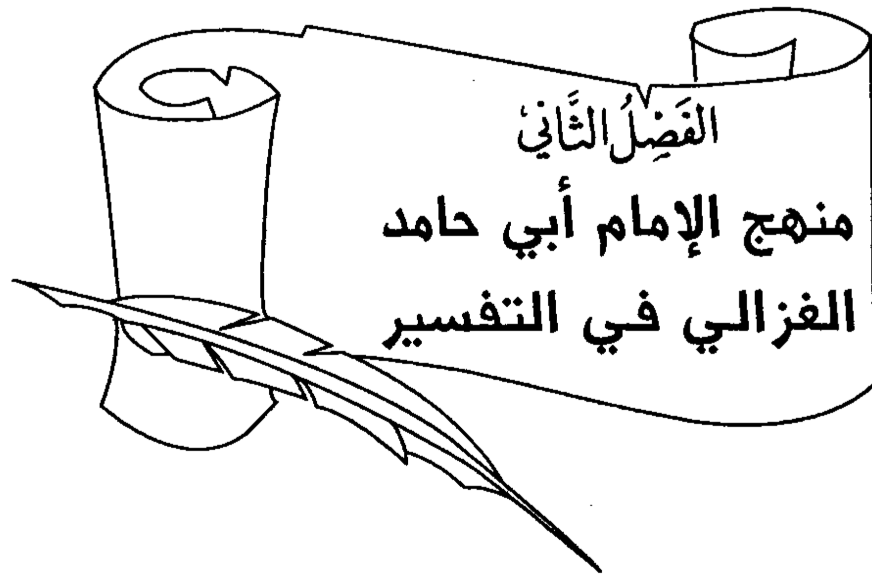
عدد نصوص التفسير: سبعة (٧).

٤١ - **الوسيط في المذهب**، دراسة وتحقيق وتعليق: علي محيي الدين علي القرة دراغي الطبعة الأولى دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر.

عدد نصوص التفسير: عشرة (١٠).

وعليه فالعدد المجمل لنصوص التفسير المجموعة غير المكررة هو: ثلاثة وثلاثمائة وألف (١٣٠٣).

* * *



الفَصْلُ الثَّانِي
منهج الإمام أبي حامد الغزالي في التفسير

تمهيد:

مما لا شك فيه أن منهج التفسير عند الإمام الغزالي من خلال جميع آثاره المطبوعة والمخطوطة يستدعي جهدًا خاصًّا وقويًّا، يكون الهدف منه اكتشاف مكونات ذلك المنهج، ولا أظن ذلك ممكنًا إلا بالعثور على تفسيره المفقود، أو بجمع جميع نصوص التفسير خصوصًا من آثاره المخطوطة التي تحتاج إلى التحقيق والدراسة المعمقة والمدققة.

واكتشاف هذا المنهج المتكامل للإمام الغزالي هو من قبل الأمل الذي أسأل اللَّه تعالى أن يوفقني إلى تحقيقه في القريب العاجل.

وإذن فالحديث عن منهج الإمام الغزالي في التفسير يختص بما جمعته من نصوص التفسير من آثاره المطبوعة التي حصلت عليها.

غير أن تلمس العناصر المكونة لهذا المنهج من خلال هذا التفسير المجموع تعترضه عدة مشاكل؛ من بينها: ظاهرة الاقتباس والنقل في تفسير الإمام الغزالي لا تمكننا من القطع بمصادر الأفكار والمعاني، فكثيرًا ما ينقل الإمام الغزالي أقوالًا ويوردها بصيغة النسبة للمجهول، فنجد عبارات؛ مثل: « قيل » و « روي » و « ورد في التفسير » وغير ذلك، وهذا يجعل من الصعب الوصول إلى اكتشاف جوانب الإبداع وحدوده.

غير أن هذا الأسلوب الذي اعتمده الإمام الغزالي في النقل يدل على أنه كان حريصًا على المعاني في ذاتها أكثر من حرصه على بيان مصدرها أو قائلها، لقد كان كمثله من العلماء الأجلاء حريصًا على الحكمة فحيث ما كانت أثبتوها في مصنفاتهم خوفًا عليها من الضياع، قال ابن جني: « إن القوم كانوا يعتبرون المعاني ويخلدون إليها، فإن حصلوها وحسنوها سامحوا أنفسهم في العبارات عنها » [(١)].

---

(١) المحتسب (٢/٢٣٦).

هذا بالإضافة إلى غياب عدد من النصوص، وعدم القطع بمصادر الأفكار؛ فإن التعامل مع نصوص تفسيرية مجموعة من كتب متنوعة يختلف كثيرًا عن التعامل مع تفسير كامل؛ إذ إن غالب المفسرين يرسمون في مقدمات تفاسيرهم معالم مناهجهم، بينما نكون مع النصوص مطالبين بالبحث عن تلك المعالم في ثنايا النصوص المتناثرة هنا وهناك؛ لأنها في حقيقتها تعتبر مكونًا من مكونات كتب أخرى في تخصصات أخرى، وغالبًا ما ترد في سياق الاستدلال على مجموعة من الآراء والمواضيع والمعاني والأفكار والمذاهب...

إلا أن ما ذُكر من الصعوبات لا يمنع من محاولة الكشف عن معالم المنهج التفسيري للإمام، وذلك من خلال ما يلي:

المَبحَثُ الأَوَّلُ
منهجه في التفسير بالمأثور

أ - بالقرآن الكريم:

إن المتأمل في كتاب اللّٰه تعالى يجد أنه اشتمل على الإطلاق والتقييد وعلى العموم والخصوص وعلى الإجمال والتبيين؛ ولهذا كان لازمًا على مَن يتعرض لتفسير كتاب اللّٰه تعالى أن ينظر إليه باعتباره المصدر الأول في التفسير، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: «إن أصح الطرق في ذلك - أي التفسير - أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر » (١).

والإمام الغزالي في تفسيره المجموع لم يحد عن هذه الطريقة؛ فقد فسر القرآن بالقرآن، ولذلك نجده كثيرًا ما يستعين بآية قرآنية ليوضح بها آيات أخرى، فمثلًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥] يقول الإمام الغزالي: « ما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يُعرض في معرض الامتنان؛ ولذلك سمي ضد إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢] » (٢).

(١) مقدمة في أصول التفسر لابن تيمية، تحقيق: فريال علوان (٦٠).
(٢) نص التفسير رقم (٣٩٤).

كذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] قال الإمام الغزالي: « فوجب بما أوحي إليه لا بما أوحي إلى غيره، وقوله: ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ ﴾ أي افعل مثل فعله، وليس معناه: كن متبعًا له وواحدًا من أمته، كيف والملة عبارة عن أصل الدين والتوحيد والتقديس الذي تتفق فيه جميع الشرائع؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠] ولا يجوز تسفيه الأنبياء المخالفين له ، ويدل عليه أنه لم يبحث عن ملة إبراهيم، وكيف يبحث مع اندراس كتابه وإسناد أخباره؟! » (١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٩] يقول الإمام الغزالي: « ليس لكتابه آلة العبارة، ولا عدة الإشارة؛ لكن لما تضمن جميع الأشياء، وأحاط بكل المكونات، واستولى على لطائف الموجودات وكثافتها، كما قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] فبهذا المعنى سمَّى اللَّه كتابه « ناطقًا » ليعلم العاقل أن الناطق من الناس قد تكون نفسه » (٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤] قال الإمام الغزالي: « أُكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: ٦٩] » (٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤] قال الإمام الغزالي: « كلما أحدثوا ذنبًا، أحدث لهم نعمة ليزيد غرورهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا ﴾ [آل عمران: ١٧٨] » (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٢] قال الإمام الغزالي: « ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] وهو معنى قوله: ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ » (٥).

ولم يكتفِ الإمام الغزالي بأن يستعين بآية ليفسر بها أخرى، بل كان أحيانًا يقرن الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد حتى يوفر لتفسيره الوحدة الموضوعية.

---

(١) نص التفسير رقم (٦١٢).
(٢) نص التفسير رقم (٩٨٦).
(٣) نص التفسير رقم (١٠٤٢).
(٤) نص التفسير رقم (١١٨٥).
(٥) نص التفسير رقم (١١٨٧).

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] يقول الإمام الغزالي: « الهادي هو الذي هدى خواص عباده أولًا إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته؛ فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله، والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل مسدس لكونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواله، وشرح ذلك يطول، وعنه عبر قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣] »(١).

كذلك لم يغفل الإمام الغزالي الإشارة إلى الآيات التي تتفق في الأسلوب والنظم والمعنى؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال الإمام الغزالي: « ثبت ذلك في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع، وإنما أراد الله ﷻ الموتات الثلاث للعالمين ... إلخ »(٢).

ب - بالحديث النبوي الشريف:

تمهيد:

لا خلاف في اعتبار الحديث النبوي أهم الوسائل في فهم القرآن الكريم بعد فهم القرآن بالقرآن، وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ٤٤]، وفي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على وظيفة الرسول ﷺ في بيان التنزيل وشرحه حتى يتحقق فهمه والعمل به؛ ولذلك قال ابن تيمية: « إنها - أي السنة - شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤]؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: « **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه** »(٣) يعني السنة »(٤).

(١) نص التفسير رقم (٧٠٦). (٢) نص التفسير رقم (٢٢٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٣١/٤)، وأبو داود في كتاب السنة (٤٦٠٤/٤) من حديث المقدام بن معد يكرب، وهو حديث في صحيح الجامع رقم (٢٦٤٣).

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٦٠، ٦١).

وقد حفلت هذه النصوص التفسيرية للإمام الغزالي بثروة حديثية وافرة، كان دائم الاستشهاد بها في تفسير النص القرآني وتوضيح أحكامه.

وقد كان توظيف الحديث النبوي في مصنفات الإمام الغزالي عامة و « الإحياء » خاصة من بين الأسباب الرئيسية لانتقاده من بعض العلماء والفقهاء؛ كالإمامين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم اللذين قالا فيه: « بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة » (١). وقد كتب الإمام ابن الجوزي كتابًا مسماه « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » ردًّا على الإمام الغزالي، كما تزعَّم فقهاء المغرب ومنهم القاضي عياض الطعن في كتاب الإحياء وأنكروا ما جاء فيه من أحاديث وأخبار، حتى بلغ بهم الحال إلى الإفتاء بإحراقه (٢).

هذا وقد اعترف الإمام الغزالي بضعفه في الحديث حيث قال: « بضاعتي في علم الحديث مزجاة » (٣).

- ورغم ذلك فهناك من الدلائل ما يدل على اهتمام الإمام الغزالي بالحديث الشريف، من بينها:

- قرر الحافظ العراقي أن أكثر ما ذكره الإمام الغزالي من الأحاديث في كتابه « الإحياء » ليس بموضوع، وأوضح ذلك في كتابه الذي وضعه في تخريج أحاديث « الإحياء » المسمى « المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار » (٤).

- الإحالة على كتب الصحاح في جهوده التفسيرية المجموعة (٥).

- اشتغاله في أواخر أيامه بالحديث وعلومه، وكان معظم تدريس الغزالي في عهده الأخير في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى (٦).

هذا وقد تنوعت الأحاديث التي اعتمدها الإمام الغزالي في هذا التفسير المجموع ما بين

---

(١) الإتحاف (٣٨/١)، والغزالي (٦٣).

(٢) لمحات من تاريخ حياة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي لأبي بكر القادري، السفر الثاني عشر من مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (١٣٦).

(٣) قانون التأويل ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٧) (ص١٣٢).

(٤) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروسي ملحق بالإحياء (١٠/٥).

(٥) ن: نص التفسير، رقم (٥٢٠ و ١١٨٤).

(٦) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (١١/٥).

صحيح وحسن، وضعيف ومنكر وموضوع على قلته. **ومن الأمثلة على ذلك:**

١ - (الأحاديث المتفق عليها):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال الإمام الغزالي: « أخبر الله تعالى بقرب رحمته من المحسنين، وقد قال ﷺ: « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه** » (١) فهو يفيد بُعْد رحمته من غير المحسنين » (٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] قال: « هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة. وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة - وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة. قال جرير بن عبد الله البجلي: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: « **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** » ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠] (٣) وهو مخرج في الصحيحين » (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠] قال الإمام الغزالي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم:** ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ (٥) » (٦).

٢ - (الحديث الحسن):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] قال الإمام الغزالي: قال ﷺ: « **في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو وإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » (٧)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (ح٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان (ح١).

(٢) نص التفسير، رقم (٤٣٥).

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد (ح٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب المساجد (ح٦٣٣).

(٤) نص التفسير، رقم(٥٢٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب التفسير، (ح٤٨٨١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (ح٢٨٨٦)

(٦) نص التفسير، رقم (١٠٨٧).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، ن: أبواب تفسير القرآن (ح٤٠٧٣).

ثم تلا قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [١].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] قال الإمام الغزالي: « سئل النبي ﷺ عن الاستطاعة فقال: « **الزاد والراحلة** » [٢] » [٣].

وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال الإمام الغزالي: روي عن أبي بكر الصديق ﷺ في خطبته: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر عليهم فلم يفعل إلا أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده** » [٤] » [٥].

٣ - (**الحديث الضعيف**):

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، قال الإمام الغزالي: « نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ثم قال ﷺ: « **ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته** » [٦] ومعناه: أن يقرأ ويترك التأمل » [٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال الإمام الغزالي: « رُوي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال أبو بكر الصديق ﷺ: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: « **غفر الله لك يا أبا بكر، الست تمرض؟ ألست يصيبك الأذى؟ ألست تحزن؟ فهذا ما تجزون به** » [٨] يعني أن جميع ما يصيبك يكون

---

(١) نص التفسير، رقم (١٥٥).
(٢) رواه الترمذي في سننه، ن: أبواب تفسير القرآن (ح٤٠٤٨).
(٣) نص التفسير، رقم (١٩٩).
(٤) رواه الترمذي في سننه، ن: أبواب تفسير القرآن (ح٥٠٥٠).
(٥) نص التفسير (٣٦٨).
(٦) قال الحافظ العراقي: أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ: « ولم يتفكر فيها » وفيه أبو جناب يحيى ابن أبي جبة ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢٣/٤).
(٧) نص التفسير، رقم (٢٣٧).
(٨) قال الحافظ العراقي: الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر، ورواه الترمذي من وجه آخر وضعفه. =

كفارة لذنوبك »[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] قال: « هذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من اللّه ﷻ وغير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة اللّه تعالى كما قال ﷺ: « **إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها** »[٢] والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة »[٣].

هذه بعض أنواع الحديث التي اعتمدها الإمام الغزالي في شرحه لبعض آيات القرآن الكريم.

ومن خلال هذه الثروة الحديثية يتضح أن الإمام الغزالي كان مرة يورد الحديث كاملًا، ومرة يكتفي بإيراد بعضه ومرة يورد الأحاديث بألفاظها وأخرى بمعانيها، كما أن مواضع الترغيب والترهيب من هذا التفسير، كثر فيها إيراد الأحاديث الضعيفة.

أسباب النزول: بالإضافة إلى ما ذُكر فإن أسباب النزول - التي لا يحل القول فيها إلا بالرواية والسماع - كانت حاضرة في هذا التفسير المجموع؛ لأن معرفة أسباب النزول من أهم أدوات التفسير؛ لما في ذلك من علاقة وثيقة بين السبب والمسبب، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب »[٤].

وقال الواحدي: « إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب »[٥].

وقد أولاها الإمام الغزالي عناية خاصة شأنه في ذلك شأن سائر المفسرين، ومن ثم فإن من يطالع تفسيره - هذا - ليكشف عن منهجه يبدو له أن أسباب النزول كانت

= قال: وليس له إسناد صحيح. وقال الدارقطني: وروي أيضًا من حديث عمر، ومن حديث الزبير قال: وليس فيها شيء يثبت، ن: المغني بهامش (١٣٨/٤) وسنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن (ح٣٠٥٠).

(١) نص التفسير، رقم (٣١٦).

(٢) قال السيوطي: حديث ضعيف، ن: الجامع الصغير للسيوطي (٣٦٧/١) (ح ٢٣٩٨)، والمغني (٢١٩/١) والإتحاف (٤٦٠/٣).ه

(٣) نص التفسير، رقم (٨٧٩).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص ٦٠).

(٥) أسباب النزول (ص ٤).

حاضرة عنده في فهم كتاب الله تعالى.

ومن أمثلة ذلك:

عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال الإمام الغزالي: « كان رسول الله ﷺ يستقبل الصخرة من بيت المقدس مدة مقامه بمكة – وهي قبلة الأنبياء – وكان يقف بين الركنين اليمانيين؛ إذ كان لا يؤثر استدبار الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة لم يكن استقبالها إلا باستدبار الكعبة، وعيرته اليهود، وقالوا: إنه على ديننا ويصلي إلى قبلتنا، فسأل الله تعالى أن يحوله إلى الكعبة، فنزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] »(١).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] قال: « نزل هذا في رجل بالمدينة قسَّم جميع ماله ولم يبقِ شيئًا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء »(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] قال الإمام الغزالي: « لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قال بعض اليهود: أنا أخصم لكم محمدًا، فجاءه وقال: قد عُبدت الملائكة وعُبد المسيح، فيجب أن يكونوا من حصب جهنم، فأنزل الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ »(٣).

هذه نماذج من تفسير الآيات بسبب نزولها، وهي توضح ضرورة هذا العلم لمن أراد تفسير كتاب الله تعالى؛ لأن العديد من الآيات لا يستطيع المفسر القول فيها إلا اعتمادًا على ما نزل فيها وإلا فسيقع في المحظور.

ج - بأقوال الصحابة والتابعين:

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في وصف تفسير الصحابة والتابعين للقرآن الكريم: « ... ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسير معانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف

---

(١) نص التفسير، رقم (٧٧).
(٢) نص التفسير، رقم (٦٣٤).
(٣) نص التفسير، رقم (٧٣١).

تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا »[(١)].

ولذلك فتفسير الصحابة ﷺ للقرآن الكريم يلي بالمكانة تفسير رسول الله ﷺ لعدة أسباب من بينها:

أولًا: كونهم شاهدي عيان لأحوال نزول الوحي وقرائنه وأسبابه.

ثانيًا: كونهم أهل اللسان العربي، وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

ثالثًا: كونهم أعلم الناس بعادات العرب وأحوالها وأخبارها.

رابعًا: كونهم الجيل الراشد الذي لم يشهد التاريخ مثيلًا له.

كما أنه يلحق بتفسير الصحابة ﷺ تفسير التابعين؛ لأن منهم من تلقى جميع التفسير عن الصحابة ﷺ، كما قال مجاهد: « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها ... » ولهذا كان الثوري يقول: « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به »[(٢)].

انطلاقًا مما ورد نجد الإمام الغزالي يأخذ بالمأثور عن الصحابة والتابعين، ويحتج به في مقام البيان والتفسير.

وأكثر الصحابة ورودًا في هذه النصوص التفسيرية للإمام الغزالي: ابن عباس وابن مسعود، وأكثر التابعين: مجاهد والحسن البصري وقتادة.

فتارة يورد أقوالهم لتوضيح كلمة أو تفسير آية، وأخرى يستعين بها لبيان حكم فقهي، وأخرى يستشهد بها على معرفة أسباب النزول وغير ذلك...

ففي مجال الاستشهاد بهذه النقول في توضيح الآية وتفسيرها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال الإمام الغزالي: « إن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله، فقد قيل: إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود ﷺ في معنى قوله ﷻ : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ »[(٣)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال الإمام الغزالي: « قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ

(١) دقائق التفسير لابن تيمية، جمع وتحقيق وتقديم: د. الجليند (١/١٠٩).

(٢) أصول التفسير لابن تيمية (ص ٦٧، ٦٨). (٣) نص التفسير، رقم (١٠٥).

خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ يعني الفهم في القرآن »[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٥] قال: « قال مجاهد: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخاسة والمني والولد »[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: « قال ابن عباس: أطيعوا اللّه حق طاعته، وقال مجاهد: هو أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر »[٣].

وفي مجال بيان الأحكام الفقهية ما ذكره الإمام الغزالي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ [النساء: ١١]، قال: « عقل ابن عباس ﷺ من قوله: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ أنه إن كان له أخوان فلأمه الثلث »[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ [النساء: ١٧٦] قال الإمام الغزالي: « قال ابن عباس ﷺ: الأخوات لا يرثن الأولاد لقوله تعالى: ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ فإنه لما جعل لها النصف بشرط عدم الولد دلَّ على انتفائه عند وجود الولد »[٥].

وفي مجال الاستشهاد بها على معرفة أسباب النزول ما ذكره الإمام الغزالي عند قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] قال: « روي عن ابن عباس ﷺ أن رسول اللّه ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية، فترك الدعاء عليهم، وهدى اللّه تعالى عامة أولئك للإسلام »[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] قال: « روي عن خباب بن الأرت أنه قال: كان لي على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقضِ لي فقلت: إني آخذه في الآخرة، فقال لي: إذا صرتُ إلى الآخرة فإن لي هناك مالًا وولدًا أقضيك منه، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ »[٧].

---

(١) نص التفسير، رقم (١٥٧).

(٢) نص التفسير، رقم (١٨٦).

(٣) نص التفسير، رقم (٢٠٠).

(٤) نص التفسير، رقم (٢٥٠).

(٥) نص التفسير، رقم (٣٢٥).

(٦) نص التفسير، رقم (٢١١).

(٧) نص التفسير، رقم (٦٨٩).

المَبحَثُ الثَّاني
منهجه في التفسير بالرأي

أ - مفهوم التفسير بالرأي عند الإمام الغزالي:

التفسير بالرأي هو ما يقابل التفسير بالمأثور، وهو يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية، كما أنه يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومراميها، مستعينًا في ذلك بقواعد اللغة وأساليب البيان من غير أن يخالف تفسيرًا ورد عن النبي ﷺ أو تفسيرًا للصحابة ﷺ.

وهذا النوع من التفسير موضع خلاف بين العلماء، فبعضهم تشدد ومنع أن يفسر القرآن بالرأي، وبعضهم جوَّز ذلك.

ومن المجوزين الإمام الغزالي الذي قال: « اعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه، بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعًا لأرباب الفهم »(١).

وقال بعد الاحتجاج والاستدلال على بطلان القول بأن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه: « فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله »(٢).

وأما التفسير بالرأي المنهي عنه في نظر الإمام الغزالي فهو التفسير المبني على الهوى، وعلى ظاهر العربية من غير استظهار بالسماع، وفي ذلك يقول: « وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار

---

(١) الإحياء (١/٣٤١).

(٢) نفسه (١/٣٤٢).

والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي، فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولًا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط » [١].

من خلال ما تقدم يتبين أن الإمام الغزالي يستعمل اجتهاده في تفسير القرآن الكريم مستحضرًا في ذلك الأداة اللغوية وغيرها من الأدوات؛ لأنه من بين الشروط التي يشترطها الإمام الغزالي في المفسر أن يكون محصلًا لعلم اللغة وما يتبعه؛ إذ يقول:

« من أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويل الأخبار، ويصيب في كلامه، فيجب عليه أولًا تحصيل علم اللغة والتبحر في علم النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب، والتصرف في أصناف التصريف؛ فإن علم اللغة سُلَّم ومرقاة إلى جميع العلوم، ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم .. » [٢].

وقال أيضًا: « يجب على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركب اللفظ، ومن وجه مراتب النحو، ومن وجه عادة العرب .. » [٣].

وهذا الشرط الذي اشترطه الإمام الغزالي على المفسر كان حاضرًا لديه في اجتهاده في التفسير؛ ولذلك نجده يكثر من مثل هذه العبارات: « قال أكثر أهل اللغة »، « وفي اللغة » و « قالت العرب » وغيرها.

ومن الأمثلة التي تدل على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] قال الإمام الغزالي: « في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾، واختلفوا في معناه؛ وإذا لم يرد توقيف في بيانه فينبغي أن يفسر بما يعلمه أهل اللغة، ويناسب اللفظ من حيث الوضع » [٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] قال: « اتفق أهل اللغة على أن فهم ما وراء الفتيل من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم منه من نفس الفتيل » [٥].

---

(١) الإحياء (١/٣٤٢).

(٢،٣) الرسالة اللدنية، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣)، (ص ٩٨).

(٤) نص التفسير، رقم (١٧٨). (٥) نص التفسير (٢٩١).

وفي قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] قال الإمام الغزالي: « لغة العرب منقسمة إلى حقيقة ومجاز، فالزكاة من حيث الصورة تنقيص، ومن حيث المعنى نمو وزيادة » إلى أن قال: « فثبت بهذا أن هذا الاسم بمعنى النمو حقيقة فيها من عالم الحقائق، وقد جاءت الشريعة بالحقيقة والمجاز، وكلاهما في لغة العرب »(١).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨] قال الإمام الغزالي: « ومعناها في كلام العرب: التنزيه والسلب »(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء: ٧٥] قال: « أي ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة »(٣).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] قال الإمام الغزالي: « من عادات العرب في البيان التنبيه على الشيء بذكر نظيره وضرب مثل فيه، دون التعرض له في نفسه، وهو في الإفادة كالتعرض له؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ يعني: أنه محرم كأكل لحم الغير »(٤).

ومن الأمثلة التي توضح تفسير الإمام الغزالي لبعض الألفاظ القرآنية: عند قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [المائدة: ١٠٢] قال: « هم ذوو العقول، واشتقاق العقل من العقال، والمعقل: المنيع القلعة على رأس الجبل لا يصل إليها يد أحد لامتناعها وقوتها وإحكامها »(٥).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠] قال: « معناه: باعوه، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع »(٦).

وعند قوله تعالى: ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩] قال: « الصفد: هو اقتران القدمين معًا »(٧).

وكذا عند قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال: « الأف: وسخ الظفر »(٨).

---

(١) نص التفسير، رقم (٥٠٩).
(٢) نص التفسير، رقم (٥٥٢).
(٣) نص التفسير، رقم (٦٤٥).
(٤) نص التفسير، رقم (١٠١٦).
(٥) نص التفسير، رقم (٣٦٧).
(٦) نص التفسير، رقم (٥٤٠).
(٧) نص التفسير، رقم (٥٧٥).
(٨) نص التفسير، رقم (٦٢٤).

وعند قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ [الذاريات: ٢٦] قال: « الروغان: الذهاب بسرعة » (١).

ب - اجتهاده في التفسير:

١ - استنباط الأحكام الفقهية:

اهتمامه بالناسخ والمنسوخ قبل بيان الأحكام الفقهية: لا خلاف بين العلماء في كون الناسخ والمنسوخ من أجلِّ العلوم القرآنية وأوجبها التي بدون الإلمام بها يصعب على المفسر التحدث في كتاب اللّٰه أو التجرؤ على تفسيره.

ولذلك « لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب اللّٰه إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي لقاضٍ: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت » (٢).

وقد تفطن الإمام الغزالي إلى أهمية الناسخ والمنسوخ، ومن ثم فقد كان دائم الإشارة إلى الناسخ والمنسوخ من الآيات.

يقول الإمام الغزالي في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦] « الناسخ هو اللّٰه تعالى ... هو المظهر على لسان رسوله ﷺ، المفهم إيانا بواسطة نسخ كتابه ولا يقدر عليه غيره، ثم لو نسخ اللّٰه تعالى آية على لسان رسول اللّٰه ﷺ ثم أتى بآية أخرى مثلها كان قد حقق وعده، فلم يشترط أن تكون الآية الأخرى هي الناسخة الأولى ».

ثم نقول: ليس المراد الإتيان بقرآن آخر خير منها؛ لأن القرآن لا يوصف بكون بعضه خيرًا من البعض كيفما قدر قديمًا أو مخلوقًا، بل معناه: أن يأتي بعمل خير من ذلك العمل لكونه أخف منه أو لكونه أجزل ثوابًا » (٣).

ويقول في بعض معاني قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩] « معناه: أنه يمحو الحكم المنسوخ ويثبت الناسخ ... إلخ » (٤).

(من أمثلة النسخ):

أ - نسخ القرآن بالقرآن:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم

---

(١) نص التفسير، رقم (١٠٤٣).

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٧/٣).

(٣) نص التفسير، رقم (٦٥).

(٤) نص التفسير، رقم (٥٦٢).

مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ ﴾ [البقرة: ٢٤٠] قال: « نسخ التربص حولًا عن المتوفى عنها زوجها.. مع بقاء التلاوة » [(١)].

ب - نسخ السنة بالقرآن:

قال الإمام الغزالي: « صلاة الخوف وردت في القرآن » [(٢)] ناسخة لما ثبت من السنة جواز تأخيرها إلى جلاء القتال حتى قال ﷺ يوم الخندق وقد أخر الصلاة: « **حشا الله قبورهم نارًا** » لحبسهم له عن الصلاة » [(٣)].

ج - نسخ القرآن بالسنة:

قال الإمام الغزالي: أما نسخ القرآن بالسنة: فنسخ ﴿ ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] بقوله ﷺ: « **ألا لا وصية لوارث** »؛ لأن آية الميراث لا تمنع الوصية للوالدين والأقربين؛ إذ الجمع ممكن » [(٤)].

بيان الأحكام الفقهية: الإمام الغزالي فقيه على المذهب الشافعي، ألف كتبًا كثيرة في الفقه، ما بين المسهب والوسيط والبسيط والوجيز، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفننه في التأليف وتنوع طريقته فيه.

من بين هذه المؤلفات « المستصفى » الذي يعد أحد كتب ثلاثة هي الدعائم لأصول الفقه على طريقة الإمام الشافعي، وثانيها: كتاب « العمدة » لأبي الحسين محمد ابن علي البصري (ت ٤١٣هـ) وثالثها: كتاب « البرهان » لشيخ الغزالي: إمام الحرمين الجويني (ت ٤٨٧هـ).

لذلك تعرض الإمام الغزالي في تفسيره - هذا - لمجموعة من الأحكام الفقهية، غير أنها معروضة بطريقتين: طريقة تناسب مقام التفسير فلم يفصل فيها كثيرًا في بيان الجزئيات، وطريقة مفصلة للجزئيات تكاد لا تناسب مقام التفسير وإنما أوردتها ضمن التفسير لتعلقها بالآية المفسرة.

---

(١) نص التفسير، رقم (١٣٤)، والآية الناسخة هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ ﴾ الآية [النساء: ١٠٢].

(٣) نص التفسير، رقم (٣٠٨).

(٤) نص التفسير، رقم (٩١).

- مثال الطريقة الأولى:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال الإمام الغزالي: « من وطئ بالليل في رمضان، فأصبح جنبًا لم يفسد صومه؛ لأنه قال: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾، وقال: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ ثم مد الرخصة إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فتشعر الآية بجواز الأكل والشرب والجماع في جميع الليل، ومن فعل ذلك في آخر الليل، استأخر غسله إلى النهار، وإلا وجب أن الوطء في آخر جزء الليل بمقدار ما يتسع للغسل، فهذا وأمثاله مما يكثر ويسمى إشارة اللفظ » (١).

وكذا عند قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، قال الإمام الغزالي: « ورد ذلك في حق المؤمنات، ويلحق بهن الكافرات؛ لأنه فهم السبب وهو الطلاق قبل المسيس، فإذا كان سببًا لسقوط العدة في حق المؤمنة، فكذلك يكون في حق الكافرة » (٢).

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٦]، قال الإمام الغزالي: « الصحيح أنه يجب تعجيل النفقة قبل الوضع بنفس الحمل لظاهر الآية » (٣).

- ومن أمثلة الطريقة الثانية:

تحدثه عند الانتهاء من تفسير سورة الفاتحة عن سوابقها ولواحقها بإسهاب، بحيث تعرض لأحكام دعاء الاستفتاح والتعوذ بعده وقراءة البسملة والتأمين وغيره (٤).

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] أورد الإمام الغزالي في المسافر مذهبين ضعيفين كما قال؛ **أحدهما:** مذهب أصحاب الظاهر الذي يقول بفساد صوم المسافر لظاهر الآية، **والثاني:** مذهب الكرخي القائل بوجوب أيام أخر، وبين بعد ذلك فساد مذهبهما (٥).

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

---

(١) نص التفسير، رقم (١٠١).
(٢) نص التفسير، رقم (٨٦٦).
(٣) نص التفسير، رقم (١١٥٦).
(٤) نص التفسير، رقم (٢٩).
(٥) نص التفسير، رقم (٩٧).

أسهب الإمام الغزالي في أحكام المرأة الشابة إذا طُلقت بعد المسيس ولزمتها العدة وتربصت الأقراء [(١)].

٢ - استنباط المعاني الإشارية:

مما لا شك فيه أن الإمام الغزالي يعد من أقطاب الصوفية، فقد عرف التصوف منذ يفاعته:

في أول الأمر عن طريقة شيخه الصوفي الأول الذي كلفه والد الغزالي برعاية ابنيه محمد وأحمد.

في ثاني مرة عندما سرق اللصوص مخلاته فطلب من زعيمهم أن يردها إليه؛ لأن فيها كتبًا هاجر الغزالي لسماعها ومعرفة علمها، فقال له زعيمهم: عيف عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟ ثم أعاد إليه المخلات، وفهم الغزالي - كما يفهم الصوفي بتتبع الرموز والإشارات - أن هذه العبارة إشارة إلهية كي يحصل ما في الكتب ويحفظه في صدره حتى لا يضيع.

وفي ثالث مرة، عرفه وهو مقيم بالعسكر، بحيث كان نظام الملك من محبي الصوفية.

ومن بين آراء الشخصيات الصوفية التي تأثر بها الإمام الغزالي: « آراء الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) وأبي طالب المكي صاحب « قوت القلوب » (ت٣٨٢هـ)، وكذلك القشيري صاحب الرسالة المشهورة في التصوف (ت٤٦٥هـ)، كما طالع الإمام الغزالي كلام الجنيد والبسطامي والشبلي وغيرهم » [(٢)].

لذلك نجد الإمام الغزالي ينقل منهم أخبارًا وأحاديث، « وعليها مدار كتابه الإحياء » [(٣)].

والمطالع لهذا التفسير المجموع للإمام الغزالي يجده قد تأثر بهذه الإشارات الصوفية في استنباطاته، خصوصًا أنه من بين ما يشترطه على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق؛ إذ قال: « يجب على المفسر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركب اللفظ، ومن وجه مراتب النحو، ومن وجه عادة العرب، ومن وجه أمور الحكماء، ومن وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق... إلخ » [(٤)]. وقال أيضًا: « كم من معانٍ دقيقة من أسرار

---

(١) نص التفسير، رقم (١٢٥).

(٢) المنقذ من الضلال، تحقيق: د. عبد الحليم محمود (ص ٣٧٢، ٣٧٣).

(٣) إتحاف السادة المتقين (٦/١).

(٤) الرسالة اللدنية مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٣) (ص ٩٨).

القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعُرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه » (١).

ولذلك كثرت المصطلحات الصوفية في هذه النصوص التفسيرية كالكشف (٢) والوجد (٣) والتحلية (٤) والتزكية (٥) وغيرها كثير.

أما الإشارات الصوفية في نصوصه التفسيرية فكثيرة من بينها:

عند قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [المائدة: ٥٤] قال الإمام الغزالي: « قال الشيخ أبو سعيد الميهني - رحمه الله تعالى - لما قرئ عليه قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ فقال: بحق يحبهم، فإنه ليس يحب إلا نفسه، على معنى أنه الكل، وأن ليس في الوجود غيره، فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذن لا يحب إلا نفسه... إلخ (٦).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ الآية [الأنعام: ٧٦] قال: « قال ﷺ: « **إن لله سبعين حجابًا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره** » وتلك الحجب مرتبة، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب، ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه، وعليه أوَّل بعض الصوفية دراجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل ﷺ في ترقيه، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ أي أظلم عليه الأمر ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ أي وصل إلى حجاب من حجب النور، فعبر عنه بالكوكب، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم، فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام » (٧).

وقال الإمام الغزالي في سورة « هود »: « قوله ﷺ: « **شيبتني هود وأخواتها** » خبر عن الوجد، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف، وذلك وجد » (٨). وقال: « والوجد هو الشوق الغالب على قلب الطالب » (٩).

---

(١) الإحياء (٨٧/١).
(٢) ن: نصوص التفسير، رقم (٣٥٣ - ٤٦٥ - ٥٩٦).
(٣) ن: نصوص التفسير، رقم (٥٢٥ - ٥٤١).
(٤) ن: نصوص التفسير، رقم (١٨ - ٢٦).
(٥) ن: التفسير، رقم (١٨ - ٢٦).
(٦) نص التفسير، رقم (٣٥٣).
(٧) نص التفسير، رقم (٣٩٦) (ون ٣٩٥).
(٨) نص التفسير، رقم (٥٢٥).
(٩) نص التفسير، رقم (٥٤١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] قال: « أخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء اللّٰه تعالى » (١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] قال الإمام الغزالي: « في الكلام حذف يدل على صحة تقدير الشرع الصادق والمشاهدة الصورية، وهو أن يكون معناه: إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة، أو عمل بما جاء به النبي؛ لأن النبي ﷺ قال: « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّٰه** »، وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن ينكشف إليه » (٢).

٣ - استنباط المعاني الوعظية:

لقد كان للانهيار الروحي والأخلاقي الذي شهد عصر الإمام الغزالي أثر كبير في شخصيته؛ إذ ظهر الترف المادي، وشاعت في هذا العصر أفكار السوء وانحرافات الضالين والمضلين؛ ولذا كان صوت الإمام الغزالي من الأصوات التي عملت على إيقاظ الناس وتحريك النفوس والضمائر والإنذار بالعواقب والتذكير بروح الإسلام وسمو أخلاقه ومبادئه.

ومن ثم فقد كثرت مواعظ الإمام الغزالي، وجاء تفسيره هذا مرآة صادقة لما ذُكر سالفًا، ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٤] قال الإمام الغزالي: « كان الحسن يقول في موعظة: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى اللّٰه ﷻ، رحم اللّٰه امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ يعني الأنفاس. آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك » (٣).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢] قال: « القرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ لكان كافيًا؛ إذ علق المغفرة على

---

(١) نص التفسير، رقم (٤٦٥).
(٢) نص التفسير، رقم (١١٩٤).
(٣) نص التفسير، رقم (٦٩٠).

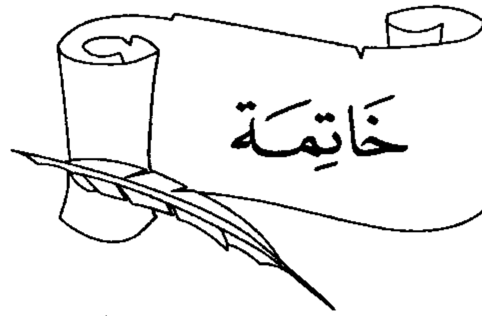
أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها »[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦] قال الإمام الغزالي: « يأتي الرجل إلى ولده فيقول له: يا بني: إني كسوتك حيث لا تقدر أن تكسو نفسك، وأطعمتك طعامًا وسقيتك شرابًا حيث كنت عاجزًا عن ذلك، وكفلتك صغيرًا حيث كنت لا تستطيع دفع الضراء ولا جلب السراء، فكم من فاكهة تمنيتها فابتعتها لك، حسبك ما ترى من هول يوم القيامة وسيئات أبيك كثيرة، فتحمل عني منها ولو سيئة فيخف عني، وأعطني ولو حسنة أزيدها في الميزان، فيفر منه الولد ويقول له: أنا أحوج منك إليها، وكذا يفعل الفصيل مع الفصيلة والصاحب والأخ، وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ »[٢].

* * *

(١) نص التفسير، رقم (٧٠٨).

(٢) نص التفسير، رقم (١٢٢٥).



مما يؤخذ على هذا التفسير المجموع:

أ - الأحاديث الضعيفة:

مما لا شك فيه أن هذا التفسير المجموع للإمام الغزالي، قد أثرى لنا المكتبة الحديثة بما حوى من أحاديث هائلة، استوعبت الكثير مما يشاع على ألسنة الناس في مجال الآداب والرقائق، غير أن هذه الثروة الحديثية ضمت عددًا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة [١]، كانت سببًا - كما تقدم - في انتقاد الإمام الغزالي من العلماء.

ب - مجانبته للصواب في تفسير بعض الآيات وإغرابه في بعضٍ آخر:

من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال الإمام الغزالي: « استعاذ إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ وعنى بها هذين الحجرين: الذهب والفضة... وإنما معنى عبادتهما: حبهما والاغترار بهما » [٢].

وفي هذا قال ابن القيم: « وهذا التفسير لم يقل به أحد من المفسرين؛ لأن المتبادر إلى الذهن من كلمة « الأصنام » هو الأحجار ذات الشكل الخاص التي كان يعبدها أهل الجاهلية » [٣].

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦ - ٧٩].

قال الإمام الغزالي: « إن لله سبعين حجابًا [٤] من نور لا يصل السالك إلى حجاب

---

(١) ن: (ص ٣٠).

(٢) نص التفسير، رقم (٥٧٢).

(٣) الإتحاف (١/ ٥٠).

(٤) إشارة إلى قوله ﷺ: « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور ».
قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١/ ١٢١).

من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل، وإليه الإشارة بقول إبراهيم ﷺ؛ إذ قال اللَّه تعالى إخبارًا عنه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ وليس المعني به هذه الأجسام المضيئة... » (١).

وهذا التأويل من التأويلات الصوفية التي اعتمد عليها الإمام الغزالي في فهمه لهذه الآية الكريمة؛ حيث قال: « وتلك الحجب أيضًا مرتبة، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب، ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه، وعليه أوَّل بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل ﷺ في ترقيه، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ أي أظلم عليه الأمر ﴿ رَءَا كَوْكَبًاۖ ﴾ أي وصل إلى أحجاب من حجب النور، فعبر عنه بالكوكب، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة » (٢).

هكذا يفسر الإمام الغزالي هذه الآيات تفسيرًا غريبًا، وقد قال الإمام القرطبي فيها: « ورأى - أي إبراهيم ﷺ - المشترى أو الزهرة ثم القمر ثم الشمس، وكان هذا في آخر الشهر » (٣) وفي ذلك قال ابن كثير: « والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظرًا لقومه مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه... فبين أولًا - صلوات اللَّه وسلامه عليه - أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية، فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا... ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنوار ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٤).

ج - التعارض بين بعض آرائه:

أعرض الإمام الغزالي عن آراء اختارها في المنخول وأثناء عزلته وانصرافه إلى العبادة والرياضة، كمسألة التكليف بالمحال، فبينما يذهب في المنخول والإحياء - الذي صنفه في مرحلة العزلة - إلى جوازه، فيذهب في المستصفى (٥) إلى عدم جوازه واستحالة التكليف به.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الإمام الغزالي: « يجوز على اللَّه سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه - خلافًا للمعتزلة - ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه، وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا

---

(١) نص التفسير، رقم (٣٩٥).
(٢) نص التفسير، رقم (٣٩٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٥/٧).
(٤) ابن كثير (١٨٥/٢).
(٥) ألف الإمام الغزالي كتاب « المستصفى » بعد « الإحياء » ن: مقدمة المستصفى (٤/١).

لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ (١).

وقال أيضًا: « ذهب شيخنا أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جواز تكليف ما لا يطاق مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ ولا وجه للابتهال لو لم يتصور ذلك بالبال » (٢).

غير أنه عند قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الإمام الغزالي: « من جوَّز تكليف ما لا يطاق عقلًا، فإنه يمنعه شرعًا لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ » (٣).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] قال الإمام الغزالي: « الروح أمر رباني، به وصفه اللَّه تعالى، إذ قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ ومعنى كونه ربانيًا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره؛ إذ لم يظهره رسول اللَّه ﷺ » (٤).

غير أنه عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [ص: ٧٢] قال الإمام الغزالي – عندما سئل عن الروح –: « هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول اللَّه ﷺ في كشفه لمن ليس له أهلًا، فإن كنت من أهله فاسمع... » (٥) واسترسل الإمام الغزالي في شرحه لسر الروح.

وأخيرًا:

من خلال هذا البحث الذي تطلب مني ما يقرب من أربع سنوات يمكن أن أقول:

---

(١) نص التفسير، رقم (١٧٤).
(٢) نص التفسير، رقم (١٧٥).

(٣) نص التفسير، رقم (١٧٣).

(٤) نص التفسير، رقم (٦٤٩)، وحديث الرسول ﷺ الذي لم يظهر فيه سر الروح، أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود بلفظ: « بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة – وهو يتوكأ على عسيب معه – فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه. فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت. فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت. فلما انجلى عنه قال: (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم إلا قليلًا) قال الأعمش: هكذا في قراءتنا، ن: كتاب العلم، باب قول اللَّه تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ حديث، رقم (١٢٥). قال ابن حجر « هكذا في قراءتنا » أي قراءة الأعمش، وليست هذه القراءة في السبعة، بل ولا في المشهورة من غيرها، ن: فتح الباري (٢٢٤/١).

(٥) نص التفسير، رقم (٩١٩).

قد يتحدث الناس بعد اليوم - بحمد اللّٰه تعالى - عن الإمام الغزالي المفسر؛ ذلك أنه لم يكن معروفًا إلا في مجال الفقه والفلسفة والتصوف... واليوم، وقد جُمعت آراؤه في التفسير وأصبحت مؤلفة بعد أن كانت متناثرة في ثنايا كتبه، أصبح هذا التفسير المجموع رقمًا مضافًا لكتبه المتعددة ذات الاختصاصات المختلفة - عدا التفسير-.

ولعل من أوضح محاسن هذا التفسير المجموع أنه يعد فهمًا مهمًّا لكتاب اللّٰه ﷻ، خصوصًا وأن عصر الإمام الغزالي قريب من عهد الازدهار الفكري والعلمي والحضاري للأمة الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن هذا الفهم لكتاب اللّٰه تعالى يفيد كثيرًا في قراءتنا لكتاب اللّٰه ﷻ، وامتلاك القدرة على الاستنباط منه، والاجتهاد تحت ظلاله في سبيل بعث الأمة من جديد.

ثم إن القسم الثاني من هذا البحث، الذي تضمن تفسير الإمام الغزالي المجموع موثقًا توثيقًا لا أدعي العصمة والإصابة في كل ما قمت به فيه، فإن ذلك لا يتيسر إلا لمن عصمه اللّٰه تعالى ولكني لم أدخر - فيما أعلم - وسعًا في إخراج هذا التفسير بصورة أزعم أنها تقرب من الجودة.

ثم إن الناظر في هذا التفسير يجد أن الإمام الغزالي لم يفسر جميع سور الكتاب العزيز، بل تناول بعض الآيات من سور القرآن الكريم، ولم يفسر إلا سورتي الفاتحة والإخلاص كاملين.

وفي الأخير: هذه بعض الاقتراحات التي أقترحها:

١ - الاهتمام بتحقيق ونشر ما تبقى من آثار الإمام الغزالي المخطوطة.

٢ - إعادة تحقيق جل كتبه المطبوعة؛ لأنها طبعت طبعات تجارية دون تحقيق علمي يذكر.

٣ - الاهتمام بجمع مادة التفسير لباقي العلماء المشاهير، لتكون بعد التوثيق مادة علمية صالحة للدراسة والتحليل والاستنتاج.

وفي النهاية لا أدعي لهذا العمل المتواضع السلامة من النقص والبراءة من الخطأ والعيب، ولا أدعي له الإحاطة والشمول، وإنما أردت من خلاله إبراز جهد الإمام الغزالي المفسر، فإن وفقت فمن اللّٰه ﷻ وبفضله، وإلا فمن نفسي أُتِيت، وما توفيقي إلا باللّٰه عليه توكلت وإليه أنيب.

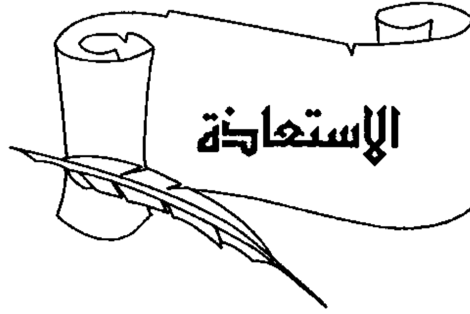
وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين!

* * *

القِسمُ الثَّاني

تفسير الإمام أبي حامد الغزالي

(المتن)



١ - التعوذ (م) [١] بعده [٢]، من غير جهر، مستحب [٣].

---

١ - الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي (ص ٤٢).

---

(١) قال الإمام الغزالي في مقدمة الوجيز: « اكتفيت عن نقل المذاهب والوجوه البعيدة بنقل الظاهر من مذهب الإمام الشافعي المطلبي ﷺ، ثم عرفتك مذهب مالك وأبي حنيفة والمزني، والوجوه البعيدة للأصحاب بالعلامات والرقوم المرسومة بالحمرة فوق الكلمات.
فالميم علامة مالك، والحاء علامة أبي حنيفة، والزاي علامة المزني، فأستدل بإثبات هذه العلامات على مخالفتهم في تلك المسائل، وبالواو بالحمرة فوق الكلمة على وجه أو قول بعيد مخرج للأصحاب... كل ذلك جذرًا من الإطناب وتنحية للقشر عن اللباب ». (ص ٣، ٤).
هذا، وقد استبدل طابع كتاب الوجيز بالعلامات الحمراء، رسم كل من الميم والحاء والزاي والواو بين قوسين بعد الكلمة لا فوقها.
(٢) أي بعد التكبير للإحرام.
(٣) قال القرطبي: « أبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة، ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة، ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان ». الجامع لأحكام القرآن (٨٦/١).

* سُورَةِ الفَاتِحَةِ [(١)] *

٢ - إن هذه السورة، فاتحة الكتاب ومفتاح الجنة، وإنما كانت مفتاحًا؛ لأن أبواب الجنة ثمانية، ومعاني الفاتحة ترجع إلى ثمانية، فاعلم قطعًا أن كل قسم منها مفتاح باب من أبواب الجنة، تشهد به الأخبار. فإن كنت لا تصادف في قلبك الإيمان والتصديق به، وطلبت فيه المناسبة فدع عنك ما فهمته من ظاهر الجنة، فلا يخف عليك أن كل قسم يفتح باب بستان من بساتين المعرفة، كما أشرنا إليها من آثار رحمة اللّه تعالى وعجائب صنعه وغيرها [(٢)].

٣ - قال ﷺ: « **فاتحة الكتاب أفضل القرآن** » [(٣)].

٤ - السر في هذا التخصيص أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى فاضلًا، فالذي يجمع أنواعًا أكثر يمسي أفضل، فإن الفضل هو الزيادة، فالأفضل هو

---

٢ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٦). ٣ - نفسه (ص ٤٨).
٤ - نفسه (ص ٦٤).

---

(١) قال العلامة مرتضى الزبيدي في كتابه « الإتحاف » عند حديثه عن الشعر المنسوب إلى الغزالي قال: « ومما ينسب إليه هذه الأبيات في أسرار الفاتحة رحمة اللّه عليه:

إذا ما كنت ملتمسًا لرزق ... ونيل القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي ترجو سريعًا ... وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها ... لما أملت سرًّا أي سر
فالزم ذكرها عقبى مساء ... وفي صبح وفي ظهر وعصر
وتمسي قارئًا في كل ليل ... إلى التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه ... وعظم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيره الليالي ... بحادثة من النقصان تجري
وتوقير وأفراح دوامًا ... وتأمن من مخاوف كل شر
ومن عري وجوع وانقطاع ... ومن بطش لذي نهي وأمر

ن: الإتحاف (٣٤/١).

(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ من سورة الفاتحة (ص ١٠).

(٣) روي ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك قال: « كان النبي ﷺ في مسيره فنزل فمشى رجل من أصحابه إلى جانبه، فالتفت إليه فقال: (ألا أخبرك بأفضل القرآن) قال: فتلا عليه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ ن: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧٤/٢، ٧٥)، باب قراءة القرآن حديث (٧٧١).

الأزيد، وأما السؤدد: فهو عبارة عن رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويأبى التبعية، وإذا راجعت المعاني التي ذكرناها في السورتين (١) علمت أن الفاتحة تضمنت التنبيه على معان كثيرة ومعان مختلفة، فكانت أفضل.

• ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ ﴾

٥ - آية (ح. م) (٢) منها (٣)، وهي آية من كل سورة، إما مع الآية الأولى أو مستقلة بنفسها على أحد القولين.

٦ - عندنا: آية من كل سورة كُتبت فيها، ولكنها آية مستقلة أم هي مع أول سورة آية؟ في قولان، وذكر الصيدلاني (٤) القولين في أنها هل هي من القرآن في أول سورة الفاتحة؟ والمشهور هو الأول.

٧ - وميل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنها آية من كل سورة، « الحمد » وسائر السور. لكنها في أول كل سورة آية برأسها، أو هي مع أول آية في سائر السور آية، هذا مما نقل عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فيه تردد، وهذا أصح من قول من حمل تردد قول الشافعي على أنها هل هي من القرآن في أول كل سورة؟ بل الذي يصح أنها حيث كتبت مع القرآن بخط القرآن فهي من القرآن.

فإن قيل: القرآن لا يثبت إلا بطريق قاطع متواتر، فإن كان هذا قاطعًا فكيف اختلفوا فيه؟ وإن كان مظنونًا فكيف يثبت القرآن بالظن، ولو جاز هذا لجاز إيجاب التتابع في صوم كفارة اليمين لقول ابن مسعود، ولجاز للروافض (٥) أن يقولوا: قد ثبتت إمامة

---

٥ - الوجيز في فقه الإمام الشافعي (ص ٤٢). ٦ - الوسيط في المذهب (٦١٠/٢).
٧ - المستصفى (١٠٢/١ - ١٠٥).

---

(١) أي سورتي الفاتحة وآية الكرسي، ن: جواهر القرآن (ص ٦٤).

(٢) قال ابن العربي: « اتفق الناس على أنها آية من كتاب الله تعالى في سورة النمل، واختلفوا في كونها في أول كل سورة، فقال مالك وأبو حنيفة: ليست في أوائل السور بآية، وإنما هي استفتاح ليعلم بها مبتدأها ». «أحكام القرآن » (٥/١).

(٣) أي من سورة الفاتحة.

(٤) هو الشيخ الفقيه الإمام الأديب المسند أبو صادق محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شاذا النيسابوري الصيدلاني، سمع من أبي العباس الأصم وغيره، وحدث عنه البيهقي وغيره. توفي سنة (٤١٥هـ)، ن: سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٧).

(٥) قوم من الشيعة سموا بذلك؛ لأنهم تركوا زيد بن علي، وكانوا قد ظهروا في زمان علي، وافترقوا بعده إلى =

علي ﷺ بنص القرآن، ونزلت فيه آيات أخفاها الصحابة بالتعصب. وإنما طريقنا في الرد عليهم أن نقول:

نزل القرآن معجزة للرسول ﷺ، وأمر الرسول ﷺ بإظهاره مع قوم تقوم الحجة بقولهم، وهم أهل التواتر، فلا يظن بهم التطابق على الإخفاء ولا مناجاة الآحاد به حتى لا يتحدث أحد بالإنكار، فكانوا يبالغون في حفظ القرآن حتى كانوا يضايقون في الحروف ويمنعون من كِتْبَة [١] أسامي السور مع القرآن، ومن التعاشير [٢] والنقط كيلا يختلط بالقرآن غيره، فالعادة تحيل الإخفاء.

فيجب أن يكون طريق ثبوت القرآن القطع، وعن هذا المعنى قطع القاضي رحمه الله [٣] بخطأ من جعل البسملة من القرآن إلا في سورة « النمل »، فقال: لو كانت من القرآن لوجب على رسول الله ﷺ أن يبين أنها من القرآن بيانًا قاطعًا للشك والاحتمال. إلا أنه قال: أخطئ القائل به، ولا أكفره؛ لأن نفيها من القرآن لم يثبت أيضًا بنص صريح متواتر، فصاحبه مخطئ وليس بكافر، واعترف بأن البسملة منزلة على رسول الله ﷺ مع أول كل سورة، وأنها كتبت مع القرآن بخط القرآن بأمر رسول الله ﷺ فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: « كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم سورة وابتداء أخرى حتى ينزل عليه جبريل بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ [٤].

لكنه لا يستحيل أن ينزل عليه ما ليس بقرآن وأنكر قول من نسب عثمان رضي الله عنه إلى البدعة في كتبه: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ في أول كل سورة، وقال: لو أبدع لاستحال في العادة سكوت أهل الدين عنه، مع تصلبهم في الدين، كيف

= أربعة أصناف: زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة، ن: الفرق بين الفرق للبغدادي: (١٥) واللسان (رفض) والقاموس (رفض).

(١) الكتبة بالكسر اكتتابك كتابًا تنسخه، ن: اللسان (كتب).

(٢) التعاشير: ج تعشير، وهو الزيادة والتمام، ن: اللسان (عشر).

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني أبو بكر: ولد سنة (٣٣٨هـ) قاضٍ من كبار علماء التوحيد، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، كان جيد الاستنباط سريع الجواب، من كتبه « إعجاز القرآن » والإنصاف (ت ٤٠٣هـ)، ن: وفيات الأعيان (٦٨١/١) وتاريخ بغداد (٣٧٩/٥) والوافي بالوفيات (١٧٧/٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه بلفظ: « كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾، باب من جهر بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ (٢٠٩/١) حديث رقم (٧٨٨) ون: تفسير ابن كثير (٢٥/١).

وقد أنكروا على من أثبت أسامي السور والنقط والتعشير؟! فما بالهم لم يجيبوا بأنا أبدعنا ذلك كما أبدع عثمان ﷺ كِتْبَة البسملة، لا سيما واسم السور يكتب بخط آخر متميز عن القرآن، والبسملة مكتوبة بخط القرآن متصلة به بحيث لا تتميز عنه، فتحيل العادة السكوت على من يبدعها لولا أنه بأمر رسول الله ﷺ.

والجواب أنا نقول: لا وجه لقطع القاضي بتخطئة الشافعي رحمه الله؛ لأن إلحاق ما ليس بقرآن بالقرآن كفر، كما أنه من ألحق القنوت أو التشهد أو التعوذ بالقرآن فقد كفر، فمن ألحق البسملة لِمَ لا يكفر؟ ولا سبب له إلا أنه يقال: لم يثبت انتفاؤه من القرآن بنص متواتر. فنقول: لو لم يكن من القرآن لوجب على الرسول ﷺ التصريح بأنه ليس من القرآن، وإشاعة ذلك على وجه يقطع الشك كما في التعوذ والتشهد. فإن قيل: ما ليس من القرآن لا حصر له حتى ينفى، إنما الذي يجب التنصيص عليه ما هو من القرآن. قلنا: هذا صحيح لو لم تكتب البسملة بأمر رسول الله ﷺ مع القرآن بخط القرآن ولو لم يكن منزلًا على رسول الله ﷺ مع أول كل سورة، وذلك يوهم قطعًا أنه من القرآن، ولا يُظن برسول الله ﷺ أنه لم يعرف كونه مُوْهِمًا ولا جواز السكوت عن نفيه مع توهم إلحاقه.

فإذن القاضي رحمه الله يقول: لو كان من القرآن لقطع الشك بنص متواتر تقوم الحجة به. ونحن نقول: لو لم يكن من القرآن لوجب على رسول الله ﷺ التصريح بأنه ليس من القرآن وإشاعته، ولنفاه بنص متواتر بعد أن أمر بكتبه بخط القرآن؛ إذ لا عذر في السكوت عن قطع هذا التوهم.

فأما عدم التصريح بأنه من القرآن، فإنه كان اعتمادًا على قرائن الأحوال؛ إذ كان يملي على الكاتب مع القرآن، وكان الرسول عليه السلام في أثناء إملائه لا يكرر مع كل كلمة وآية أنها من القرآن، بل كان جلوسه له، وقرائن أحواله؛ تدل عليه، وكان يعرف كل ذلك قطعًا.

ثم لما كانت البسملة أمر بها في أول كل أمر ذي بال، ووجد ذلك في أوائل السور، ظن قوم أنه كتب على سبيل التبرك، وهذا الظن خطأ؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: تسرق الشياطين من الناس آية من القرآن؛ لما ترك بعضهم قراءة البسملة في أول السورة، فقطع أنها آية ولم ينكر عليه، كما ينكر على من ألحق التعوذ والتشهد بالقرآن. فدل على أن ذلك كان مقطوعًا به وحدث الوهم بعده.

فإن قيل: بعد حدوث الوهم والظن صارت البسملة اجتهادية، وخرجت عن مظنة القطع، فكيف يثبت القرآن بالاجتهاد؟! قلنا: جوَّز القاضي رحمه الله الخلاف في عدد الآيات

ومقاديرها، وأقر بأن ذلك منوط باجتهاد القراء، وأنه لم يبين بيانًا شافيًا قاطعًا للشك.

والبسملة من القرآن في سورة « النمل »، فهي مقطوع بكونها من القرآن. وإنما الخلاف في أنها من القرآن مرة واحدة أو مرات كما كتبت، فهذا يجوز أن يقع الشك فيه ويُعلم بالاجتهاد؛ لأنه نظر في تعيين موضع الآية بعد كونها مكتوبة بخط القرآن. فهذا جائز وقوعه، والدليل على إمكان الوقوع وأن الاجتهاد قد تطرق إليه أن النافي لم يكفِّر الملحق، والملحق لم يكفر النافي، بخلاف القنوت والتشهد. فصارت البسملة نظرية، وكتبها بخط القرآن مع القرآن مع صلابة الصحابة وتشددهم في حفظ القرآن عن الزيادة قاطع، أو كالقاطع في أنها من القرآن. فإن قيل: فالمسألة صارت نظرية وخرجت من أن تكون معلومة بالتواتر علمًا ضروريًّا فهي قطعية أو ظنية. قلنا: الإنصاف أنها ليست قطعية، بل هي اجتهادية، ودليل جواز الاجتهاد فيها وقوع الخلاف في زمن الصحابة ﷺ، حتى قال ابن عباس ﷺ: تسرق الشياطين من الناس آية، ولم يكفِّر بإلحاقها بالقرآن ولا أنكر عليه، ونعلم أنه لو نقل الصديق ﷺ أن الرسول ﷺ قال: « البسملة من سورة « الحمد » وأوائل السور المكتوبة معها »، لقبل ذلك بسبب كونها مكتوبة بأمر رسول الله ﷺ، ولو نقل: « إن القنوت من القرآن » لعُلم بطلان ذلك بطريق قاطع لا يشك فيه.

وعلى الجملة، إذا أنصفنا وجدنا أنفسنا شاكين في مسألة البسملة، قاطعين في مسألة التعوذ والقنوت، وإذا نظرنا في كتبها مع القرآن بأمر رسول الله ﷺ مع سكوته عن التصريح بنفي كونها من القرآن بعد تحقق سبب الوهم كان ذلك دليلًا ظاهرًا كالقطع في كونها من القرآن، فدل أن الاجتهاد لا يتطرق إلى أصل القرآن، أما ما هو من القرآن وهو مكتوب بخطه فالاجتهاد فيه يتطرق إلى تعيين موضعه، وأنه من القرآن مرة أو مرات، وقد أوردنا ذلك في كتاب « حقيقة القرآن »[1] وتأويل ما طُعن به على الشافعي رحمه الله في ترديده القول في هذه المسألة.

فإن قيل: قد أوجبتم قراءة البسملة في الصلاة، وهو مبني على كونها قرآنًا، وكونه قرآنًا لا يثبت بالظن، فإن الظن علامة وجوب العمل في المجتهدات، وإلا فهو جهل؛ أي ليس بعلم، فليكن كالتتابع في قراءة ابن مسعود.

---

(١) هذا الكتاب أورده د. عبد الرحمن بدوي ضمن الكتب المقطوع بصحة نسبتها إلى الغزالي، وأشار إلى أنه كتاب مستقل قائم برأسه بعنوان: « حقيقة القرآن »، ن: مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (ص ٢١٥).

قلنا: وردت أخبار صحيحة في وجوب قراءة البسملة وكونها قرآنًا متواترًا معلومًا، وإنما المشكوك فيه، أنها قرآن مرة في سورة « النمل » أو مرات كثيرة في أول كل سورة فكيف تساوي قراءة ابن مسعود ولا يثبت بها القرآن، ولا هي خبر؟ وهاهنا صحت أخبار في وجوب البسملة وصح بالتواتر أنها من القرآن.

وعلى الجملة فالفرق بين المسألتين ظاهر.

٨ - قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ نبأ عن الذات، وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ نبأ عن صفة من صفات خاصة، وخاصيتها أنها تستدعي سائر الصفات من العلم والقدرة وغيرهما ثم تتعلق بالخلق - وهم المرحومون - تعلقًا يؤنسهم به، ويشوقهم إليه ويُرغِّب في طاعته، لا كوصف الغضب لو ذكره بدلًا عن الرحمة، فإن ذلك يحزن ويخوِّف ويقبض القلب ولا يشرحه.

٩ - المراد بالاسم هاهنا هو المسمى.

• ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (١).

١٠ - ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ومعناه: أن الشكر لله؛ إذ النعم من الله. ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر - لا من حيث إنه مسخر من الله ﷻ - ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى.

١١ - وهي مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته ﷻ، فما كان من أسمائه متضمنًا الإثبات؛ كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج تحتها، فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه، وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه، وكل جلال أدركناه، وراء ما نفيناه وأثبتناه شأن عظيم، قد غاب عنا، وجهلناه فنحققه من جهة الإجمال بقولنا: الله أكبر.

١٢ - لو أدرجت الباقيات الصالحات (٢) في كلمة على سبيل الإجمال وهي:

---

٨ - جواهر القرآن ودرره (ص ٤٩). ٩ - الإحياء (١/١٩٧).

١٠ - نفسه (١/١٩٧).

١١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، رقم (٢) (ص ٦٦، ٦٧).

١٢ - نفسه (٦٧، ٦٨).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ من سورة الفاتحة (ص ٦٣).

(٢) الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ن: روضة الطالبين وعمدة السالكين =

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ لاندرجت فيها، كما قال السيد الجليل والإمام الحفيل [١] علي ابن أبي طالب ﷺ: « لو شئت أن أوقر بعيرًا من قول: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ لفعلت »؛ فإن ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ هو الثناء، والثناء يكون بإثبات الكمال تارة وسلب النقص أخرى، وتارة بالاعتراف بالعجز عن إدراك الإدراك، وتارة بإثبات التفرد بالكمال، والتفرد والكمال من أعلى مراتب المدح والكمال.

وقد اشتملت هذه الكلمة على ما ذكرناه في الباقيات الصالحات؛ لأن الألف واللام فيها لاستغراق جنس المدح، والحمد ما علمناه وجهلناه، ولا خروج للمدح عن شيء مما ذكرناه، ولا يستحق الإلهية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه، ولا يخرج عن هذا الاعتقاد ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد من أهل الملك، إلا من خذله اللّٰه واتبع هواه وكان أمره فرطًا، وعصا مولاه، أولئك قوم قد غمرهم ذل الحجاب وطُردوا عن الباب، أُبعدوا عن ذلك الجناب، وحُقَّ لمن حُجب في الدنيا عن إجلاله ومعرفته أن يحجب في الآخرة عن إكرامه ورؤيته.

١٣ - وقوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ يشتمل على شيئين:

أحدهما: أصل الحمد، وهو الشكر، وذلك أول الصراط المستقيم، وكأنه شطره؛ فإن الإيمان العملي نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، كما تعرف حقيقة ذلك إن أردت معرفة ذلك باليقين من كتاب « إحياء علوم الدين »، لا سيما من كتاب « الشكر » و« الصبر » منه [٢]. وفضل الشكر على الصبر، كفضل الرحمة على الغضب، فإن هذا يصدر عن الارتياح وهزة الشوق وروح المحبة، وأما الصبر على قضاء اللّٰه فيصدر عن الخوف والرهبة، ولا يخلو عن الكرب والضيق. وسلوك الصراط المستقيم إلى اللّٰه تعالى بطريق المحبة وأعمالها أفضل كثيرًا من سلوك طريق الخوف، وإنما يعلم سر ذلك من كتاب « المحبة والشوق » [٣] من جملة كتاب « الإحياء » ولذلك قال رسول اللّٰه ﷺ: « **أول ما يُدعى إلى الجنة الحمادون للّٰه على كل حال** » [٤].

---

١٣ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٠ - ٥٣).

= ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٢) (ص ٦٦).

(١) يقال: ذو حفيل في أمره أي ذو اجتهاد . اللسان (حفل).

(٢) ن: الإحياء (٦٣/٤) وما بعدها (٨٦/٤) وما بعدها.

(٣) نفسه (٣١١/٤) وما بعدها.

(٤) أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في « الشعب » من حديث ابن عباس وفيه قيس بن الربيع =

والثاني: قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ إشارة إلى الأفعال كلها، وإضافتها إليه بأوجز لفظ وأتمه إحاطةً بأصناف الأفعال لفظ: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾. وأفضل النسبة من الفعل إليه نسبة الربوبية، فإن ذلك أتم وأكمل في التعظيم من قولك: « أعلى العالمين » و « خالق العالمين ».

• ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾

إشارة إلى الصفة مرة أخرى، ولا تظن أنه مكرر، فلا تكرر في القرآن؛ إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة. وذكر الرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة:

إحداهما: تلتفت إلى خلق رب العالمين؛ فإنه خلق كل واحد منهم على أكمل أنواعه وأفضلها، وآتاه كل ما يحتاج إليه. فأحد العوالم التي خلقها عالم البهائم، وأصغرها البعوض والذباب والعنكبوت والنحل.

فانظر إلى البعوض: كيف خلق أعضاءها؛ فقد خلق عليها كل عضو خلقه على الفيل، حتى خلق له خرطومًا مستطيلًا حاد الرأس ثم هداه إلى غذائه إلى أن يمص دم الآدمي، فتراه يغرز فيه خرطومه، ويمص من ذلك التجويف غذاء، وخلق له جناحين ليكون له آلة الهرب إذا قصد دفعه.

وانظر إلى الذباب كيف خلق أعضاءه، وخلق حدقتيه مكشوفتين بلا أجفان؛ إذ لا يحتمل رأسه الصغير الأجفان، والأجفان يُحتاج إليها لتصقيل الحدقة مما يلحقها من الأقذاء والغبار، وانظر كيف خلق له بدلًا عن الأجفان يدين زائدتين، فله سوى الأرجل الأربع يدان زائدتان، تراه إذا وقع على الأرض لا يزال يمسح حدقتيه بيديه يصقلها عن الغبار.

وانظر إلى العنكبوت: كيف خلق أطرافها وعلّمها حيلة النسج، وكيف علمها حيلة الصيد بغير جناحين؛ إذ خلق لها لعابًا لزجًا تعلق نفسها به في زاوية، وتترصد طيران الذباب بالقرب منها، فترمي إليه نفسها فتأخذه وتقيده بخيطها الممدود من لعابها، فتعجزه عن الإفلات حتى تأكله أو تدخره.

وانظر إلى نسج العنكبوت لبيتها، كيف هداها اللّٰه نسجه على التناسب الهندسي في ترتيب السدى واللحمة.

= ضعفه الجمهور، ن: المغني بهامش الإحياء (٨٦/٤).

وانظر إلى النحل وعجائبها التي لا تحصى؛ في جمع الشهد والشمع. وننبهك على هندستها في بناء بيتها؛ فإنها تبني على شكل المسدس، كي لا يضيق المكان على رفقائها؛ لأنها تزدحم في موضع واحد على كثرتها، ولو بَنَت البيوت مستديرة لبقي خارج المستديرات فرج ضائعة، فإن الدوائر لا تراص، وكذلك سائر الأشكال، وأما المربعات فتراص، ولكن شكل النحل يميل إلى الاستدارة فيبقى داخل البيت زوايا ضائعة، كما يبقى في المستدير خارج البيت فرج ضائعة، فلا شكل من الأشكال يقرب من المستدير في التراص غير المسدس، وذلك يعرف بالبرهان الهندسي.

فانظر كيف هداه الله خاصية هذا الشكل، وهذا أنموذج من عجائب صنع الله ولطفه ورحمته بخلقه، فإن الأدنى ينبه على الأعلى، وهذه الغرائب لا يمكن أن تُستقصى في أعمار طويلة، أعني: ما انكشف للآدميين منها، وإنه ليسير بالإضافة إلى ما لا ينكشف، أو استأثر هو والملائكة بعلمه، وربما تجد تلويحات من هذا الجنس في كتاب « الشكر » وكتاب « المحبة » فاطلبه إن كنت له أهلًا، وإلا فغض بصرك عن آثار رحمة الله ولا تنظر إليها، ولا تسرح في ميدان معرفة الصنع ولا تتفرج فيه، واشتغل بأشعار المتنبي وغرائب النحو لسيبويه وفروع ابن الحداد [1] في نوادر الطلاق وحيل المجادلة في الكلام، فذلك أليق بك، فإن قيمتك على قدر همتك ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤] و ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]. ولنرجع إلى الغرض، والمقصود التنبيه على أنموذج من رحمة الله في خلق العالمين.

وثانيها: تعلقها بقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ فيشير إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة وعبادة، وشرح ذلك يطول.

والمقصود: أنه لا مكرر في القرآن، فإن رأيت شيئًا مكررًا من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد في إعادته.

١٤ - الرحمة ترجع إلى الإرادة مضافة إلى قضاء حاجة المحتاج الضعيف.

---

١٤ - روضة الطالبين ضمن المجموعة، رقم (٢) (ص ٦٦).

---

(١) هو الإمام العلامة الثبت شيخ الإسلام، عالم العصر، أبو بكر محمد بن الحداد بن محمد بن جعفر الكناني المصري الشافعي ابن الحداد صاحب كتاب « الفروع » في المذهب، لازم النسائي كثيرًا، ولم يحدث عن غيره، (ت ٣٤٤هـ)، ن: وفيات الأعيان (١٩٧/٤، ١٩٨) وشذرات الذهب (٣٦٧/٢، ٣٦٨).

• ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾.

١٥ - الملك: هو الذات التي لا تحتاج إلى شيء، ويحتاج إليها كل شيء.

١٦ - أما قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ فإشارة إلى الآخرة في المعاد، وهو أحد الأقسام من الأصول [١]، مع الإشارة إلى معنى المُـلْكِ والمَلِكِ وذلك من صفات الجلال.

١٧ - استثر [٢] من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾، أما العظمة: فلأن لا ملك إلا له، وأما الخوف: فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه.

• ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾

١٨ - يشمل على ركنين عظيمين:

أحدهما: العبادة مع الإخلاص بالإضافة إليه خاصة، وذلك هو روح الصراط المستقيم كما تعرفه في كتاب « الصدق والإخلاص » [٣] وكتاب « ذم الجاه والرياء » [٤] من كتاب « الإحياء ».

والثاني: اعتقاد أنه لا يستحق العبادة سواه، وهو لباب عقيدة التوحيد، وذلك بالتبري عن الحول والقوة، ومعرفة أن الله منفرد بالأفعال كلها، وأن العبد لا يستقل بنفسه دون معونته.

فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ إشارة إلى تحلية النفس بالعبادة والإخلاص، وقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾ إشارة إلى تزكيتها عن الشرك والالتفات إلى الحول والقوة.

وقد ذكرنا أن مدار سلوك الصراط المستقيم على قسمين:

أحدهما: التزكية بنفي ما لا ينبغي.

والثاني: التحلية بتحصيل ما لا ينبغي، وقد اشتمل عليهما كلمتان من جملة الفاتحة.

• ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ﴾

١٩ - أول دعاء علّمه رب العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم الله من بين

---

١٥ - روضة الطالبين (ص ٦٥).
١٦ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٣).
١٧ - الإحياء (١/١٩٧، ١٩٨).
١٨ - جواهر القرآن ودرره (٥٣، ٥٤).
١٩ - منهاج العابدين (٣٣٦).

---

(١) ن: النص، رقم (٢٦) من البحث.
(٢) أي استكثر، يقال: سحاب ثر، أي كثير الماء، ن: اللسان (ثرر).
(٣) ن: الإحياء (٤/٣٨١)، وما بعدها.
(٤) نفسه (٣ / ٢١٩) وما بعدها.

خلقه: هذا الدعاء، قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ أي: ثبتنا عليه وأدمه لنا.

٢٠ - ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ سؤال ودعاء، وهو مخ العبادة كما تعرفه من الأذكار والدعوات (١) من كتب « الإحياء » وهو تنبيه على حاجة الإنسان إلى التضرع والابتهال إلى الله تعالى، وهو روح العبودية، وتنبيه على أن أهم حاجة الهداية إلى الصراط المستقيم؛ إذ به السلوك إلى الله تعالى كما سبق ذكره.

٢١ - قال ﷺ: « **شيبتني هود وأخواتها** » (٢) وأراد به قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]، فإن الامتداد على الصراط المستقيم في طلب الوسط بين هذه الأطراف شديد، وهو أدق من الشعر وأحدُّ من السيف كما وصف من حال الصراط في الدار الآخرة، بل يكون في الآخرة مستقيمًا؛ إذ يموت المرء على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه؛ ولذلك يجب في كل ركعة من الصلاة سورة « الفاتحة » المشتملة على قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾... فإنه أعز الأمور وأعصاها على الطالب، ولو كلف ذلك في خلق واحد لطال العناء فيه، فكيف وقد كلفنا ذلك في جميع الأخلاق مع خروجها عن الحصر.. ولا مخلص من هذه المخاطرات إلا بتوفيق الله ورحمته.

٢٢ - **الصراط المستقيم**: عبارة عن الوسط الحقيقي بين الأخلاق المتضادة؛ لذلك قد بين الله بهذا الدعاء في سورة « الفاتحة »؛ حيث قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾... مثال ذلك: السخاوة بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، والاقتصاد بين الإسراف والإقتار، والتواضع بين التكبر والدناءة، والعفة بين الشهوة والخمود. فهذه الأخلاق لها طرف إفراط وطرف تقصير، فهو على غاية البعد من كل طرف؛ ولذلك قال ﷺ: « **خير الأمور أوساطها** » (٣).

---

٢٠ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٤). ٢١ - معارج القدس (ص ٨٨) وميزان العمل (٢٦٨).

٢٢ - المضنون به على غير أهله ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٥٧، ١٥٨).

---

(١) ن: الإحياء (١/٣٤٩) وما بعدها.

(٢) ذكر السيوطي في الجامع الصغير هذا الحديث (٢/٨١) مع زياداته فبلغت ثمانية أحاديث بروايات ومصادر عدة، وقد حسنها جميعها من رقم (٤٩١١ - ٤٩١٨).

أما هذا الحديث فرواه الطبراني في المعجم الكبير عن عقبة بن عامر، وعن أبي جحيفة، ورمز السيوطي إلى صحته، ن: فيض القدير للمناوي (٤/١٦٨، ١٦٩) وكنز العمال، الحديث، رقم (٨٥٨٦).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلًا، ورواه الحافظ أبو بكر محمد بن علي -

الصراط المستقيم: هو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له إلى أحد الجانبين، وهو أدق من الشعر، فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط، ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة، فلا تموت إلا على المركز؛ لأنه الوسط الذي هو غاية البعد من المحيط المحرق، وتلك النقطة لا عرض لها.

فإن الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين، ولا عرض له، فهو أدق من الشعر؛ ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه، فلا جرم يورد أمثالنا النار بقدر ميله عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم :٧١].

٢٣ - لأجل الاستقامة، وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾؛ إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

• ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٢٤ - ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخر السورة: فهو تذكير بنعمته على أوليائه، ونقمته وغضبه على أعدائه؛ لسيتثير الرغبة والرهبة من صميم الفؤاد.

وقد ذكرنا أن ذكر قصص الأنبياء والأعداء قسمان من أقسام القرآن عظيمان.

٢٥ - إذا فرغت من التعوذ ومن قولك: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾، ومن التحميد، ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقًا، فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك، وقل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك، وزده شرحًا وتفصيلًا وتأكيدًا واستشهادًا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين، ثم التمس الإجابة وقل: (آمين).

---

٢٣ - الإحياء (٦٩/٣). ٢٤ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٤).

٢٥ - الإحياء (١٩٨/١).

= ابن ياسر الجياني في الأربعين العلوية من طريق أهل البيت، من حديث علي ولا يصح، ن: المغني بهامش الإحياء (٦٢/٣).

وقال الزبيدي: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعًا، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي، ن: إتحاف المتقين (٢٤٦/٨).

وقد أورد القرطبي هذا الحديث في تفسيره (١٥٤/٢)، (٢٧٦/٦).

فإذا تلوت الفاتحة كذلك، فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل** » [١] يقول العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فيقول الله ﷻ: حمدني عبدي وأثنى عليَّ، وهو معنى قوله: « **سمع الله لمن حمده** » الحديث... إلخ. فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟!

٢٦ - اشتملت الفاتحة من الأقسام العشرة [٢] على ثمانية أقسام: الذات والصفات والأفعال، وذكر المعاد والصراط المستقيم بجميع طرفيه - أعني التزكية والتحلية - وذكر نعمة الأولياء وغضب الأعداء وذكر المعاد، ولم يخرج منه إلا قسمان: محاجة الكفار، وأحكام الفقهاء؛ وهما الفنان اللذان يتشعب منهما علم الكلام وعلم الفقه [٣]، وبهذا يتبين أنهما واقعان في الصنف الأخير من مراتب علوم الدين، وإنما قدمهما حب المال والجاه وفقط.

٢٧ - الفاتحة بعده [٤] متعينة (ح) لا يقوم (ح) ترجمتها مقامها، ويستوي فيه الإمام والمأموم (ح) في السرية والجهرية (ح) إلا في ركعتي المسبوق، ونقل المزني [٥] سقوطها عن المأموم في الجهرية.

---

٢٦ - جواهر القرآن ودرره (ص ٥٤، ٥٥). ٢٧ - الوجيز (٤٢).

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ. كتاب الصلاة (٢٩٦/١)، حديث رقم (٣٨) بلفظ: (يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله: حمدني عبدي وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال الله: مجدني عبدي وإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) ون: تفسير ابن كثير (٢٧/١).

(٢) أي الموضوعات العامة الرئيسية التي يشتمل عليها القرآن الكريم. ن: جواهر القرآن (ص ٢١).

(٣) تراجع الإمام الغزالي عن رأيه في مقدمة المستصفى (ص ٤)، بعد أن نقّص من أهمية الفقه والفقهاء في الإحياء (٤٤/١) وجواهر القرآن ودرره (ص ٥٥).

(٤) أي: بعد التكبير.

(٥) الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي، وهو من أهل مصر، كان زاهدًا عالمًا غواصًا على المعاني الدقيقة، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه، صنف كتبًا كثيرة في مذهب الإمام الشافعي الذي قال عنه: المزني ناصر مذهبي. توفي في مصر سنة (٢٦٤هـ). ن: وفيات الأعيان (٢١٧/١) وشذرات الذهب (١٤٨/٢) وسير أعلام النبلاء (٤٩٢/١٢).

٢٨ - بعد الفاتحة سنتان:

إحداهما: التأمين مع تخفيف الميم ممدودة أو مقصورة، وفي جهر الإمام به خلاف، والأظهر الجهر، وليؤمن المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده.

الثانية: السورة وهي مستحبة للإمام والمنفرد في ركعتين، والأولين من غيرهما.

٢٩ - النظر في الفاتحة وسوابقها ولواحقها [١]:

أما السوابق: فدعاء الاستفتاح عقب التكبير، وهو مشهور، والتعوذ بعده من غير جهر إلا في قول قديم. وأما استحباب التعوذ في كل ركعة فوجهان من حيث إن الصلاة في حكم شيء واحد، ولكن كل ركعة كالمنقطعة عما قبلها.

أما الفاتحة، فالنظر في القادر والعاجز. أما القادر فتلزمه أمور خمسة:

الأول: أن أصل الفاتحة متعين على الإمام والمأموم في الصلاة السرية والجهرية، إلا في ركعة المسبوق.

وقال أبو حنيفة: تقوم ترجمتها وغيرها من السور مقامها، وخالف قوله عليه الصلاة والسلام: « **لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب** » [٢].

وقال: لا تجب القراءة على المأموم أصلًا. وهو الذي نقله المزني، ولكن في الصلاة الجهرية.

الثاني: تجب قراءة: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾؛ إذ روى البخاري أنه ﷺ عد الفاتحة سبع آيات وعد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ آية منها [٣].

الثالث: كل حرف من الفاتحة ركن، فلو ترك تشديدًا فهو ترك حرفًا، ولو أبدل حرفًا بحرف لم يجزه، ولو أبدل الضاد بالظاء ففيه تردد لقرب المخرج وعسر التمييز.

---

٢٨ - الوجيز (ص ٤٣). ٢٩ - الوسيط في المذهب (٢/٦٠٧ - ٦١٥).

---

(١) في الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (١/١٤٨) ومسلم في باب الصلاة (١/٢٩٥).

(٣) قال محقق الوسيط في المذهب: علي محيي الدين علي القرة درغي: تبع الإمام الغزالي أستاذه إمام الحرمين في أن البخاري روى هذا الحديث. قال الإمام النووي: « لم يورده البخاري في صحيحه ولا في تاريخه » وقال الحافظ بن حجر: « وهو من الوهم الفاحش » لكن روى ابن خزيمة في صحيحه أن النبي ﷺ عد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ آية منها، ن: الوسيط في المذهب (٢/٦٠٧ - ٦١٥) وصحيح ابن خزيمة (١/٢١٨) باب ذكر الدليل على أن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ من فاتحة الكتاب.

الرابع: رعاية الترتيب فيها شرط، فلو قرأ النصف الأخير أولًا، لم يجزه؛ لأن الترتيب ركن في الإعجاز، فأما التشهد إذا قدم المؤخر منه ولم يغير المعنى فهو قريب من قوله: « عليكم السلام ».

الخامس: الموالاة شرط بين كلماتها، فلو قطعها بسكوت طويل وجب الاستئناف إلا على وجه بعيد ذكره العراقيون، ولو تخللها تسبيح يسير انقطعت الموالاة، بخلاف ما لو كرر كلمة من نفس الفاتحة، فإن ذلك لا يعد انتقالًا إلى غيرها؛ ولذلك لو قرأ الفاتحة مرات لم يضر، بخلاف تكرير الركوع، وفيه وجه ضعيف أنه كالركوع.

فرعان:

لو قال الإمام: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ وقال المأموم: « آمين » لا تنقطع به الفاتحة إذا كان أثنائها، ومنه وجه آخر أنها تنقطع، والأول أظهر؛ لأنه إذا جرى له سبب لم يعد انتقالًا، وهذا الخلاف يجري فيما إذا سأل أو استعاذ عند قراءة الإمام: آية رحمة أو عقاب، أو سجد مع الإمام عند قراءة الإمام آية سجدة، فإن هذه الأسباب متقاضية.

الثاني: لو ترك الموالاة ناسيًا نقل العراقيون أنه لا يضر، وللشافعي ﷺ قول في القديم: إنه لو ترك الفاتحة ناسيًا لم يضر؛ لأن النسيان عذر كالسبق، ولكن ليس هذا تفريعًا عليه؛ إذ فرق بينه وبين ترك ترتيبها ناسيًا، ويتأيد ذلك بأنه لو طوَّل ركنًا قصيرًا ناسيًا لم يضر، وإن انقطعت به موالاة الأركان.

أما العاجز وهو الأمي ففيه أربع مسائل:

الأول: أنه لا تجزيه ترجمته، بل إن قدر فيأتي بسبع آيات من القرآن متوالية لا تنقص حروفها عن حروف الفاتحة، فإن نقصت الحروف دون عدد الآيات ففيه وجهان، فإن عجز عن آيات متوالية فتجزئه آيات متفرقة، فإن لم يكن آحادها مفهمة كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ [المدثر: ٢١] لم يبعد أن يرد إلى الأذكار، فإن لم يُحسن إلا آية واحدة، فيأتي بها وبالأذكار بدلًا عن البقية. وقيل: إنه يكرر الآية سبعًا فيكفيه، فإن لم يُحسن من القرآن شيئًا فيأتي بتسبيح وتهليل؛ كقوله: سبحان اللّه، والحمد للّه، وما فيه ثناء على اللّه، ويراعي مساواته في الحروف. وفي الدعاء المحض اختلاف في: هل يقوم مقام التسبيح؟

الثانية: إذا لم يحسن النصف الأول من الفاتحة، فيأتي أولًا بالذكر بدلًا عنه ثم يأتي بما يحسن منها.

الثالثة: إذا تعلم الفاتحة في أثناء الصلاة قبل قراءة البدل لزمته، وإن كان بعد الركوع لم تلزمه، وإن قبل الركوع وبعد الفراغ فوجهان، ووجه الوجوه بقاء مظنة القراءة، ولو كان أثناء البدل لزمه ما بقي من البدل. وفي لزوم الاستئناف خلاف، والأصح أنه يجب.

الرابعة: إذا قرأ الأمي دعاء الاستفتاح، وقصد به بدل الفاتحة جاز، وإن قصد الاستفتاح لم تسقط به القراءة فعليه الإعادة، ولو أطلق، ففي سائر الأذكار تردد، ذكره صاحب التقريب [1] في أنه هل يشترط قصد البداية؟ واشتراطه في دعاء الاستفتاح أوجه؛ لأن قرينة الحال تصرفه إلى الاستفتاح.

أما لواحق الفاتحة فشيئان:

الأول: التأمين، فهو مستحب عقب الفراغ للمأموم المنفرد، وفيه لغتان: القصر والمد، والميم مخففة على اللغتين، وهو صيغة وضعت لتحقيق الدعاء، ومعناه: ليكن كذلك، كقولهم: « صه » للأمر بالسكوت.

ثم اختلف نص الشافعي ﷺ في جهر المأموم به، فقيل: إن كان في القوم كثرة جهروا ليبلغ الصوت، وإلا فلا. وقيل: فيه قولان:

أحدهما: بنعم، لما روى أبو هريرة: « أن رسول اللّه ﷺ كان إذا أمَّن أمَّن مَن خلفه حتى كان للمسجد ضجة » [2].

والثاني: لا، كسائر الأذكار.

وأما الضجة فهي هينمة حصلت من همس القوم عند كثرتهم.

وقيل: إن لم يجهر الإمام جهر المأموم، وإن جهر الإمام ففي المأموم قولان.

ثم المستحب أن يؤمن مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده؛ لأنه يؤمن لقراءته لا لتأمينه.

وقد روي عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: « **إذا قال الإمام: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ فقولوا: آمين، فإن الملائكة تؤمن عند ذلك، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** » [3].

---

(١) التقريب والإرشاد في طرق ترتيب طرق الاجتهاد للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ).

(٢) روى ابن ماجه معنى هذا الحديث عن أبي هريرة قال: « ترك الناس التأمين!! كان رسول اللّه ﷺ إذا قال: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ قال: آمين، حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج لها المسجد ». كتاب إقامة الصلاة (٢٧٨/١). حديث (٨٥٣).

(٣) الحديث متفق عليه من طريق الزهري. أخرجه البخاري في كتاب الأذان (١٨٩/١، ١٩٠)، ومسلم في =

٣٠ - لا يصل « آمين » بقوله: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ وصلًا.

٣١ - آمين: سنة مؤكدة.

* * *

* سُورَةُ البَقَرَةِ *

• [﴿ الٓمٓ ۝ ﴾][1].

٣٢ - قال بعض السلف: الحروف المقطعة في ابتداء بعض السور متشابهة [2] وما عاداها فَمُحْكَمَة.

٣٣ - نعم الحروف المقطعة إن كانت متشابهة فلتكن، فليس ذلك مما كلفنا فهمه.

٣٤ - فإن قيل: فما معنى الحروف في أوائل السور؟ إذ لا يعرف أحد معناها.

قلنا: أَكْثَرَ الناس فيها. وأقربها أقاويل (وأجودها) [3]: أنها أسامي السور حتى تعرف بها، فيقال: سورة « يس » و « طه ». وقيل: ذكرها اللّٰه تعالى لجمع دواعي العرب إلى الاستماع؛ لأنها تخالف عادتهم فتوقظهم عن الغفلة حتى تصرف قلوبهم إلى الإصغاء، فلم يذكرها لإرادة معنى. وقيل: إنما ذكرها كناية عن سائر حروف المعجم التي لا يخرج عنها جميع كلام العرب، تنبيهًا أنه ليس يخاطبهم إلا بلغتهم وحروفهم.

٣٥ - فمعانيها لا يمكن أن تدرك بالعقل؛ إذ اللغات تعرف بالاصطلاح، ولم يسبق اصطلاح من الخلق على حروف التهجي، وأن « المر » و « حم عسق » عبارة عن ماذا؟ فالمعصوم أيضًا لا يفهمه، وإنما يفهم ذلك من اللّٰه تعالى، إذا بين المراد به على لسان رسوله، فيفهم ذلك سماعًا وذلك لا يخلو:

إما أن لم يذكره الرسول؛ لأنه لا حاجة إلى معرفته ولم يكلف الخلق به، فالمعصوم

---

٣٠ - الإحياء (١/١٨٢).
٣١ - نفسه (١/١٨٦).
٣٢ - المنخول (ص ١٧٠).
٣٣ - نفسه (ص ١٧٣).
٣٤ - المستصفى (١/١٠٦).
٣٥ - فضائح الباطنية (ص ١١٨).

= كتاب الصلاة (١/٣٠٦، ٣٠٧ - ٣١٠).

(١) قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ﴾ لم يورده أبو حامد الغزالي، وإنما أوردته بين معقوفين قصد البيان.

(٢) الضمير هنا يعود على القرآن الكريم.

(٣) في الأصل « أحدها » ولعل الصواب ما أثبته.

شريك في (أن) [١] لا يعرفه؛ إذ لم يسمعه من الرسول [٢].

وإن عرضه وذكره فقد ذكر ما بالخلق مندوحة [عن] [٣] معرفته، فإنهم لن يكلفوه.

وإن ذكره الرسول فقد اشترك في معرفته من بلغه الخبر - متواترًا كان أو آحادًا -، وفيه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين نقل.

فإن كان متواترًا أفاد علمًا، وإلا أفاد ظنًّا، والظن فيه كافٍ، بل لا حاجة إلى معرفته فإنه لا تكليف فيه.

• ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ﴿١٠﴾ ﴾.

٣٦ - ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: شك.

٣٧ - ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ لما كانوا لا ينتفعون بالقرآن.

٣٨ - ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ إشارة إلى مرض العقول.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ... ﴿٢١﴾ ﴾

٣٩ - أمر التكليف جارٍ على خصوص الخلق لنظام وجود العالم الصغير؛ وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ وكذلك جميع الأوامر والنواهي.

• ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٤٠ - عمدة أدلة المتكلمين في النبوة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾.

• ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

٤١ - ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ قالوا: هكذا كان الناس على المنهج القديم: ليس تحليل ولا تحريم، ولكن الأنبياء حللوا أشياء وحرموا أشياء.

---

٣٦ - المستصفى (٣٥٩/٢).

٣٧ - ميزان العمل (ص ٣٣٨).

٣٨ - الإحياء (١٠٧/٤).

٣٩ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٣٤).

٤٠ - الإحياء (١١٥/١).

٤١ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٢٧).

---

(١) في الأصل « أنه » ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) أي جبريل عليه السلام.

(٣) في الأصل « من » ولعل الصواب ما أثبته.

٤٢ - قال مالك لما سئل عن الاستواء: « الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة » [(١)].

وقال سفيان بن عيينة [(٢)]: يفهم منه ما فهم من قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

وقد تحزب الناس فيه: فضلَّ فريق وأجروه على الظاهر، وتبعهم آخرون؛ إذ ترددوا فيه، وإن لم يجزموا.

وفاز من قطع بنفي الاستقرار، فإن تردد في مجمله ورآه، فلا يعاب عليه.

وتكلف تعلم الأدلة على نفي الاستقرار، لا نراه واجبًا على آحاد الناس، بل يجب على شخص في كل إقليم أن يقوم به، يدفع البدع إذا ثارت عليه.

فإذن المتشابه: ما لا يُفهم معناه، وذلك محال في محل التكليف، فنعلم قطعًا أن هذه الآية ما أريد بها الاستقرار، فلا تشابه فيها.

٤٣ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ باقٍ على العموم.

٤٤ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنه عالم بذاته.

٤٥ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ دلَّ العقل على عمومه، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ [يونس: ١٨] إن معناه: ما لا يعلم له أصلًا، أي يعلم أنه لا أصل له، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] إذ معناه: أنه يعلم المجاهدة كائنة حاصلة.

• ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ... ٣٠ ﴾

٤٦ - الملائكة عرفت أن الموجود في مادة يعصي فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾.

---

٤٢ - المنخول (ص ١٧٢، ١٧٣).
٤٣ - المستصفى (٩٩/٢).
٤٤ - المنخول (ص ٤٤).
٤٥ - المستصفى (١٣٨/٢).
٤٦ - معراج السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٠٥).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥ ﴾ [طه: ٥].

(٢) هو الإمام الكبير شيخ الإسلام أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ثم المكي من تابعي التابعين، وقد اتفق العلماء على جلالته وعظم مرتبته. ولد سنة (١٠٨هـ). وطلب الحديث وهو حدث، ولقي الكبار وحمل عنهم علمًا جمًّا وأتقن وجوَّد، وجمع وصنف، وعمر دهرًا، وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علو الإسناد. توفي (١٩٨هـ)، ن: حلية الأولياء (٢٧٠/٧)، وتاريخ بغداد (١٧٤/٩)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٠/٨).

• ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴿٣١﴾ ﴾

٤٧ – ظاهر في كونه توقيفيًّا، وليس بقاطع؛ إذ يحتمل كونها مصطلحًا عليها من خلق خلقه اللَّه تعالى قبل آدم.

٤٨ – فإن قيل: قال اللَّه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ وهذا يدل على أنه كان بوحي وتوقيف، فيدل على الوقوع وإن لم يدل على استحالة خلافه. قلنا: وليس ذلك دليلًا قاطعًا على الوقوع أيضًا؛ إذ يتطرق إليه أربع **احتمالات:**

أحدها: أنه ربما ألهمه اللَّه تعالى الحاجة إلى الوضع فوضع بتدبيره وفكره، ونسب ذلك إلى تعليم اللَّه تعالى؛ لأنه الهادي والملهم ومحرك الداعية، كما تنسب جميع أفعالنا إلى اللَّه تعالى.

الثاني: أن الأسماء ربما كانت من الملائكة، فعلمه اللَّه تعالى ما تواضع عليه غيره.

الثالث: أن الأسماء صيغة عموم، فلعله أراد به أسماء السماء والأرض وما في الجنة والنار، دون الأسامي التي حدثت مسمياتها بعد آدم عليه السلام من الحرف والصناعات والآلات، وتخصص قوله تعالى: ﴿ كُلَّهَا ﴾ كتخصيص قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، إذ يخرج عنه ذاته وصفاته.

الرابع: أنه ربما علمه ثم نسيه، أو لم يعلم غيره، ثم اصطلح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة الآن، والغالب أن أكثرها حادثة بعده.

• [﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾].

٤٩ – علم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق؛ لأن محصوله عن اللَّه تعالى بلا واسطة ووسيلة، وبيان هذا يوجد في قصة آدم عليه السلام والملائكة، فإنهم تعلموا طول عمرهم، وحصلوا بفنون الطرق كثيرًا من العلوم، حتى صاروا أعلم المخلوقات

---

٤٧ – المنخول (ص ٧١). ٤٨ – المستصفى (١/٣٢٠ – ٣٢٢).

٤٩ – الرسالة اللدنية ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ١٠٤، ١٠٥).

وأعرف الموجودات، وآدم عليه السلام ما كان عالماً؛ لأنه ما تعلم وما رأى معلمًا، فتفاخرت الملائكة وتجبروا وتكبروا فقالوا: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٢٩]، ونعلم حقائق الأشياء. فرجع آدم عليه السلام إلى باب خالقه وأخرج قلبه عن جملة المكونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى، فعلمه جميع الأسماء: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ فصغر حالهم عند آدم، وقل علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم، فغرقوا في بحر العجز: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾، فأنبأهم آدم عليه السلام عدة مكنونات العلم ومستقرات الأمر، فتقرر الأمر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة، وصار علم الوحي إرث الأنبياء وحق الرسل، وأغلق الله باب الوحي من عهد سيدنا محمد ﷺ.

٥٠ - ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ **الحكيم**: يدل على العلم مضافًا إلى أشرف المعلومات.

• ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

٥١ - كان الكبر بقلبه، فحمله الإباء والكفر بظاهره.

• ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴿٤٣﴾ ﴾

٥٢ - إن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام، وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام، فقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

٥٣ - ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ للإيجاب.

• ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ... ﴿٤٤﴾ ﴾

٥٤ - ينبغي أن تقع البداية بإصلاح القلب وسياسة النفس، ومن لم يصلح نفسه وطمع في إصلاح غيره كان مغرورًا، كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾، وفي الحديث أن الله تعالى قال لعيسى ابن مريم: « **عظ نفسك فإن اتعظت، فعظ الناس، وإلا فاستحي مني** ».

---

٥٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٢).

٥١ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٤٦).

٥٢ - الإحياء (١/٢٤٥).

٥٣ - المستصفى (١/٣٩٥). ٥٤ - فضائح الباطنية (١٩٩).

ومثال من عجز عن إصلاح نفسه وطمع في إصلاح غيره، مثال الأعمى إذا أراد أن يهدي العميان؛ وذلك لا يستتب له قط، وإنما يقدر على إصلاح النفس بمعرفة النفس.

٥٥ - ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم، لا من حيث أمروا غيرهم، ولكن ذكر أمر الغير استدلالًا به على علمهم، وتأكيدًا للحجة عليهم.

• ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ... ﴿٤٥﴾ ﴾

٥٦ - قيل: هي قيام الليل، يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس.

• ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ... ﴿٥٧﴾ ﴾

٥٧ - **المن**: العسل، **والسلوى**: اللحم، سمي سلوى؛ لأنه يتسلى به عن جميع الإدام ولا يقوم غيره مقامه؛ ولذلك قال ﷺ: « **سيد الإدام اللحم** »[1]، ثم قال بعد ذكر المن والسلوى: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ فاللحم والحلاوة من الطيبات.

قال أبو سليمان الداراني ﷺ[2]: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله.

• ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٥٨ - من عادات [العرب] الحذف والإيجاز في بعض المواضع، كقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ يعني: فضرب فانفجرت.

• ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

٥٩ - ترد صيغة الأمر للتعجيز كقوله تعالى: ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾.

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ... ﴿٦٧﴾ ﴾

٦٠ - وإنما أراد بقرة معينة ولم يفصل إلا بعد السؤال.

---

٥٥ - الإحياء (٣٤٢/٢).
٥٦ - الإحياء (٤١٨/١).
٥٧ - نفسه (١٩/٢).
٥٨ - شفاء الغليل (ص ١٠٧).
٥٩ - المنخول (ص ٢٤).
٦٠ - المستصفى (٣٧١/١).

---

(١) قال الزبيدي: رواه أبو القاسم تمام الرازي في فوائده بزيادة: « وسيد الشراب الماء، وسيد الرياحين الفاغية » ن: الإتحاف (٦٥٤/٥). وعند ابن ماجه من حديث أبي الدرداء: « سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم » (١٠٩٩/٢) كتاب الأطعمة، باب اللحم، حديث (٣٣٠٥).

(٢) هو الإمام الكبير زاهد العصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني، أحد رجال الطريقة، كان من جملة السادات وأرباب المجاهدات. توفي سنة (٢١٥ هـ)، وفي رواية أخرى (٢٠٥هـ) ن: حلية الأولياء (٥٤/٩) وصفة الصفوة (٢٢٣/٤، ٢٢٤) وسير أعلام النبلاء (١٨٢/١٠).

• ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ... ﴿٧٨﴾ ﴾

٦١ - يعني: التلاوة المجردة.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

٦٢ - ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان، وإلا فيكون العمل في حكم المُعَاد.

• ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا... ﴿٩٠﴾ ﴾

٦٣ - لما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام، عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه، فقال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا ﴾ أي حسدًا.

• ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ ... ﴿٩٣﴾ ﴾

٦٤ - أي: حُبَّ العجل، فحذف الحب.

• ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ ... ﴿١٠٦﴾ ﴾

٦٥ - الناسخ هو اللّٰه تعالى،.... هو المظهر على لسان رسوله ﷺ، المفهم إيانا بواسطة نسخ كتابه ولا يقدر عليه غيره، ثم لو نسخ اللّٰه تعالى آية على لسان رسوله ﷺ ثم أتى بآية أخرى مثلها كان قد حقق وعده، فلم يشترط أن تكون الآية الأخرى هي الناسخة الأولى.

ثم نقول: ليس المراد الإتيان بقرآن آخر خير منها؛ لأن القرآن لا يوصف بكون بعضه خيرًا من البعض، كيفما قدر قديمًا أو مخلوقًا، بل معناه: أن يأتي بعمل خير من ذلك العمل لكونه أخف منه أو لكونه أجزل ثوابًا.

• ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ... ﴿١٠٩﴾ ﴾

٦٦ - فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان: حسد.

---

٦١ - الإحياء (١/٣٣٧).
٦٢ - نفسه (١/١٤٠).
٦٣ - نفسه (٣/٢٠٢).
٦٤ - نفسه (١/٣٤٣).
٦٥ - المستصفى (٣/٢٠٢).
٦٦ - الإحياء (١/٣٤٣).

• ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾

٦٧ - اللّٰه سبحانه أبدع السموات، دفعة واحدة بالفطرة الأصلية، لا بجمع المواد وتركيبها بالدّفعات وترتيبها وتنميتها بالمطعومات، بل أبدعها دفعة واحدة بلا مدة، ولا مهلة، كما قال جل ثناؤه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فقوله: إيجاده وإبداعه، وكتابته قوله، فإذا أصدر الإبداع عن أمره يكون قولًا، فإذا وصل إلى المحل وظهر المبدع يكون كتابة، وحروف المكتوب أشخاص الأفلاك، وكلمات المكتوب أجسام الأفلاك.

٦٨ - عبر القرآن بقوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ عن نهاية القدرة.

٦٩ - ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ إخبار عن نهاية الاقتدار.

• ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ ﴾

٧٠ - النور الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة، فيهتدي به إلى ما لا يهتدي إليه ببضاعة العقل، الذي به يحصل التكليف وإمكان التعلم، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ ﴾ فأضافه إلى نفسه وسماه الهدى المطلق.

٧١ - الهدى المنسوب إلى اللّٰه تعالى يوجد في هذا العالم؛ وهو عالم الأرواح وهو قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ ﴾.

• ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ... ﴿١٢١﴾ ﴾

٧٢ - أي لا يجاوزون فنًّا حتى يُحكموه علمًا وعملًا.

• ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

٧٣ - قول خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما فرغ من خدمته في بناء بيته.. ابتهل إليه في أن يتفضل عليه بالقبول.

---

٦٧ - المعارف العقلية (ص ٨٠).

٦٨ - الإحياء (٤/٢٦).

٦٩ - المنخول (ص ١٣٤).

٧٠ - ميزان العمل (ص ٣٠٢، ٣٠٣).

٧١ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٦).

٧٢ - إحياء علوم الدين (١/٦٦) وميزان العمل (ص ٣٤٩).

٧٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣١٤).

• ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

٧٤ - **العزيز**: هو الذي لا نظير له، وهو ما تشتد الحاجة إليه ويصعب نيله والوصول إليه. **والحكيم**: يدل على العلم مضافًا إلى أشرف المعلومات.

• ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

٧٥ - أراد بالإيمان: التصديق بالصلاة والقبلة.

٧٦ - [﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾] الرؤوف: الرأفة: شدة الرحمة وهي مبالغة في الرحمة.

• ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ ... ﴿١٤٤﴾ ﴾

٧٧ - كان رسول اللَّه ﷺ يستقبل الصخرة من بيت المقدس مدة مقامه بمكة، وهي قبلة الأنبياء، وكان يقف بين الركنين اليمانيين؛ إذ كان لا يؤثر استدبار الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة لم يكن استقبالها إلا باستدبار الكعبة، وعيرته اليهود، وقالوا: إنه على ديننا ويصلي على قبلتنا، فسأل اللَّه تعالى أن يحوله إلى الكعبة فنزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ الآية.

• ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

٧٨ - جعل اليهود شرًا من النصاري، مع أنهم ما جعلوا للَّه سبحانه ولدًا ولا قالوا: إنه ثالث ثلاثة، إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة؛ إذ قال اللَّه: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ ﴾.

٧٩ - ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ هو تحريم للكتمان.

• ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ... ﴿١٥٠﴾ ﴾

٨٠ - أي نحوه. ومن قابل جهة الكعبة يقال: قد ولَّى وجهه شطرها.

---

٧٤ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٧٥ - المستصفى من علوم الأصول (٣٢٨/١).

٧٦ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٧٧ - الوسيط في المذهب (٥٧٧/٢).

٧٨ - إحياء علوم الدين (٧٤/١).

٧٩ - نفسه (٢٠/١).

٨٠ - نفسه (٢٨٨/٢).

• ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ... ﴿١٥٢﴾ ﴾

٨١ - قال ثابت البُناني رحمه الله [1]: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل، ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال: إذا ذكرته ذكرني.

• ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

٨٢ - جمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم، فقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

٨٣ - كان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين. يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة: الهدى، والعلاوة: ما يحمل فوق العدلين على البعير [2]، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾.

• ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ... ﴿١٦٤﴾ ﴾

٨٤ - انظر إلى عجائب السفن وكيف مسكنها على وجه الماء، تسير فيها العباد لطلب الأموال وتحصيل ما لهم من الأغراض، وجعلها من آياته ونعمته، فقال: ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ فجعلها بتسخيره تحملهم، وتحمل أثقالهم، وينتقلون بها من أقاليم إلى أقاليم، لا يمكن وصولهم إليها إلا بالسفن، ولو راموا التوصل بغيرها لأدى إلى أعظم المشقات وعجزوا عن نقل ما ينقل من المنقولات إلى ما بَعُد من البلاد والجهات، فلما أراد ﷻ أن يلطف بعباده ويهون ذلك عليهم، خلق الأخشاب متخلخلة الأجزاء بالهواء ليحملها الماء ويبقى فيها من الفضاء عن نفسها ما يحمل بها الأثقال، وألهم العباد اتخاذها سفنًا. ثم أرسل الرياح بمقادير في أوقات تسوق السفن وتسيرها من موضع إلى موضع آخر، ثم ألهم أربابها معرفة أوقات هبوبها وفترتها حتى يسيروا بالرياح

---

٨١ - إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٠).
٨٢ - نفسه (٤/ ٦٥).
٨٣ - نفسه (٤/ ٦٥).
٨٤ - الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٨، ١٩).

---

(١) هو ثابت البُناني بن أسلم أبو محمد البصري، روى عن أنس وعبد الله بن الزبير، وأبي برزة الأسلمي وغيرهم، وعنه حماد بن سلمة وشعبة، وكان محدثًا أمينًا، توفي سنة (١٢٧هـ)، ن: طبقات ابن الخياط (١/ ١٢٥) والغاية لابن الجزري (١/ ١٨٨).

(٢) ن: اللسان، مادة: « علا ».

التي تحملها شراعها. وانظر إلى ما يسره سبحانه في خلقه الماء؛ إذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل الأجزاء كائن شيء واحد، لطيف التركيب سريع القبول للتقطع، حتى كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال حتى يمكن سير السفن فيه. فالعجب ممن يغفل عن نعمة اللَّه في هذا كله، وفي بعضه متسع للفكر، وكل ذلك شواهد متظاهرة، ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها، مفصحة عن جلال بارئها، معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته، قائلة: أما ترى تصويري وتركيبي وصفاتي زمنًا، واختلاف حالي وكثرة فوائدي؟ أيظن ذو لب سليم وعقل رصين أني تلونت بنفسي أو أبدعني أحد من جنس؟ بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ... ﴿١٦٥﴾ ﴾

٨٥ - يدل على إثبات الحب للَّه تعالى قولهُ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه.

• ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

٨٦ - لكون الشرع عقلًا من خارج، سلب اللَّه تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ... ﴿١٧٢﴾ ﴾

٨٧ - **الطيبات**: هي الحلال، وأطب مطعمك ومشربك وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار، وطيب المطعم أصل كبير في طريق القوم، ولو قام العبد قيام السارية لم ينفعه ذلك، حتى يعلم ما يدخل جوفه.

٨٨ - وقال ﷺ: « **إن اللَّه تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** » فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [1].

• ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

٨٥ - الإحياء (٤/٣١٢). ٨٦ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٨).

٨٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٨).

٨٨ - الإحياء (٢/٩٨).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الزكاة (٢/٧٠٣) حديث رقم (١٠١٥).

وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

٨٩ – سئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية، فقيل له: سألناك عن الإيمان فقال: سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان فقرأ هذه الآية [١].

٩٠ – ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ أي المصيبة، ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ أي: الفقر ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ أي المحاربة ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

• ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ... ﴿١٧٩﴾ ﴾

٩١ – نبه الرب تعالى على مقصود القصاص بقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾.

• ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴿١٨٠﴾ ﴾

٩٢ – الله تعالى سمى المال خيرًا في مواضيع من كتابه العزيز فقال: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾.

٩٣ – إن النبي ﷺ بين أن آية وصية الأقارب نسخت بقوله: « **إن الله تعالى قد أعطى كل ذي حقه حقه، ألا لا وصية لوارث** » [٢] مع أن الجمع بين الوصية والميراث ممكن، فليس ذلك متنافيين تنافيًا قاطعًا.

٩٤ – نسخ القرآن بالسنة: نسخ ﴿ ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، بقوله ﷺ: « **ألا لا وصية لوارث** » لأن آية الميراث لا تمنع الوصية للوالدين والأقربين، إذ الجمع ممكن.

٩٥ – رفعوا عموم آية الوصية بقوله: « **لا وصية لوارث** ».

٩٦ – ﴿ ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ متلوة في القرآن، وحكمها منسوخ بقوله ﷺ: « **لا وصية لوارث** ».

---

٨٩ – الإحياء (٤/٤١٣).
٩٠ – الإحياء (٤/٧٠) وميزان العمل (٣٢٥).
٩١ – شفاء الغليل (ص ١٦١).
٩٢ – الإحياء (٣/٢٤٨).
٩٣ – المستصفى (١/١٢٢).
٩٤ – نفسه (١/١٢٤).
٩٥ – نفسه (٢/١١٩).
٩٦ – نفسه (١/١٢٢).

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد متقطعة لم أجد له سندًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٤١٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣/١١٤) كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث، حديث رقم (٢٨٧٠). ون: تفسير ابن كثير (١/٢٦٣).

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ... ﴿١٨٤﴾ ﴾

٩٧ - في المسافر مذهبان ضعيفان:

أحدهما: مذهب أصحاب الظاهر؛ إن المسافر لا يصح صومه في السفر، لقوله تعالى: ﴿ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ ﴾ فلم يأمره إلا بأيام أخر. وهو فاسد؛ لأن سياق الكلام يفهمنا إضمار الإفطار، ومعناه: من كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر، كقوله تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ﴾ [البقرة: ٦٠] يعني فضرب فانفجرت، ولأن أصحاب الرسول ﷺ - في السفر - كانوا يصومون ويفطرون، ولا يعترض بعضهم على بعض.

والثاني: مذهب الكرخي (١): إن الواجب أيام أخر، ولكن لو صام رمضان صح، وكان معجلًا للواجب كمن قدم الزكاة على الحول. وهو فاسد؛ لأن الآية لا تفهم إلا الرخصة في التأخير وتوسيع الوقت عليه، والمؤدي في أول الوقت الموسع غير معجل، بل هو مؤدٍّ في وقته [كمن] (٢) سبق في الصلاة في أول الوقت...

المريض: إن كان يخشى الموت من الصوم فهو كالمسافر، أما الذي يخشى الموت أو الضرر العظيم فيعصي بترك الأكل، فيشبه الحائض من هذا الوجه، فلو صام يحتمل أن يقال: لا ينعقد؛ لأنه عصى به، فكيف يتقرب بما يعصى به؟ ويحتمل أن يقال: إنما عصى بجنايته على الروح التي هي حق اللّٰه تعالى، فيكون كالمصلي في الدار المغصوبة، يعصي لتناوله حق الغير، ويمكن أن يقال قد قيل للمريض كل!، فكيف يقال له: لا تأكل؟ وهو معنى الصوم، بخلاف الصلاة في الغصب، ويمكن أن يجاب بأنه قيل له: لا تهلك نفسك، وقيل له: صم، فلم يعص من حيث إنه صائم بل من حيث سعيه في الهلاك...

---

٩٧ - المستصفى (١/٩٧).

---

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز، الصالح المشهور، كان من المشايخ الكبار، وكان مشهورًا بإجابة الدعاء، وهو أستاذ السري السقطي، وأخباره ومحاسنه أكثر من أن تحصى. توفي ببغداد (٢٠٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٣/١٩٩ - ٢٠٩) وشذرات الذهب (١/٣٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/٣٣٩).

(٢) في النسخة المطبوعة: « كما » ولعل الصواب ما أثبته.

٩٨ - ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴿١٨٤﴾ ﴾ فمعناه: فأفطر ﴿ فَعِدَّةٌ ﴾ فحذف ذلك إيجازًا، وحصل الفهم كما لو نطق به من غير فرق.

٩٩ - ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ فهو على سبيل التخيير، فكان الواجب أحدهما لا بعينه، إلا أن هذا البدل لا يمكن إلا بعد فوات الأول، والأول سابق بالزمان، فسمي قضاء لتعلقه بفواته، بخلاف العتق والصيام في الكفارة؛ إذ لا يتعلق أحدهما بفوات الآخر.

١٠٠ - ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ قد بقيت تلاوتها ونسخ حكمها بتعيين الصوم.

• ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ... ﴿١٨٧﴾ ﴾

١٠١ - من وطئ بالليل في رمضان، فأصبح جنبًا لم يفسد صومه؛ لأنه قال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ وقال: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ ثم مد الرخصة إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الأسود من الفجر، فتشعر الآية بجواز الأكل والشرب والجماع في جميع الليل، ومن فعل ذلك في آخر الليل، استأخر غسله إلى النهار، وإلا وجب أن الوطء في آخر جزء من الليل بمقدار ما يتسع للغسل، فهذا وأمثاله مما يكثر ويُسَمَّى إشارة اللفظ.

١٠٢ - ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ نسخ لتحريم المباشرة، وليس التحريم في القرآن.

• ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ... ﴿١٨٨﴾ ﴾

١٠٣ - قد يطلق الخاص، ونريد العام كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ والمراد: هو الإتلاف الذي هو أعم من الأكل، ولكن عبَّر بالأكل عنه.

• ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... ﴿١٩٥﴾ ﴾

١٠٤ - لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يُقتل، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك، فقد قال

---

٩٨ - شفاء الغليل (ص ١٠٦، ١٠٧).
٩٩ - المستصفى (٩٦/١).
١٠٠ - نفسه (١٢٤/١).
١٠١ - نفسه (١٨٩/٢).
١٠٢ - المستصفى (١٢٤/١).
١٠٣ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦).
١٠٤ - الإحياء (٣٤٧/٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: « ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة اللّٰه تعالى ». أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه.

وقال البراء بن عازب (١): التهلكة: هو أن يذنب الذنب ثم يقول: لا يتاب عليه.

وقال أبو عبيدة (٢): هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرًا حتى يَهْلك.

وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضًا له ذلك في الحسبة، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار؛ كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة، وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل اللّٰه فتنكسر بذلك شوكتهم.

• ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ... ﴿١٩٦﴾ ﴾.

١٠٥ – إن أضاف إلى المشي (٣) الإحرام من دويرة أهله فقد قيل: إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾.

١٠٦ – ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ ﴾ أي فأردتم الإحلال.

١٠٧ – ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾ يعني: فحلق ﴿ فَفِدْيَةٌ ﴾.

---

١٠٥ – الإحياء (٣١١/١).
١٠٦ – شفاء الغليل (ص ١٠٧).
١٠٧ – نفسه (ص ١٠٧).

---

(١) البراء بن عازب: صحابي من الأنصار وأبوه صحابي، شهد أحدًا وغيرها، روى عنه الشعبي ومعاوية ابن سويد، ن: الاستبصار (ص ٢٤٩) وتهذيب الأسماء (١٣٢/١).

(٢) هو عامر بن عبد اللّٰه بن الجراح الصحابي الجليل، أمين هذه الأمة، روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهورة، حدّث عن العرباض بن سارية وجابر بن عبد اللّٰه وأبي أمامة الباهلي وآخرين، كان موصوفًا بحسن الخلق، وبالحلم الزائد والتواضع. توفي سنة (١٨هـ)، ن: حلية الأولياء (١٠٠/١ – ١٠٢) وشذرات الذهب (٢٩/١) وسير أعلام النبلاء (٥/١).

(٣) من الآداب الدقيقة للحج: الحج مشيًا. الإحياء (٣١٠/١، ٣١١).

١٠٨ - ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ صريح في لفظه، أعني: كونه عشرة.

• ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ... ﴿٢٠١﴾ ﴾

١٠٩ - قال الحسن [(١)] في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾: إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة، وفي الآخرة هي الجنة.

١١٠ - قال محمد بن كعب القرظي [(٢)] في معنى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ قال: المرأة الصالحة.

١١١ - ليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل حظًّا البتة، إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - فيه جمع بين الدنيا والآخرة، ومن ذلك قولهم: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾.

• ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ... ﴿٢٠٧﴾ ﴾

١١٢ - بات علي - كرم الله وجهه - على فراش رسول الله ﷺ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله ﷻ إليهما: أفلا كنتما كمثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبريل عن رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

١٠٨ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٤).
١٠٩ - الإحياء (١/ ١٨).
١١٠ - نفسه (٢/ ٣٥).
١١١ - نفسه (٢/ ١٧٨).
١١٢ - نفسه (٣/ ٢٧٣).

(١) هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار التابعي البصري مولى زيد بن ثابت، أرضعته أم سلمة رضي الله عنها، رأى كثيرًا من الصحابة، وكان فصيحًا عالمًا زاهدًا، وروى عنه كثيرًا من التابعين (ت ١١٠ هـ). انظر صفة الصفوة (٣/ ٢٣٣) وتهذيب الأسماء (١/ ١٦١)، وطبقات المفسرين (١/ ١٥٠) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣).

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي أبو حمزة، روى عن العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وغيرهم، وعنه أخوه عثمان وغيره. قال ابن سعد: كان ثقة عالمًا كثير الحديث ورعًا، وقال العجلي: مدني تابعي ثقة، توفي سنة (١٠٨ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠، ٤٢١) وشذرات الذهب (١/ ١٣٦) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥).

يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١).

• ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ .... ﴿٢١٣﴾ ﴾

١١٣ - قيل في التفسير: حسدًا.

• ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ... ﴿٢١٦﴾ ﴾

١١٤ - قال ﷺ: « **أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس** » (٢) فقيل: معناه ما دخل عليه من الأمراض والمصائب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ ... ﴿٢١٨﴾ ﴾

١١٥ - يعني أن الرجاء بهم أليق، وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال، قال اللّه تعالى: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

١١٦ - معناه: أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة اللّه، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء؛ لأن غيرهم أيضًا قد يرجو، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء. فأما من ينهمك فيما يكرهه اللّه تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة حمق، كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية.

• ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ... ﴿٢٢١﴾ ﴾

١١٧ - معناه: وإن أعجبتكم.

---

١١٣ - الإحياء (٣/٢٠٢). ١١٤ - نفسه (٤/٣٠٥).

١١٥ - نفسه (٣/٤٠٦). ١١٦ - نفسه (٤/١٥١).

١١٧ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٩٢).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه أحمد مختصرًا من حديث ابن عباس: (شري على نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ... الحديث) وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل، ولم أقف لهذه الزيادة على أصل، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر. انظر: المغني بهامش الإحياء (٣/٢٧٣).

(٢) قال العراقي: لا أصل له مرفوعًا، وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز، هكذا رواه ابن أبي الدنيا، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٦٤).

• ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ... ﴿٢٢٢﴾ ﴾

١١٨ - ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ فهو تعليل حتى يفهم منه تحريم الإتيان في غير المأتى؛ لأن الأذى فيه دائم، ولا يجري في المستحاضة؛ لأن ذلك عارض وليس بطبيعي.

١١٩ - ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ الاستمتاع بما فوق السرة وتحت الركبة جائز، وفي الاستمتاع بما تحت الإزار مما سوى الجماع وجهان.

١٢٠ - ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ هذا تنبيه على أن ما جعل غاية للحكم مؤثر وسبب في ارتباطه.

• ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ... ﴿٢٢٣﴾ ﴾

١٢١ - ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أي: أي وقت شئتم.

١٢٢ - أحد المعاني المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ تقديم الأطفال إلى الآخرة.

• ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

١٢٣ - إذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم، والمخالفة فيه، مع أنه لا فائدة فيه، لا يؤاخذ.

١٢٤ - ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ **الحليم**: هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام - مع غاية الاقتدار - عجلة وطيش، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١].

• ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ... ﴿٢٢٨﴾ ﴾

١٢٥ - إذا طُلقت المرأة الشابة بعد المسيس، ولزمتها العدة، وتربصت الأقراء،

---

١١٨ - المستصفى من علم الأصول (٢٨٩/٢).
١١٩ - الوسيط في المذهب (٣٧٢/١، ٣٧٣).
١٢٠ - شفاء الغليل (ص ٤٨).
١٢١ - إحياء علوم الدين (٥٧/٢).
١٢٢ - نفسه (٣١/٢).
١٢٣ - نفسه (٣٠٩/٢).
١٢٤ - المقصد الأسنى (ص ٩٤).
١٢٥ - شفاء الغليل (ص ٢٦٤ - ٢٦٦).

فتباعدت حيضتها سنين، فقد قال العلماء: يلزمها التربص إلى سن اليأس، ولا يغنيها الاعتداد بالأشهر. وهذا ضرر عظيم ظاهر، وفيه تعطيل عمرها وشبابها ومنعها من النكاح. ولكن نرى هذه المسألة مجمعًا عليها، وتكاد تهدم اتباع المصالح...

ولكن وجه الرأي فيه - والعلم عند الله - أن الله تعالى قال: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ والتربص واجب على كل من تحيض، ولسنا نعني بقولنا: تحيض وجود الحيض عند الطلاق، فالطاهرة، تطلق ويقال: إنها ممن تحيض، فتتربص الحيض.

فالمعنى إمكان الحيض، أما من لا يمكن في حقها الحيض حبلة كالصغيرة والعجوز الهرمة فلها العدول إلى الأشهر. وما دامت المرأة جارية في وسط العمرين طرفي الوجود فإمكان الحيض جارٍ في حقها، وقد أمر الشرع بتربص الطاهرة للحيض فعليها أن تنتظر الحيض، وما من لحظة تقتضي إلا وهي على رجاء هجوم الحيض، نعم: لو علمنا أنها ليست تحيض إلى منتهى الهرم، لكنا نعدل بها إلى الأشهر، ولكن ذلك إن كان، فهو في علم الله تعالى، وهي في كل ساعة تبغي الشروع في العدة بالأشهر، يتوقع الحيض لها حالًا على حال.

فإن مضت سنة أو سنتان، لم ينقطع هذا الرجاء، فرب امرأة لا تحيض سنين ثم يعاودها الحيض، ومن لها إلى الانتظار سبيل، فليس لها في الشرع إلا التربص. وإنما الضرر ينتظم تقديره بتمادي الطهر سنين كثيرة. ونحن - في الحال - لا نعلم تراخيها سنين، وإنما ندرك ذلك بعد مضيها ولا سبيل إلى تلافيها، وطريق الرجاء والأمل متسع في المستقبل، فهذا هو السبب، والعلم عند الله تعالى.

• ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ ... ﴿٢٢٨﴾ ﴾

١٢٦ - ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ عام، وقوله بعده: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ خاص.

• ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ... ﴿٢٢٩﴾ ﴾

١٢٧ - رد ما أخذته، فما دونه لائق بالفداء.

• ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ... ﴿٢٣٠﴾ ﴾

١٢٨ - فهذا تنبيه على أن ما جعل غاية للحكم مؤثر وسبب في ارتباطه.

---

١٢٦ - المستصفى (٢/٧٠). ١٢٧ - الإحياء (٢/٦٢).

١٢٨ - شفاء الغليل (٤٨، ٤٩).

١٢٩ - رفعوا عموم قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ برواية من روى (حتى تذوق عسيلتها)[(١)].

• ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ... ﴿٢٣١﴾ ﴾

١٣٠ - أمر اللّٰه تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب.

• ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ... ﴿٢٣٢﴾ ﴾

١٣١ - صرح الإمام الشافعي في كتاب أحكام القرآن بتردد الأمرين الندب والوجوب، وقال: النهي على التحريم، فقال: إنما أوجبنا تزويج الأيم لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[(٢)].

١٣٢ - ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ هذا منع من العضل ونهي عنه.

• ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ ... ﴿٢٣٣﴾ ﴾

١٣٣ - قال الشافعي: قال اللّٰه تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ ... ﴾ الآية ، وأمر النبي ﷺ هذا: بأن تأخذ هند من مال أبي سفيان ما يكفيها وولدها بالمعروف، وكان الولد من الوالد، فأخبر على صلاحه في الحال التي لا يغني فيها عن نفسه[(٣)].

فكان الأب إذا بلغ أن لا يغني عن نفسه بكسب ولا مال، فعلى ولده صلاحه في نفقته وكسوته، قياسًا على الولد، ولم يضيع شيئًا وهو منه، كما لم يكن للوالد ذلك، والوالدون وإن بعدوا، والولد وإن سفل في المعنى مشتركون.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ... ﴿٢٤٠﴾ ﴾

١٣٤ - نسخ التربص حولًا عن المتوفى عنها زوجها... مع بقاء التلاوة.

---

١٢٩ - المستصفى من علم الأصول (١١٩/٢، ١٢٠).
١٣٠ - الإحياء (٣٣٦/١).
١٣١ - المستصفى (٤٢٦/١).
١٣٢ - الإحياء (٢٥/٢).
١٣٣ - شفاء الغليل (ص ٣٣٧، ٣٣٨).
١٣٤ - المستصفى (١٢٤/١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب من قال لامرأته: أنت عليَّ حرام (١٦٦/٦) حديث رقم (٥٢٦٥).
(٢) انظر: أحكام القرآن للإمام الشافعي (١٧١/١).
(٣) انظر: أحكام القرآن للشافعي (٢٦٣/١).

• ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴿٢٤٥﴾ ﴾

١٣٥ - لأجل محبة اللَّه تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبادة القرض فقال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾.

• ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ... ﴿٢٥١﴾ ﴾

١٣٦ - قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾، قال: بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة.

• ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ... ﴿٢٥٣﴾ ﴾

١٣٧ - نبه أن تكليم اللَّه تعالى لمن كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول.

١٣٨ - هذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات، وبعضها لما سبق في الأزل في التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد، وقد قال: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ فكان عيسى عليه السلام من المفضلين، ولإدلاله سلم على نفسه، فقال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣] وهذا انبساط منه لما شاهده من اللطف في مقام الأنس.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم... ﴿٢٥٤﴾ ﴾

١٣٩ - ﴿ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ أي مما ملكناكم.

• ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

١٤٠ - قال ﷺ: « **آية الكرسي سيدة القرآن** » (١).

---

١٣٥ - الإحياء (٢/٢٨). ١٣٦ - نفسه (٢/٢٢٦).
١٣٧ - الإملاء في إشكالات الإحياء، ملحق بإحياء علوم الدين (٥/٣٩).
١٣٨ - الإحياء (٤/٣٦). ١٣٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٢٠٣).
١٤٠ - جواهر القرآن ودرره (ص ٤٨).

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي » قال الترمذي: حديث غريب، انظر: سنن الترمذي (٤/٢٣٢)، أبواب فضائل القرآن، حديث رقم (٣٠٣٨).

١٤١ - لعلك تقول: لم خصصتْ آية الكرسي بأنها السيدة؟.....

آية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المتبوعة والمقصودة، التي يتبعها سائر المعارف، فكان اسم السيدة بها أليق.

١٤٢ - أقول: هل لك أن تتفكر في آية « الكرسي » أنها لِمَ تسمى سيدة الآيات؟ فإن كنت تعجز عن استنباطه بتفكرك فارجع إلى الأقسام التي ذكرناها والمراتب التي رتبناها [(١)]. وقد ذكرنا لك أن معرفة اللّٰه تعالى ومعرفة ذاته وصفاته هي المقصد الأقصى من علوم القرآن، وأن سائر الأقسام مرادة لنفسه لا لغيره، فهو المتبوع وما عداه التابع، وهي سيدة الاسم المقدم الذي يتوجه إليه وجوه الأتباع وقلوبهم، فيحذون حذوه وينحون نحوه ومقصده، وآية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والأفعال فقط ليس فيها غيرها.

فقوله: ﴿ ٱللَّهُ ﴾: إشارة إلى الذات.

وقوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾: إشارة إلى توحيد الذات.

وقوله: ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾: إشارة إلى صفة الذات وجلاله، فإن معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره، فلا يتعلق قوامه بشيء ويتعلق به قِوام كل شيء، وذلك غاية الجلال والعظمة.

وقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾: تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة، بل هو أوضح أقسامها.

وقوله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: إشارة إلى كلها، وأن جميعها منه مصدرها، وإليه مرجعها.

وقوله ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر، وأن من يملك الشفاعة فإنما يملك بتشريفه إياه والإذن فيه، وهذا نفي للشركة عنه في الملك والأمر.

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾:

١٤١ - جواهر القرآن ودرره (ص ٦٤). ١٤٢ - نفسه (ص ٥٨ - ٦٠).

(١) وهي: ذكر الذات، وذكر الصفات، وذكر الأفعال، وذكر المعاد، وذكر الصراط المستقيم - أعني جانبي التزكية والتحلية - وذكر أحوال الأولياء، وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار، وذكر حدود الأحكام.
ن: جواهر القرآن (ص ٢١).

إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات، والانفراد بالعلم، حتى لا علم لغيره من ذاته، وإن كان لغيره فهو من عطائه وهبته، وعلى قدر إرادته ومشيئته.

وقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾: إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته، وفيه سر لا يحتمل الحال كشفه، فإن معرفة الكرسي ومعرفة صفاته، واتساع السماوات والأرض ومعرفته شريفة غامضة، وترتبط بها علوم كثيرة.

وقوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾: إشارة إلى صفات القدرة وكمالها، وتنزيهها عن الضعف والنقصان.

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾: إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات، وشرح هذين الوصفين يطول، وقد شرحنا منهما ما يحتمل الشرح في كتاب « المقصد الأسنى في أسماء اللّٰه تعالى الحسنى » (١) فاطلبه منه.

والآن إذا تأملت جملة هذه المعاني، ثم تلوت جميع آيات القرآن لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى مجموعة في آية واحدة منها، فلذلك قال النبي ﷺ: « **سيدة آي القرآن** » فإن ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٨] ليس فيه إلا التوحيد و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] ليس فيه إلا التوحيد والتقديس، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ليس فيه إلا الأفعال وكمال القدرة، و « الفاتحة » فيها رموز إلى هذه الصفات من غير شرح، وهي مشروحة في آية الكرسي، والذي يقرب منها في جميع المعاني آخر « الحشر » وأول « الحديد »؛ إذ اشتملا على أسماء وصفات كثيرة، ولكنها آيات لا آية واحدة، وهذه آية « الكرسي » آية واحدة؛ إذ قابلتها بإحدى تلك الآيات وجدتها أجمع المقاصد؛ فلذلك تستحق السيادة على الآي، قال ﷺ: « **هي سيدة الآيات** »، كيف لا وفيها ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وهو الاسم الأعظم في آية « الكرسي » وأول « آل عمران ». وقوله: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

١٤٣ - **العلي**: هو الذات الذي فوق سائر الذوات في الرتبة، فهي إضافة.

• ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴿٢٥٧﴾ ﴾

١٤٤ - أكثر ما يطلق النور والظلمات في القرآن على العلم والجهل، مثل قوله

١٤٣ - روضة الطالبين، ضمن مجموعة الرسائل رقم (٢) (ص ٦٥).

١٤٤ - ميزان العمل (ص ٣٣٢).

(١) المقصد الأسنى، طبعة دار الكتب العلمية (ص ٧٧، ٨٠).

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.

١٤٥ – وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل، كقوله: ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾.

• ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ... ﴿٢٥٨﴾ ﴾

١٤٦ – ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾؛ إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه.

١٤٧ – اعلم أن الميزان الأكبر هو ميزان الخليل – صلوات الله عليه وسلامه – الذي استعمله مع نمرود، فمنه تعلمنا هذا الميزان، لكن بواسطة القرآن.

وذلك أن نمرود ادعى الإلهية، وكانت الإلهية عنده بالاتفاق عبارة عن القادر على الشيء. فقال إبراهيم: الإله إلهي؛ لأنه الذي ﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ وهو القادر وأنت لا تقدر عليه. فقال: ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ يعني: أنه يحيي النطفة بالوقاع ويميت بالقتل، فعلم إبراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر عليه فهم بطلانه، فعدل إلى ما هو أوضح عنده فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾. وقد أثنى الله عليه فقال: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٣]

• ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ... ﴿٢٦٠﴾ ﴾

١٤٨ – السكون في القلب شيء، واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ فالتمس أن يكون مشاهدًا إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله، فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة درجة النفس المطمئنة، وذلك لا يكون في البداية أصلًا.

---

١٤٥ – الإحياء (١/٩٩).   ١٤٦ – نفسه (١/١١٦).

١٤٧ – القسطاس المستقيم، ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ١٤).

١٤٨ – الإحياء (٤/٢٧٧).

• ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ... ﴿٢٦١﴾ ﴾

١٤٩ - من عادات العرب في البيان: التنبيه على الشيء بذكر نظيره وضرب مثل فيه، دون التعرض له في نفسه، وهو في الإفادة كالتعرض له، كقوله ﷻ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ الآية. عرف به تضعيف الحسنات في مقابلة الإنفاق، ونزل في الإفادة منزلة تصريحه في قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ... ﴿٢٦٤﴾ ﴾

١٥٠ - ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ اختلفوا في حقيقة المن والأذى، فقيل: المن أن يذكرها، والأذى أن يظهرها، وقال سفيان: مَنْ مَنَّ فسدت صدقته، فقيل له: كيف المن؟ فقال: أن يذكره ويتحدث به.

وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء، والأذى أن يعيره بالفقر.

وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة، وقد قال ﷺ: « **لا يقبل الله صدقة منان** »(١).

وعندي أن المن له أصل ومغرس، وهو من أحوال القلب وصفاته، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح، فأصله أن يرى نفسه محسنًا إليه ومنعمًا عليه، وحقه أن يرى الفقير محسنًا إليه بقبول حق الله ﷻ منه، الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهنًا به، فحقه أن يتقلد منة الفقير؛ إذ جعل كفه نائبًا عن الله في قبض حق الله ﷻ.

١٥١ - ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ المن: نتيجة استعظام الصدقة.

١٥٢ - ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله.

---

١٤٩ - شفاء الغليل (١٠٧، ١٠٨).
١٥٠ - الإحياء (٢٥٦/١).
١٥١ - نفسه (٣٩٠/٣).
١٥٢ - نفسه (٧٤/٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجده. ن: المغني بهامش الإحياء (٢٥٦/١).
وقال الزبيدي: هكذا أورده صاحب الوقت... وعنه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة: (ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا: عاق ومنان ومكذب بالقدر). ن: الإتحاف (١٩٢/٤، ١٩٣).

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ ... ﴿٢٦٧﴾ ﴾

١٥٣ – أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء، وهو معنى الإغماض، فلا تؤثروا به ربكم. وفي الخبر: « **سبق درهم مائة ألف درهم** » (١) وذلك بأن يخرجه (٢) الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله ﷻ بشيء مما يحبه – وبذلك ذم الله تعالى قومًا جعلوا لله ما يكرهون، فقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا ﴾ وقف بعض القراء على النفي تكذيبًا لهم، ثم ابتدأ وقال: ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [النحل: ٦٢] أي كسب لهم جعلُهم له ما يكرهون النار.

١٥٤ – أن تخرجه (٣) من أطيب أموالك وأجودها: قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ ﴾ [النحل: ٦٢] وقال الله: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾ وقال ﷺ: « **إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب** » (٤) يعني: الحلال، فإن المقصود من هذا إظهار درجة الحب، والإنسان يؤثر الأحب إليه الأنفس دون الأخسّ.

• ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ... ﴿٢٦٨﴾ ﴾

١٥٥ – قال ﷺ: « **في القلب لمتان: لمة من المَلَك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو وإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » (٥) ثم تلا قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾ الآية.

• ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ... ﴿٢٦٩﴾ ﴾

١٥٦ – قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾: إنه الفهم في كتاب الله.

---

١٥٣ – الإحياء (٢٥٨/١).
١٥٤ – كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٩، ٣٠).
١٥٥ – الإحياء (٣٠/٣).
١٥٦ – نفسه (٣٤٢/١).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ن: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٤٤/٥) حديث رقم (٣٣٣٦).
(٢، ٣) أي مال الزكاة.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة (٧٠٣/٢) حديث (١٠١٥).
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، ن: أبواب التفسير القرآن (٢٨٨/٤) حديث (٤٠٧٣).

١٥٧ – قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ يعني: الفهم في القرآن.

١٥٨ – مهما هذبت قوة الفكر، وأصلحت كما ينبغي حصلت بها الحكمة التي تحدث الله عنها؛ حيث قال: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ وثمرتها أن تيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك، مع أنه الأمر الملتبس على أكثر الخلق.

١٥٩ – قوة العلم حسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله فيها: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

● ﴿ إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ... ﴿٢٧١﴾ ﴾

١٦٠ – اعلم أن في الأسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء، وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير، ولكن فيه آفة الرياء، قال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين. ولكن في الإظهار أيضًا فائدة؛ ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال: ﴿ إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

١٦١ – ﴿ إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء، وإما لأن السائل إنما سأل عن ملأ من الناس، فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان؛ وهذا لأن في الإظهار محذورًا ثالثًا سوى المن والرياء، وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بأن يُرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه.

● ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ... ﴿٢٧٣﴾ ﴾

١٦٢ – ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي حبسوا في طريق

---

١٥٧ – ميزان العمل (ص ٢٣٣).
١٥٨ – الإحياء (٢٦/٣).
١٥٩ – نفسه (٥٨/٣).
١٦٠ – نفسه (٣٣٤/٣).
١٦١ – نفسه (٢٥٥/١).
١٦٢ – الإحياء (٢٦٠/١).

الآخرة بعيلة، أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب، ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾؛ لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف.

١٦٣ - ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالإحصار، وفيه دلالة على مدح الفقر.

١٦٤ - ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ أي لا يلحون في السؤال؛ لأنهم أغنياء بيقينهم، أعزة بصبرهم، وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة، ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلا المجاهرين بالسؤال.

١٦٥ - مدح اللّٰه سبحانه المستترين فقال: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عار أن يزول التجمل

• ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ... ﴿٢٧٥﴾ ﴾

١٦٦ - تردد الشافعي في قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ في أنه عام أو مجمل من حيث إن الألف واللام احتمل أن يكون فيه للتعريف، ومعناه: وأحل اللّٰه البيع الذي عرف الشرع بشرطه.

• ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾

١٦٧ - دلَّ ذلك على أن سبب تكفل الولي بإملاء الحق، ضعف المولى عليه وسفهه وعجزه.

١٦٨ - إنما المفهوم أن الضعف بالصغر والسفه سبب نيابة الولي المدقق فيما تمد حاجته إليه: من قضاء الدين، فسائر ما تمس حاجته إليه ينزل محل النص منزلة سائر المكيلات

---

١٦٣ - الإحياء (٤/٢٠٥).
١٦٤ - نفسه (١/٢٦٠).
١٦٥ - نفسه (١/٢٦٠).
١٦٦ - المستصفى (٢/٢٨).
١٦٧ - شفاء الغليل (ص ٨٧، ٨٨).
١٦٨ - نفسه (١٣٥، ١٣٦).

والمطعومات من المنصوص في الربا.

والثالث بالنص في قضاء الدين: النيابة بعلة الصغر في محل الحاجة، فعديت النيابة في كل ما تتعدى إليه الحاجة.

• ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾

١٦٩ - **التحقيق فيه**: أن الله تعالى في سياق هذه الآية حث الناس على ما فيه مصلحتهم، والأصح الاستظهار بالبينة الكاملة.

١٧٠ - ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ ﴾ الآية لا تقضي إلا كون الشاهدين حجة، وجواز الحكم بقولهما.

١٧١ - في الشهادة أمر آخر، وهو أن الآية سيقت للإرشاد إلى طريق الاحتياط ومن استشهد النساء مع وجود الرجال، فيحكم في حقه بمخالفة موجب الإرشاد، وكونه سائلًا عن توثيق الحق بكمال الاحتياط! فيظهر تأثيره في تحصيل الامتثال لأمر يرجع إلى الإرشاد، والأمر قد يجري للإرشاد، وقد يجري للإيجاب من التأثير، ظاهر بالطريق الذي ذكرناه.

• ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ... ﴿٢٨٤﴾ ﴾

١٧٢ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كُلفنا ما لا نطيق، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك! فقال ﷺ: « **لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا** »، فقالوا سمعنا وأطعنا (١) فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

• ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ... ﴿٢٨٦﴾ ﴾

١٧٣ - من جوّز تكليف ما لا يطاق عقلًا فإنه يمنعه شرعًا لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾.

---

١٦٩ - المنخول (ص ٣٠٠).
١٧٠ - المستصفى (١/١١٩).
١٧١ - شفاء الغليل (ص ١٠٤).
١٧٢ - الإحياء (٣/٤٦).
١٧٣ - المستصفى (١/٨٩).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١/١١٥) حديث رقم (١٩٩).

● ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ... ﴿٢٨٦﴾ ﴾

١٧٤ - يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقون - خلافًا للمعتزلة -، ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه، وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ ولأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا جهل لا يصدقه، ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه، فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه، وهل هذا إلا محال وجوده؟

١٧٥ - ذهب شيخنا أبو الحسن رحمه الله إلى جواز تكليف ما لا يطاق مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾، ولا وجه للابتهال لو لم يتصور ذلك بالبال.

١٧٦ - قال قتادة في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾: هو الغُلمة.

١٧٧ - قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ معناه: شدة الغُلمة.

* * *

* سُورَةُ آلِ عِمْرَان *

● ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ... ﴿٧﴾ ﴾

١٧٨ - في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ واختلفوا في معناه؛ وإذ لم يرد توقيف في بيانه فينبغي أن يفسر بما يعلمه أهل اللغة، ويناسب اللفظ من حيث الوضع. ولا يناسبهم قولهم: المتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور، والمحكم ما وراء ذلك، ولا قولهم: المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم، والمتشابه: القصص والأمثال. وهذا أبعد.

بل الصحيح أن المحكم يرجع إلى معنيين:

أحدهما: المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، والمتشابه: ما تعارض فيه الاحتمال.

---

١٧٤ - الإحياء (١/١٣٣).

١٧٥ - المنخول (ص ٢٢).

١٧٦ - الإحياء (٢/٣٢).

١٧٧ - نفسه (٣/١٠٧)

١٧٨ - المستصفى (١/١٠٦).

الثاني: إن المحكم ما انتظم وترتب ترتيبًا مفيدًا، إما على ظاهر أو على تأويل، ما لم يكن فيه متناقض ومختلف، لكن هذا المحكم يقابله: المثبج [١] والفاسد، دون المتشابه، وأما التشابه فيجوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركة كالقرء، وكقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فإنه مردد بين الزوج والولي، وكاللمس المردد بين المس والوطء، وقد يطلق على ما ورد في صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله.

١٧٩ - في الحديث في معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾: « هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى: ﴿ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ [المنافقون: ٤] » [٢].

١٨٠ - ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ من غير وقف يخالف الوقف على قوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وذلك لتردد الواو بين: العطف والابتداء.

١٨١ - فإذا أهمل الوقف على ﴿ ٱللَّهُ ﴾ انعطف عليه قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ وحصلت مقدمة كاذبة [٣].

١٨٢ - فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ الواو للعطف أم الأولى الوقف على ﴿ ٱللَّهُ ﴾؟

قلنا: كل واحد محتمل، فإن كان المراد به وقت القيامة، فالوقف أولى وإلا فالعطف؛ إذ الظاهر أن الله تعالى لا يخاطب العرب بما لا سبيل إلى معرفته لأحد من الخلق.

١٨٣ - ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ يعني حاله، وعليه وقف أبو عبيدة، وابتدأ من

---

١٧٩ - الإحياء (٥٣/١). ١٨٠ - المستصفى (٣٦٣/١).
١٨١ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٢، ١٩٣). ١٨٢ - المستصفى (١٠٦/١).
١٨٣ - المنخول (ص ١٧٢).

---

(١) المثبج: المضطرب؛ ن: اللسان (ثبج).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري عن عائشة رضي الله عنها. ن: جامع البيان (١٧٩/٣).
(٣) تحصل المقدمة الكاذبة هنا على مذهب من يرى أن الكلام في الآية يتم عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ثم الواو في قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ واو الابتداء. وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه إلا الله، وهذا قول ابن عباس وعائشة ومالك بن أنس والكسائي والفراء، ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي. أما القول الثاني في هذه الآية، فهو أن الكلام إنما يتم عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه حاصلًا عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم، وهذا القول أيضًا مروي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين، ن: تفسير الرازي الآية (٧) من سورة آل عمران.

قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ إذ العلوم كلها يحيط بها الراسخون فيها.

• ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾

١٨٤ - عند استقرار النفس في الترقي والارتفاع يعرض عليه الفتن [1] وذلك أن إبليس قد اتخذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة، واستعملهم عليه، ووكلهم به، فيأتون المرء وهو في تلك الحال فيتمثلون له في صورة من سلف الأحياء الميتين الباغين له النصح في دار الدنيا؛ كالأب والأم والأخ والأخت والصديق الحميم، فيقول له: أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك في هذا الشأن، فمت يهوديًا فهو الدين المقبول عند اللّٰه!. فإن انصرفوا عنه وأبى جاءه آخرون وقالوا له: مت نصرانيًا فإنه دين المسيح ونسخ به دين موسى! ويذكرون له عقائد كل ملة. فعند ذلك يزيغ اللّٰه من يريد زيغه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ أي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا إلى الإيمان.

فإذا أراد اللّٰه تعالى بعبده هداية وتثبيتًا جاءته ملائكة الرحمة. وقيل: هو جبريل عليه السلام، فيطرد عنه الشيطان ويمسح الشحوب عن وجهه فيبتسم الميت ضاحكًا لا محالة، وكثير من يرى مبتسمًا في هذه الحالة فرحًا مسرورًا بالبشير الذي جاء رحمة من اللّٰه تعالى يقول: يا فلان أما تعرفني؟ أنا جبريل، وهؤلاء أعداؤك من الشياطين، مت على الملة الحنفية والشريعة المحمدية! فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك، وهو قوله تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ ثم الموت على الفطرة.

• ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ۝١٤ ﴾

١٨٥ - الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا قد جمعها اللّٰه تعالى في قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ وهذا من الإنس ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ وهذا من الجواهر والمعادن، وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ وهي البهائم والحيوانات ﴿ وَٱلْحَرْثِ ﴾

١٨٤ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ١٠٣، ١٠٤).
١٨٥ - الإحياء (٢٣٨/٣).

(١) أي عند الغرغرة.

وهو النبات والزرع. فهذه هي أعيان الدنيا.

• ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ... ﴿١٥﴾ ﴾

١٨٦ - قال مجاهد [١] في قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد.

• ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾

١٨٧ - ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾: ذكر، يقول النبي ﷺ: « **ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار** » [٢]. ويقول سفيان الثوري [٣] رحمه الله تعالى: إن لله تعالى ريحًا تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار. وأيضًا له: إذا كان أول الليل نادى منادٍ من تحت العرش: ألا ليقم العابدون فيقومون فيصلون ما شاء الله، ثم ينادي منادٍ في شطر الليل: ألا ليقم القائمون [٤] فيقومون، فيصلون إلى السحر، فإذا كان السحر ينادي منادٍ: ألا ليقم المستغفرون، فيقومون فيستغفرون، فإذا طلع الفجر نادى منادٍ: ألا ليقم الغافلون، فيقومون من مفرشهم كالموتى نشروا من قبورهم.

• ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴿١٨﴾ ﴾

١٨٨ - انظر كيف بدأ ﷻ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا وجلاءً ونبلًا.

---

١٨٦ - الإحياء (٥٧٥/٤).

١٨٧ - خلاصة التصانيف في التصوف، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١٣٩) و « أيها الولد » (ص ١١٣ - ١١٥).

١٨٨ - الإحياء (١٥/١).

---

(١) هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام، من التابعين والأئمة المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس وروى عن جابر وأبي هريرة، وعنه طاوس وعكرمة وعمرو بن دينار. توفي سنة (١٠١ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: صفة الصفوة (٢٠٨/٢) وتهذيب الأسماء (٨٣/٢).

(٢) رواه الديلمي عن أم سعد بنت زيد بن ثابت، ن: كنز العمال: الحديث (٤٣٢٣٧) (٨١٤/١٥).

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، سمع أبا إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير، وروى عنه الأوزاعي وشعبة (ت ١٦١هـ) ن: صفة الصفوة (١٤٧/٣) وتهذيب الأسماء (٢٢٢/١).

(٤) كذا في « خلاصة التصانيف »، وفي « أيها الولد »: ألا ليقم القانتون.

• ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴿٣١﴾ ﴾

١٨٩ - قال لأمته: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ فإنما أمته من اتبعه، وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة. فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر. وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه، وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته، والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩].

١٩٠ - قد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب، فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾.

• ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ... ﴿٣٩﴾ ﴾

١٩١ - عن عكرمة [1] في قوله تعالى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال: السيد: الذي لا يغلبه الغضب.

• ﴿ وَكَهْلًا... ﴿٤٦﴾ ﴾

١٩٢ - قال ابن أبي حبيب [2] في قوله ﷻ: ﴿ وَكَهْلًا ﴾ قال: الكهل: منتهى الحلم.

• ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾

١٩٣ - عبر القرآن بقوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ عن نهاية القدرة.

• ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴿٥٢﴾ ﴾

١٩٤ - ﴿ إِلَى ﴾ إذا اتصل بها من كان صريحًا في التحديد ومطلقة، قيل: للجمع،

---

١٨٩ - الإحياء (٥٣٨/٤).
١٩٠ - نفسه (٣٤٥/٤).
١٩١ - نفسه (١٧٦/٣).
١٩٢ - الإحياء (١٨٩/٣).
١٩٣ - نفسه (٢٦/٤).
١٩٤ - المنخول (ص ٩٣).

---

(١) هو أبو عبد الله عكرمة البربري المدني، مولى ابن عباس، روى عن مولاه وعلي، وعنه الشعبي وابن سيرين. (ت ١٠٤هـ). ن: صفة الصفوة (١٠٣/٢)، وتهذيب الأسماء (٣٤٠/١).

(٢) لم أقف على ترجمته، وإنما الذي وقفت عليه هو ابن حبيب، وهو العلامة أبو القاسم، الحسن بن محمد ابن حبيب بن أيوب النيسابوري المفسر الواعظ، صنف في التفسير والآداب، توفي سنة (٤٠٦هـ). ن: بغية الوعاة، (ص ٥١٩) وشذرات الذهب (١٨١/٣) وسير أعلام النبلاء (٢٣٧/١٧).

وقيل: للتحديد.

وقال سيبويه: ظاهره للتحديد، ويحتمل الجمع كقوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦] و﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.

• ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴿٦٨﴾ ﴾

١٩٥ – قيل: كان النبي ﷺ على شريعة إبراهيم عليه السلام، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية.

فإن قيل للذين قالوا: كان على شريعة إبراهيم، شريعة عيسى ناسخة، أجابوا بأنه لا يثبت كونه مبعوثًا إلى الجميع، فلعل ملة إبراهيم استرسلت على ذرية رسول الله ﷺ... والمختار التوقف فيه.

• ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ... ﴿٧٥﴾ ﴾

١٩٦ – قد يطلق الخاص، ونريد به العام، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾، فإنه يراد به سائر أنواع ماله.

• ﴿ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ... ﴿٧٩﴾ ﴾

١٩٧ – قيل من قوله تعالى: ﴿ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾: أي: حلماء علماء.

• ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴿٩٧﴾ ﴾

١٩٨ – سبب وجوب الحج البيت، دون الاستطاعة. ولما كان البيت واحدًا لم يجب الحج إلا مرة واحدة.

١٩٩ – سئل النبي ﷺ عن الاستطاعة فقال: « **الزاد والراحلة** » (١) ولم يتعرض لأمن الطريق والسلامة وطلب الخفارة (٢) وذلك يجوز أن يتبين بدليل آخر بعده.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ... ﴿١٠٢﴾ ﴾

٢٠٠ – قال ابن عباس: أطيعوا اللّٰه حق طاعته. وقال مجاهد: هو أن يُطاع فلا يُعصى،

---

١٩٥ – المنخول (ص ٢٢١، ٢٢٢).
١٩٦ – معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦).
١٩٧ – إحياء علوم الدين (١٨٨/٣).
١٩٨ – المستصفى (٩٣/١).
١٩٩ – نفسه (٣٨١/١، ٣٨٢).
٢٠٠ – منهاج العابدين (ص ١٢٨).

---

(١) رواه الترمذي في سننه. ن: أبواب التفسير (٢٩٣/٤) حديث رقم (٤٠٤٨).
(٢) الخفارة: الأمان، ن: اللسان (خفر).

وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

• ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

٢٠١ - ذم التفرقة وزجر عنها، فقال عز من قائل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

٢٠٢ - ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ ذلك نهي عن الاختلاف في التوحيد والإيمان بالنبي ﷺ والقيام بنصرته، وكذلك أصول الديانات التي الحق فيها واحد؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٢٠٣ - ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ المراد بالألفة: نزع الغوائل من الصدور، وهي الأسباب المثيرة للفتن، المحركة للخصومات.

٢٠٤ - ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ أي: بالألفة.

• ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

٢٠٥ - ففي الآية بيان الإيجاب، فإن قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن ﴾ أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذا حضر، وقال: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين؛ إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف، بل قال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾، فإذًا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة.

• ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ ... ﴿١٠٥﴾ ﴾

٢٠٦ - المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة.

---

٢٠١ - الإحياء (١٧٢/٢).
٢٠٢ - المستصفى (٢٦٢/٢).
٢٠٣ - الإحياء (٢٤٤/٢).
٢٠٤ - نفسه (١٧٢/٢).
٢٠٥ - نفسه (٣٣٣/٢).
٢٠٦ - الإحياء (٢٤٣/٢، ٢٤٤).

• ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴿١١٠﴾ ﴾

٢٠٧ – هذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت الناس.

• ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

٢٠٨ – فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

٢٠٩ – علق النصرة على الصبر.

• ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

٢١٠ – روي أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرًا، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) يعني أنهم ربما يسلمون، فمن أين تعلم أنهم ملعونون؟

٢١١ – روي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية. فترك الدعاء عليهم، وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام.

• ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

٢١٢ – الجنة والنار مخلوقتان، قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

---

٢٠٧ – الإحياء (٣٣٤/٢).
٢٠٨ – نفسه (٣٣٤/٢).
٢٠٩ – نفسه (٦٤/٤).
٢١٠ – نفسه (١٣٣/٣).
٢١١ – نفسه (١٦٠/٤، ١٦١).
٢١٢ – نفسه (١٣٧/١).

---

(١) روى البخاري في صحيحه نحوه في كتاب التفسير، باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (١٧١/٥)، الحديث رقم (٤٥٥٩).

فقوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ ﴾ دليل على أنها مخلوقة، فيجب إجراؤه على الظاهر؛ إذ لا استحالة فيه، ولا يقال: لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء، لأن الله تعالى: ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

• ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ... ﴿١٣٤﴾ ﴾

٢١٣ - لم يقل والفاقدين الغيظ، فرد الغضب... إلى حد الاعتدال، بحيث لا يقهر العقل ولا يغلبه، بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه.

٢١٤ - وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم، بل ينتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن، فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب، ولا يمكن قلعه، ولكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه، فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة، وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر:

ولست بمستبق أخًا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب ؟

• ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ... ﴿١٣٥﴾ ﴾

٢١٥ - أثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه، وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه: « **خياركم كل مفتن تواب** » (١) وفي خبر آخر: « المؤمن كالسنبلة يفيء أحيانًا ويميل أحيانًا » (٢)، وفي الخبر: « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة » (٣) أي الحين بعد الحين.

٢١٦ - قال علي ﷺ: كنت رجلًا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله ﷻ

---

٢١٣ - الإحياء (٦٢/٣).
٢١٤ - نفسه (٢٠٢/٢).
٢١٥ - الإحياء (٤٦/٤).
٢١٦ - نفسه (٣٧٠/١).

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٤٦/٤).
وقال الزبيدي: رواه الديلمي، وفي سند البيهقي النعمان بن سعد. قال الذهبي: كوفي مجهول، ن: الإتحاف (٧٣٧/١٠).

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، والطبراني من حديث عمار ابن ياسر، والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلًا، وكلها ضعيفة وقال: « يقوم » بدل « يفيء » وفي الأمثال للرامهرمزي: إسناد جيد لحديث أنس، ن: المغني بهامش الإحياء (٤٦/٤).
وقال الزبيدي: حديث أنس رواه أيضًا البزار والضياء ولفظهم: « مثل المؤمن مثل السنبلة تميل أحيانًا وتقوم أحيانًا » وأما حديث عمار عند الطبراني فلفظه مثل لفظ حديث أنس بزيادة: « ومثل الكافر مثل أرز تخر ولا تشعر ».
ن: الإتحاف (٧٣٧/١٠).

(٣) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة، ن: المغني بهامش =

بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف صدقته. قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله ﷻ إلا غفر له** ». ثم تلا قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ الآية »[1].

• ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ... ﴿١٣٨﴾ ﴾

٢١٧ - أراد به: القرآن.

• ﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

٢١٨ - تفضيلًا للمؤمنين على المسلمين، والمراد به المؤمن العارف دون المقلد.

• ﴿ مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ... ﴿١٥٢﴾ ﴾

٢١٩ - قيل: العوافي.

• ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾

٢٢٠ - يعني: فبرحمة...

• ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾

٢٢١ - النبي ﷺ مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته، أمره الله تعالى بالمشاورة لأصحابه العقلاء والعلماء، فقال عز من قائل: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾.

• ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ... ﴿١٧٠﴾ ﴾

٢٢٢ - لا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة، فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد، وفي الخبر: « **إن الشهيد يتمنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة**

---

٢١٧ - المستصفى من علم الأصول (١/٣٦٥). ٢١٨ - إحياء علوم الدين (٣/٢٥).
٢١٩ - نفسه (٤/٣٠٧). ٢٢٠ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٨٨).
٢٢١ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٨٧). ٢٢٢ - إحياء علوم الدين (٤/٣٢٧).

= الإحياء (٤/٤٦).
قال الزبيدي: ولفظ الطبراني في الكبير: « ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة » ن: الإتحاف: (١٠/٧٣٨).

(١) رواه الترمذي في أبواب التفسير (٤/٢٦٩) حديث رقم (٤٠٩٢).

أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة، وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء » [(١)].

٢٢٣ – ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ ﴾ هذا في السعداء.

٢٢٤ – من أمات شهواته في حياته عاش في مماته: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

• ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

٢٢٥ – أمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان؛ فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن من خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه.

• ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ... ﴿١٨٠﴾ ﴾

٢٢٦ – قال أبو هريرة: قال: رسول الله ﷺ: « **من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهازمه** – يعني اشداقه – **فيقول: أنا مالك أنا كنزك** ».. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [(٢)].

• ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ... ﴿١٨٥﴾ ﴾

٢٢٧ – ثبت ذلك في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع [(٣)]، وإنما أراد الله ﷻ الموتات الثلاث للعالمين، فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت، والمتحيز إلى العالم الملكوتي يموت،

٢٢٣ – كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٢).
٢٢٤ – المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ٧٧).
٢٢٥ – إحياء علوم الدين (٤/١٦٩). ٢٢٦ – نفسه (٤/٥٦٧).
٢٢٧ – الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٩٩).

(١) متفق عليه من حديث أنس، وليس فيه: « وإن الشهداء يتمنون أن يكونوا علماء ... الحديث ». ن: صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب: تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (٣/٢٠٨) حديث (٢٨١٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله (٣/١٤٩٨) حديث (١٠٨، ١٠٩).
(٢) أخرجه البخاري، ن: حديث أبي هريرة. كتاب التفسير (٥/١٧٢) الحديث (٤٥٦٥).
(٣) الأنبياء (٣٥)، والعنكبوت (٥٧).

والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت.

فالأول: آدم وذريته وجميع الحيوانات على ضروبه الثلاث، والملكوتي وهو الثاني: أصناف الملائكة والجن، وأهل الجبروتي فهم المصطفون من الملائكة.

• ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

٢٢٨ - أي: تصبروا عن المكافأة.

٢٢٩ - ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ فكأنه يقول: وطنوا أنفسكم على أنه لا بد لكم من أنواع البلايا، فإن تصبروا فأنتم الرجال، وعزائمكم عزائم الرجال.

• ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴿١٨٧﴾ ﴾

٢٣٠ - قال ﷻ في علماء الدنيا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾.

٢٣١ - ادخار حقائق العلوم عن المستحق لها فاحشة عظيمة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾

٢٣٢ - وهو إيجاب للتعليم.

٢٣٣ - ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾، تنبيهًا على أن الدين لا يحل كتمانه.

• ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

٢٣٤ - عن عطاء [١] قال: انطلقت يومًا أنا وعبيد بن عمير [٢] إلى عائشة رضي الله عنها

---

٢٢٨ - الإحياء (٤/٧٥).
٢٢٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (١/٢٢).
٢٣٠ - الإحياء (١/٧٦).
٢٣١ - ميزان العمل (ص ٣٦٩).
٢٣٢ - الإحياء (١/٢٠).
٢٣٣ - فضائح الباطنية (ص ٦٢).
٢٣٤ - الإحياء (٤/٤٨٦) و (ص ٤٥٠).

---

(١) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي، تابعي مفسر، فقيه، سمع عبد الله بن عمر، وروى عن عمرو ابن دينار. (ت ١٣٥هـ) انظر: تهذيب الأسماء (١/٣٣٣) وصفة الصفوة (٢/٢١١).

(٢) هو ابن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، حدث عن أبيه وعمر =

فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب، فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول رسول الله ﷺ « **زر غِبًا** [(١)] **تزدد حبًا** » قال ابن عمير: فأخبرينا بشيء رأيته من رسول الله ﷺ: قال: فبكت وقالت: كل أمره كان عجبًا، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: « **ذريني أتعبد لربي** ﷻ » فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بلَّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذن بصلاة الصبح، فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « **ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليَّ في هذه الليلة:** ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ » ثم قال: « **ويل لمن قرأها ثم لم يتفكر فيها** » [(٢)] فقيل للأوزاعي: [(٣)] ما غاية التفكر فيهن ؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن.

● ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

٢٣٥ – أثنى على الكل، ولكن قدم القيام في الذكر، ثم القعود، ثم الذكر مضطجعًا.

٢٣٦ – أثنى على المفكرين فيه [(٤)] فقال: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « **ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سَبَلَتَهُ** » [(٥)] أي تجاوزها من غير فكر.

---

٢٣٥ – الإحياء (٣٢٥/١). ٢٣٦ – نفسه (٤٧١/٤).

= ابن الخطاب وعلي وغيرهم، وعنه عطاء بن أبي رباح وغيره. كان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، قيل: توفي سنة (٧٤ هـ)، ن: أسد الغابة (٤٤١/٣) وسير أعلام النبلاء (١٥٦/٤).

(١) أغب القوم، وغب عنهم: جاء يومًا وترك يومًا. ن: اللسان (غبب).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء، ن: الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (٨/٢، ٩) حديث رقم (٦١٩).

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الدمشقي، إمام أهل الشام في وقته في الفقه والحديث، وروى عن عطاء وابن سيرين وعنه أبو حنيفة والزهري (ت ١٥٧هـ) ن: تهذيب الأسماء (٢٩٨/١) تذكرة الحفاظ (١٧٨/١).

(٤) أي: في ملكوت السماوات والأرض.

(٥) أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ: « **ولم يتفكر فيها** » وفيه أبو جنان بن جبة ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١٢٣/٤).

وَسَبَلَةُ الرجل: الدائرة التي في وسط الشفة العليا، وقيل: السَّبَلَةُ: ما على الشارب من الشعر، وقيل: طرفه، وقيل: ما على الذقن إلى طرف اللحية، وقيل: هي اللحية كلها بأسرها. اللسان (سبل). وقال الزبيدي: هو ما أسبل من اللحية. ن: الإتحاف (٢٣٢/١١).

٢٣٧ - نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ثم قال ﷺ: « **ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته** » ومعناه: أن يقرأ ويترك التأمل.

• ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ... ﴿١٩٤﴾ ﴾

٢٣٨ - ﴿ وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ أي: على ألسنة رسلك فحذف ألسنة.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ... ﴿٢٠٠﴾ ﴾

٢٣٩ - قد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾ اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله.

٢٤٠ - أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في انتظاره في الصلاة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَابِطُوا۟ ﴾.

* * *

* سُورَةُ النِّسَاءِ *

• ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾

٢٤١ - طيبة النفس غير طيبة القلب، فقد يريد الإنسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه، فإنه يريد الحجامة بقلبه، ولكن تكرهها نفسه، وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسه بالإبراء، لا عن ضرورة تقابله، حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما، فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن.

• ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ... ﴿٥﴾ ﴾

٢٤٢ - تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق.

• ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴿٦﴾ ﴾

٢٤٣ - جعل ممارسة اليتيم في المال سببًا، فيصير ملائمًا، وهذه مناسبة مع الملاءمة

---

٢٣٧ - الإحياء (٤/١٢٣).
٢٣٨ - نفسه (١/٣٤٤).
٢٣٩ - نفسه (٤/٨٤).
٢٤٠ - نفسه (٤/٣٩٠).
٢٤١ - الإحياء (٣/٤٢١).
٢٤٢ - نفسه (١/٧٢)، وميزان العمل (٣٦٨).
٢٤٣ - شفاء الغليل (ص ١٥٠).

في نهاية الضعف.

٢٤٤ - ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ نبه على أن من بلغ رشده في العلم، فينبغي أن يبث إليه حقائق العلوم ويرقى من الجلي الظاهر إلى الدقيق الخفي الباطن.

فليس الظلم في منع المستحق بأقل من الظلم في إعطاء غير المستحق، وقال المتقدم في مثل ذلك:

فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا ... ⑩ ﴾

٢٤٥ - لا يسبق إلى الفهم من الأكل معنى الأكل، وإنما يسبق إلى معنى الاحتياج والتفويت للمال، حتى يعلم - على الارتياح، أو بأدنى تأمل - أن الظلم بهبة ماله وإغراقه والتبرع به، وإتلافه وإحراقه، وإلقائه في البحر وغير ذلك من وجوه الإتلاف كالظلم بالأكل، بل يكاد يصير الأكل كناية عن الإتلافات.

٢٤٦ - قد يطلق الخاص، ونريد العام كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾، والمراد هو الإتلاف الذي هو أعم من الأكل، ولكن عبر بالأكل عنه.. وقلنا: كل إتلاف لمال اليتامى حرام.

٢٤٧ - فهم غير المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده.. كَفَهْم تحريم مال اليتيم وإحراقه وإهلاكه من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾.

• ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ... ⑪ ﴾

٢٤٨ - خصصوا عموم آية المواريث برواية أبي هريرة: « **إنه لا يرث القاتل والعبد ولا أهل ملتين** »(١).

• ﴿ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ... ⑪ ﴾

٢٤٩ - فمعقول هذا أن لأبيه الثلثين.

---

٢٤٤ - ميزان العمل (ص ٣٨٦).
٢٤٥ - شفاء الغليل (ص ٨٣، ٨٤).
٢٤٦ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦).
٢٤٧ - المستصفى من علم الأصول (٢/١٩٠).
٢٤٨ - نفسه (٢/١١٩).
٢٤٩ - نفسه (٢/٢٤٥).

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الفرائض، باب ميراث القاتل (٢/٩١٢) حديث رقم (٢٧٣٥) و (٢/٩١٣) حديث رقم (٢٧٣١).

• ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ... ⑪ ﴾

٢٥٠ – عقل ابن عباس ﷺ من قوله: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ أنه إن كان له أخوان فلأمه الثلث.

• ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ... ⑫ ﴾

٢٥١ – قول أبي بكر لما سئل عن الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابًا فمن اللّه، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان، واللّه ورسوله منه بريئان، الكلالة: ما عدا الوالد والولد.

• [﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ⑮ ﴾].

٢٥٢ – نسخ الحبس والأذى عن اللاتي يأتين الفاحشة بالجلد [١] والرجم مع بقاء التلاوة.

• ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ... ⑰ ﴾

٢٥٣ – ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو؛ ولذلك قال ﷺ: « **أتبع السيئة الحسنة [تمحها]** [٢] » [٣] ولذلك قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

• ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ... ⑱ ﴾

٢٥٤ – قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ

---

٢٥٠ – المستصفى (٢/١٩٨).
٢٥١ – نفسه (٢/٢٤٣).
٢٥٢ – نفسه (١/١٢٤).
٢٥٣ – الإحياء (٤/١٣).
٢٥٤ – نفسه (٤/٤٩١).

---

(١) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ بلفظ: « خذوا عني خذوا عني، قد جعل اللّه لهن سبيلًا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » كتاب الحدود، باب حد الزنا (٣/١٣١٦) حديث (١٦٩٠) ورواه الترمذي في صحيحه، أبواب الحدود (٢/٤٤٥) حديث (١٤٦١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) في النسخة المطبوعة: تمحوها، والصواب ما أثبته.

(٣) عن أبي ذر ومعاذ بن جبل ﷺ، أن رسول اللّه ﷺ قال: « اتق اللّه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذي. وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح، ن: أبواب البر والصلة (٣/٢٩٣) حديث (٢٠٥٣).

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔنَ ﴾ قال: إذا عاين الرسل، فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته.

• ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ... ﴿٢٢﴾ ﴾

٢٥٥ - يحمل على وطء الأب وعقده.

• ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٢٥٦ - يقتضي إضمار الوطء، أي: حرم عليكم وطء أمهاتكم؛ لأن الأمهات عبارة عن الأعيان، والأحكام لا تتعلق بالأعيان، بل لا يعقل تعلقها إلا بأفعال المكلفين، فاقتضى اللفظ فعلًا، وصار ذلك هو الوطء من بين سائر الأفعال بعرف الاستعمال.

٢٥٧ - لم يجعل قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ عامًّا في كل فعل، مع أنه لا بد من إضمار فعل، فالحكم هاهنا لا بد من إضماره لإضافة الرفع إليه كالفعل، ثم ينزل على ما يقتضي عرف الاستعمال وهو الذم والعقاب هاهنا والوطء.

• ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٢٥٨ - أراد به زمان الجاهلية، هذا ما ورد في التفسير.

٢٥٩ - ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ حرم عليه الجمع بين المملوكتين، وإنما يجوز له إذا قصد العمل بموجب الدليل الثاني، وهو قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] كما قال عثمان: « أحلتهما آية وحرمتهما آية ».

٢٦٠ - من التعارض أن يتعارض عمومان، فيزيد أحدهما على الآخر من وجه، وينقص عنه من وجه، مثاله: ... قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾، فإنه يشمل جمع الأختين في ملك اليمين أيضًا مع قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] فإنه يحل الجمع بين الأختين في النكاح دون ملك اليمين، لعموم قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فهو على مذهب القاضي تعارض وتدافع بتقديم النسخ، ويشهد له قول علي وعثمان رضي الله عنهما لما سئلا عن هذه المسألة - أعني: جمع أختين في ملك اليمين - فقالا: حرمتهما آية وحللتهما آية.

---

٢٥٥ - المستصفى (٢/ ٧١).
٢٥٦ - نفسه (١/ ١٨٧).
٢٥٧ - نفسه (١/ ٣٤٩).
٢٥٨ - نفسه (١/ ٣٩٤).
٢٥٩ - نفسه (٢/ ٣٨١).
٢٦٠ - المستصفى (٢/ ١٤٨ - ١٥١).

أما على مذهبنا في حمله على البيان ما أمكن ليس أيضًا أحدهما بأولى من الآخر ما لم يظهر ترجيح، وقد ظهر.

فنقول: عموم قوله: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ أولى لمعنيين:

أحدهما: أنه عموم لم يتطرق إليه تخصيص متفق عليه فهو أقوى من عموم تطرق إليه التخصيص بالاتفاق؛ إذ قد استثني عن ملك اليمين المشركة والمستبرأة والمجوسية والأخت من الرضاع والنسب وسائر المحرمات، أما الجمع بين الأختين فحرام على العموم.

الثاني: أن قوله: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ سيق بعد ذكر المحرمات وعَدِّها على الاستقصاء إلحاقًا لمحرمات تعم الحرائر والإماء.

وقوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ ما سيق لبيان المحللات قصدًا! بل في معرض الثناء على أهل التقوى الحافظين فروجهم عن غير الزوجات والسراري، فلا يظهر منه قصد البيان.

• ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ... ﴿٢٤﴾ ﴾

٢٦١ - روى أبو هريرة أن المرأة لا تنكح على عمتها وخالتها [(١)] فخصصوا به قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾.

• ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... ﴿٢٥﴾ ﴾

٢٦٢ - يترتب الحكم على الفعل بفاء التعليل والتسبيب، فهو تنبيه على تعليل الحاكم بالفعل الذي رتب عليه... كقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ فدل ذلك على أن سبب إباحة نكاح الإماء العجز.

٢٦٣ - فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية. فهلا نزلت ذلك على تأثيره في الحكم بواسطة الفعل، مصيرًا إلى أن الغالب: أن القادر على الحرة لا ينكح الأمة

---

٢٦١ - المستصفى من علم الأصول (٢/١١٩). ٢٦٢ - شفاء الغليل (ص ٢٨).
٢٦٣ - نفسه (ص ١٠٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح (٦/١٢٨) باب: لا تنكح المرأة على عمتها، حديث (٥١٠٨). ومسلم في كتاب النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، الحديث (١٤٠٨).

فيرق ولده، ويضيق على نفسه الاستمتاع ولم رددتم مذهب أبي حنيفة إذ صار إليه؟

قلنا: نظره ليس باطلًا؛ لأن الآية لا تحتمل هذا التأويل، ولكنا قد نعول على المعنى في تلك المسألة - وهو إرقاق الولد - وقد نعول على الآية ونبطل دليل الخصم على تأويله بالطرق المذكورة في تلك المسألة، فأما أصل التأويل فغير ممتنع في أصله.

• ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ... ﴿٢٥﴾ ﴾

٢٦٤ - نقول في العبد: إنه رقيق، فينشطر حد الزنا في حقه كالأمة، ونقيس على الأمة؛ لأن النص وارد في حق الأمة؛ إذ قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾

فيقال: وما الدليل على أن الرقة علة؟

قلنا: هو أن التشطير يعدم بعدمه، فإنها لو عتقت لم ينشطر حدها.

٢٦٥ - ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ فالعبد في معناها.

• ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

٢٦٦ - عن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾: إنه لا يصبر على النساء.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

٢٦٧ - أمر اللَّه تعالى بأكل الطيب وهو الحلال، وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيمًا لأمر الحرام وتعظيمًا لبركة الحلال.

• ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ... ﴿٣٤﴾ ﴾

٢٦٨ - أي: لا تطلبوا حيلة للفراق.

• ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ... ﴿٣٥﴾ ﴾

٢٦٩ - جعل النية سبب التوفيق.

---

٢٦٤ - شفاء الغليل (ص ٢٧٠).
٢٦٥ - المستصفى من علم الأصول (٢٨٣/٢).
٢٦٦ - الإحياء (٣٢/٢).
٢٦٧ - نفسه (٤/٢).
٢٦٨ - نفسه (٦٢/٢).
٢٦٩ - نفسه (٨٢/٤).

• ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ... ﴿٣٦﴾ ﴾

٢٧٠ - قيل: هي المرأة الصالحة.

• ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ... ﴿٣٧﴾ ﴾

٢٧١ - **الكتمان:** كفران النعمة، وقد ذم اللَّه ﷻ من كتم ما آتاه اللَّه ﷻ وقرنه بالبخل.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ... ﴿٤٣﴾ ﴾

٢٧٢ - ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ قيل: سكارى من كثير الهم؛ وقيل: من حب الدنيا. وقال وهب (١): المراد به ظاهره، ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بيّن فيه العلة فقال: ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ وكم من مصلٍّ لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته.

٢٧٣ - تكليف السكران الذي لا يعقل محال؛ كتكليف الساهي والمجنون، والذي لا يسمع ولا يفهم، بل السكران أسوأ حالًا من النائم الذي يمكن تنبيهه، ومن المجنون الذي يفهم كثيرًا من الكلام.

وأما نفوذ طلاقه ولزوم الغرم، فذلك من قبيل ربط الأحكام بالأسباب، وذلك مما لا ينكر، فإن قيل: فقد قال اللَّه تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ وهذا خطاب للسكران. قلنا: إذا ثبت بالبرهان استحالة خطابه وجب تأويل الآية، ولها تأويلان:

أحدهما: أنه خطاب مع المنتشي الذي ظهر فيه مبادئ النشاط والطرب، ولم يزل عقله، فإنه قد يستحسن من اللعب والانبساط ما لا يستحسنه قبل ذلك، ولكنه عاقل، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ معناه: حتى يسكن غضبك فيكمل علمك، وإن كان أصل عقله باقيًا، وهذا لأنه لا يشتغل بالصلاة مثل هذا السكران، وقد يعسر عليه

٢٧٠ - الإحياء (٤٨/٢).
٢٧١ - نفسه (٢٢٩/١).
٢٧٢ - نفسه (١٧٨/١).
٢٧٣ - المستصفى (٨٤/١، ٨٥).

(١) هو أبو عبد اللَّه وهب بن منبه اليماني الصنعاني الذماري، تابعي، من كبار المفسرين، حدث عن جابر وابن عباس وأبي سعيد الخدري، وروى عن عمرو بن دينار وغيره. توفي سنة (١١٠هـ) وقيل: (١١٤هـ) ن: حلية الأولياء (٢٣/٤) وتهذيب الأسماء (١٤٩/٢).

تصحيح مخارج الحروف وتمام الخشوع.

الثاني: أنه ورد الخطاب به في ابتداء الإسلام قبل تحريم الخمر، وليس المراد المنع من الصلاة، بل المنع من إفراط الشرب في وقت الصلاة، كما يقال: لا تقرب التهجد وأنت شبعان، ومعناه: لا تشبع فيثقل عليك التهجد.

٢٧٤ - ذهب الفقهاء إلى أنه مخاطب تمسكًا بقوله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ ... وظاهر الآي لا يصادم المعقولات، ثم هو خطاب مع المنتشي الذي لم يزل عقله، بدليل أنه نزل في شارب خمر أَمَّ قومًا، فقرأ « الفاتحة »، فتخبطت عليه سورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ ﴾ وكان معه من العقل ما يفهم به.

قلنا: جريان الأحكام عليه تغليظ؛ لأن السكر متشوف النفوس، وقد تعدى بالتسبب إليه، فلا يتوجه إليه الخطاب في حالة السكر أصلًا.

والأحكام جارية، والصلاة تقضى بأمر جديد، ولو أمر به المجنون بعد الإفاقة، أو الحائض بعد الطهر بفعل الصوم لم يبعد، وسببه تعديه بالتسبب إليه مع كونه مجنونًا حتى لو ردى نفسه من شاهق، فانخلعت قدماه، لا يجب القضاء؛ لأن النفس لا تتشوف إليه.

والخلاف آيل إلى عبارة، إن سلموا لنا استحالة تكليف ما لا يطاق؛ لأننا نسلم الأحكام وجريانها؛ وذلك لا يدل على التكليف، والسكران لا يفهم، ولا يقال له افهم، وهو شرط خطاب، وكذلك الناسي الذاهل حكمه حكم السكران في التكليف.

٢٧٥ - ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ تعليل لنهي السكران، وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا.

٢٧٦ - ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ﴾ ... تنبيه على أن ما جُعل غاية للحكم مؤثر في ارتباط.

٢٧٧ - يحمل قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ على الوطء والمس جميعًا، قلنا: هذا عندنا كاللفظ المشترك، وإن كان التعميم فيه أقرب قليلًا، وقد نقل أن الشافعي رحمه الله قال: أحمل آية اللمس على المس والوطء جميعًا، وإنما قلنا: هذا أقرب، لأن المس مقدمة الوطء، والنكاح أيضًا يراد للوطء، فهو مقدمته، ولأجله استعير للعقد اسم النكاح الذي

---

٢٧٤ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢٩، ٣٠). ٢٧٥ - الإحياء (١/ ١٨٥).

٢٧٦ - شفاء الغليل (ص ٤٨). ٢٧٧ - المستصفى (٢/ ٧٤).

وضعه للوطء، واستعير للوطء اسم اللمس، فلتعلق أحدهما بالآخر ربما لا يبعد أن يقصدا جميعًا باللفظ المذكور مرة واحدة. لكن الأظهر عندنا أن ذلك على خلاف عادة العرب.

٢٧٨ - ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ فهو تنبيه على إضافة الإباحة إلى العدم، ولكن إلى العدم لعينه حتى يقتصر عليه، أو لمعنى يتضمنه، وهو: العجز الحاصل به، حتى يتعدى إلى من وجد ماء ومنعه منه حائل أو افتقر إليه السقية، أو افتقر في تحصيله إلى تفويت مال كثير، وارتكاب خطر وغيره.

٢٧٩ - أن يترتب الحكم على الفعل بفاء التعليل والتسبيب، فهو تنبيه على تعليل الحكم بالفعل الذي رتب عليه... كقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ فدل ذلك على أن سبب جواز التيمم فقد الماء.

٢٨٠ - ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ حمله أبو حنيفة ﷺ على المجامعة وحمله الشافعي على الجس باليد.

٢٨١ - يبيح التيمم: ... العجز عن استعمال الماء لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾.

٢٨٢ - ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ فإن ذلك في اللمس والغائط.

ونحن نطرد ذلك في البول والنوم والمذي والمني وجميع الجهات؛ لأنه فهم بالإيماء أن السبب فقد الماء، فاتبعنا السبب دون المحل.

• ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ... ﴿٥٦﴾ ﴾

٢٨٣ - قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ... ﴿٥٨﴾ ﴾

٢٨٤ - لما تلا قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ وضع يده على سمعه وبصره فقال: « السمع أمانة والبصر أمانة » [(١)].

---

٢٧٨ - شفاء الغليل (ص ٦٤).
٢٧٩ - نفسه (ص ٢٨).
٢٨٠ - الوسيط في المذهب (٤٠٩/١، ٤١٠).
٢٨١ - نفسه (٤٣١/١).
٢٨٢ - شفاء الغليل (ص ١١٦).
٢٨٣ - الإحياء (٥٦٧/٤).
٢٨٤ - نفسه (٢٧٩/١، ٢٨٠).

---

(١) حديث لما تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ وضع يده على سمعه وبصره وقال: =

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ... ﴿٥٩﴾ ﴾

٢٨٥ - ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ أما أولو الأمر فإنما أراد بهم الولاة؛ إذ أوجب طاعتهم كطاعة اللَّه ورسوله، ولا يجب على المجتهد اتباع المجتهد.

فإن كان المراد بأولي الأمر الولاة فالطاعة على الرعية، وإن كان هم العلماء فالطاعة على العوام، ولا نفهم غير ذلك.

٢٨٦ - ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ مفهومه [1] إن اتفقتم فهو حق.

● ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

٢٨٧ - نفى الإيمان، وأقسم على من سخط قضاء رسول اللَّه ﷺ. فكيف حال من سخط قضاء اللَّه تعالى؟ وروينا أن رسول اللَّه ﷺ قال في حديث قدسي عن رب العالمين: « **من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي فليتخذ إلهًا سوائي** » [2].

٢٨٨ - ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ نفى إيمانهم إلا بالقبول لأحكامه وأقضيته، فكيف بأصل رسالته وبعثته؟

● ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

٢٨٩ - لما كتب عليهم القتال: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ ﴾ فقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ ﴾ أي: لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين.

---

٢٨٥ - المستصفى (٢/٣٨٥، ٣٨٦).
٢٨٦ - نفسه (١/١٧٥).
٢٨٧ - منهاج العابدين (ص ٢٣٧).
٢٨٨ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (٤١).
٢٨٩ - الإحياء (٤/٢٣١).

= « السمع أمانة والبصر أمانة » أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله: « السمع أمانة »، ن: المغني بهامش الإحياء (١/٢٨٠) والإتحاف (٤/٤٢١).

(١) أي مفهوم المخالفة.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك، ن: الجامع الصغير للسيوطي (٢/٥٥٨) حديث رقم (٩٠٢٧) ولفظه: « من لم يرض بقضاء اللَّه، ويؤمن بقدر اللَّه فليتلمس إلهًا غير اللَّه » وأشار السيوطي إلى ضعفه.

٢٩٠ - إلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾.

٢٩١ - ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ اتفق أهل اللغة على أن فهم... ما وراء الفتيل... من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم من نفس... الفتيل [1].

• ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ... ﴿٧٩﴾ ﴾

٢٩٢ - معناه: لا يفقهون حديثًا، يقولون: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾، فإن لم يرد هذا كان مناقضًا لقوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية.

• ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

٢٩٣ - معناه: التناقض والكذب الذي يدعيه الملحدة، أو الاختلاف من البلاغة واضطراب اللفظ الذي يتطرق إلى كلام البشر بسبب اختلاف أحواله من نظمه ونثره. وليس المراد بنفي الاختلاف في الأحكام؛ لأن جميع الشرائع والملل من عند الله، وهي مختلفة، والقرآن فيه أمر ونهي وإباحة ووعد ووعيد وأمثال ومواعظ، وهذه اختلافات.

٢٩٤ - ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ المراد به: تناقض الكلمات في المتكلم الواحد، إذا تناقض كلامه فسد.

• ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

٢٩٥ - هذا يبعد حمله على الذي يليه؛ لأنه يؤدي إلى أن لا يتبع الشيطان بعض من لم يشمله فضل الله ورحمته، فقيل: إنه محمول على قوله: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

---

٢٩٠ - الإحياء (٢٣١/٤). ٢٩١ - المستصفى (٣٣٥/١).
٢٩٢ - الإحياء (٣٤٤/١).
٢٩٣ - المستصفى من علم الأصول (٢٦١/٢، ٢٦٢).
٢٩٤ - فضائح الباطنية (ص ١٢٥). ٢٩٥ - المستصفى من علم الأصول (١٧٩/٢).

---

(١) قال الإمام الغزالي: « النص ضربان: ضرب هو نص بلفظه ومنظومه... وضرب هو نص بفحواه ومفهومه نحو: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم، وما وراء الفتيل والذرة من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم منه من نفس الذرة والفتيل والتأفيف » ن: المستصفى (٣٣٥/١).

إلا قليلًا منهم، لتقصير وإهمال وغلط. وقيل: إنه يرجع إلى قوله: ﴿ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ ولا يبعد أن يرجع إلى الأخير. ومعناه: ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته ببعثة محمد ﷺ لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا، قد كان تفضل عليهم بالعصمة من الكفر قبل البعثة كأويس القرني، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقيس بن ساعدة وغيرهم ممن تفضل اللَّه عليهم بتوحيده واتباع رسوله قبله.

٢٩٦ - ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم اللَّه.

٢٩٧ - ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ فردهم عن النزاع إلى أهل الاستنباط.

٢٩٨ - ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أثبت لأهل العلم استنباطًا.

٢٩٩ - رد اللَّه تعالى الأمر إلى أهل الاجتهاد، وقال تعالى لتعليمه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾.

٣٠٠ - إلى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وعنى بالقليل المصطفين الأخيار.

• ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾

٣٠١ - المقيت معناه: خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة، وإلى القلوب وهي المعرفة، فيكون بمعنى الرازق إلا أنه أخص منه؛ إذ الرزق بتناول القوت، وغير القوت، والقوت ما يكتفى به في قوام البدن.

وإما أن يكون بمعنى المستولي على الشيء القادر عليه، والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ أي مطعمًا قادرًا، فيكون معناه راجعًا إلى القدرة والعلم... ويكون بهذا المعنى وصفه بالمقيت أتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده؛ لأنه دال على اجتماع المعنيين... وبذلك يخرج هذا الاسم عن الترادف.

---

٢٩٦ - الإحياء (١٥/١). ٢٩٧ - المستصفى (١٨٢/١).

٢٩٨ - الإحياء (٣٤٣/١).

٢٩٩ - القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص١٥).

٣٠٠ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٩).

٣٠١ - المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى (ص ١٠٢).

• ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ... ﴿٨٦﴾ ﴾

٣٠٢ - قال ابن عباس ﵄: من سلم عليكم من خلق الله فاردد - عليه السلام - وإن كان مجوسيًّا، إن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ وقال ابن عباس أيضًا: لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه.

• ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ... ﴿٩٢﴾ ﴾

٣٠٣ - ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ استثنى الخطأ من العمد.

٣٠٤ - ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ إذ تجب على العامد عند الشافعي ﵀.

٣٠٥ - ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ يرجع إلى الأخير وهو الدية؛ لأن التصدق لا يؤثر في الإعتاق.

• ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ... ﴿٩٥﴾ ﴾

٣٠٦ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية. قال ابن أم مكتوم [1] ما قال، وكان ضريرًا، فنزل قوله تعالى: ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ فشمل الضرير وغيره عموم لفظ المؤمنين.

• ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ... ﴿٩٧﴾ ﴾

٣٠٧ - نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة.

---

٣٠٢ - الإحياء (١٢٩/٣).
٣٠٣ - المستصفى من علم الأصول (١٦٨/٢).
٣٠٤ - نفسه (٢٠٣/٢).
٣٠٥ - نفسه (١٧٩/٢).
٣٠٦ - نفسه (٤٣/٢).
٣٠٧ - الإحياء (١٦٥/٢).

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن زندة بن الأصم بن رواحة، القرشي العامري الصحابي من السابقين المهاجرين، كان ضريرًا، مؤذنًا لرسول الله ﷺ مع بلال، يقال: استشهد يوم القادسية.
ن: حلية الأولياء (٤/٢) وتهذيب الأسماء (٢٩٥/٢) وسير أعلام النبلاء (٣٦٠/١).

• ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

٣٠٨ - صلاة الخوف وردت في القرآن ناسخة لما ثبت في السنة من جواز تأخيرها إلى انجلاء القتال، حتى قال ﷺ يوم « الخندق » وقد أخر الصلاة: « **حشا الله قبورهم نارًا** » [(١)] لحبسهم له عن الصلاة.

• ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ... ﴿١٠٣﴾ ﴾

٣٠٩ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار، في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والحضر والسر والعلانية.

• ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

٣١٠ - قد سمى الله ﷻ العلم فضلًا في مواضع؛ قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾.

٣١١ - أعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق، والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم؛ ولذلك قال تعالى امتنانًا على عبده: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ وأراد به العلم.

• ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... ﴿١١٤﴾ ﴾

٣١٢ - ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ ومعناه: أن لا تتكلم فيما لا يعنيك، وتقتصر على المهم، ففيه النجاة.

---

٣٠٨ - المستصفى (١٢٤/١).
٣٠٩ - الإحياء (٣٥٠/١).
٣١٠ - نفسه (٢١٩/١).
٣١١ - نفسه (٤٢٦/٤).
٣١٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٨٣، ٨٤).

---

(١) رواه مسلم بلفظ: « ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا... » الحديث كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤٣٦/١).

• ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

٣١٣ - إن ذلك يوجب اتباع سبيل المؤمنين، وهذا ما تمسك به الشافعي، وقد أطنبنا في كتاب « تهذيب الأصول » [1] في توجيه الأسئلة [2] على الآية ودفعها. والذي نراه: أن الآية ليست نصًا في الغرض، بل الظاهر أن المراد بها أن من يقاتل الرسول ويشاققه ويتبع غير سبيل المؤمنين في مشايعته ونصرته ودفع الأعداء عنه ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ فكأنه لم يكتفِ بترك المشاقة حتى تنظم إليه متابعة سبيل المؤمنين في نصرته والذب عنه والانقياد له فيما يأمر وينهى، وهذا هو الظاهر السابق إلى الفهم، فإن لم يكن ظاهرًا فهو محتمل، ولو فسر رسول الله ﷺ الآية بذلك لقبل ولم يجعل ذلك رفعًا للنص، كما لو فسر المشاقة بالموافقة واتباع سبيل المؤمنين بالعدول عن سبيلهم.

٣١٤ - تمسك الشافعي في إثبات كون الإجماع حجة بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ الآية: تواعد على ترك اتباع سبيل المؤمنين، فإذا أجمعوا على حكم فهو سبيلهم.

فإن قيل: تنطوي على السريرة، ولا اطلاع عليها، فما ندري أن الذين أجمعوا أهم المؤمنين الذين يجب اتباعهم أم لا؟

قلنا: لم نكلف البحث عن الضمائر، وإنما أمرنا بناء الأمر على الظاهر، وإذا أجمعت الأمة على حكم يجب القضاء بأنهم هم المؤمنون.

إلا أنه ينقدح حمل الآية على ترك الإيمان والمخالفة فيه، ويشهد له قوله قبله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ وهذا وإن لم نقطع به، فهو محتمل، والقطعيات لا تثبت بالمحتملات.

• ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾

٣١٥ - يَعدُهُم التوبة، ويمنيهم المغفرة، فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها.

---

٣١٣ - المستصفى (١/١٧٥). ٣١٤ - المنخول (ص ٣٠٥).

٣١٥ - الإحياء (٣/٥٢).

---

(١) هذا الكتاب من الكتب المقطوع بصحة نسبتها إلى الغزالي، وهو كتاب ضخم في علم الأصول يميل إلى الاستقصاء والاستكثار على حد تعبير الغزالي، وهو كتاب مفقود. ن: المستصفى (١/٤)، ومؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (ص ٨١٠).

(٢) في الأصل المطبوع: الأسولة.

• ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ... ﴿١٢٣﴾ ﴾

٣١٦ – روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ قال أبو بكر الصديق ﷺ: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: « **غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست يصيبك الأذى؟ ألست تحزن؟ فهذا ما تجزون به** » [١] يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك.

• ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ... ﴿١٢٩﴾ ﴾

٣١٧ – قال رسول الله ﷺ: « **من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى.** – وفي لفظ – **ولم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل** » [٢] وإنما عليه العدل في العطاء والمبيت، وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ ﴾ أي أن تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس، ويتبع التفاوت في الوقاع.

وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول: « **اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك** » [٣] يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، وسائر نسائه يعرفن ذلك.

٣١٨ – ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ فإن العدل بين المرأتين في المحبة والوقوف على درجة متوسطة لا ميل فيه إلى إحداهما، لا يدخل تحت الإمكان..

---

٣١٦ – نفسه (١٣٨/٤). ٣١٧ – الإحياء (٥٥/٢).

٣١٨ – المضنون به على غير أهله، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص١٥٨).

---

(١) قال العراقي: الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر، ورواه الترمذي من وجه آخر وضعفه. قال: وليس له إسناد صحيح، وقال الدارقطني: وروي أيضًا من حديث عمرو من حديث الزبير، قال: وليس فيها شيء يثبت، ن: المغني بهامش الإحياء (١٣٨/٤). وسنن الترمذي، أبواب التفسير (٣١٤/٤، ٣١٥). حديث رقم (٥٠٣٠).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح (٢٤٢/٢) حديث رقم (١٩٦٩) بلفظ: « وشقه ساقط ».

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح (٢٤٢/٢) حديث رقم (٢١٣٤)، وابن ماجه، كتاب النكاح (٦٣٣/١) حديث رقم (١٩٧١).

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ... ﴿١٣٥﴾ ﴾

٣١٩ - وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين.

• ﴿ فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ... ﴿١٤٠﴾ ﴾

٣٢٠ - قال ﷺ: « **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل** »[(١)] وإليه الإشارة بقوله: ﴿ فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾

• ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ... ﴿١٤٥﴾ ﴾

٣٢١ - ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ لأنهم جحدوا بعد علم.

• ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ... ﴿١٤٧﴾ ﴾

٣٢٢ - الشكر قيد النعم، به تدوم وتبقى، وبتركه تزول وتحول.. قال الله ﷻ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ وقال ﷺ: « **إن للنعم أوابد كأوابد الوحش فقيدوها بالشكر** »[(٢)].

• ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ... ﴿١٧١﴾ ﴾

٣٢٣ - شبهة لفظية[(٣)] وقعت لبعضهم، ظنًّا منه أن الكلمة حيثما أطلقت، يجب

٣١٩ - الإحياء (٢/٣٣٤).
٣٢٠ - نفسه (٣/١٢٥).
٣٢١ - نفسه (١/٧٤).
٣٢٢ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣١٧).
٣٢٣ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل (ص ١٦٤ - ١٧١).

(١) قال العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات، رواه هو والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح، ن: المغني بهامش الإحياء (٣/١٢٥) ورواية ابن أبي الدنيا عن قتادة: « إن أعظم الناس خطايا فساقهم ». وأما موقوف ابن مسعود: « إن أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل ». ن: الإتحاف (٩/١٦٧).

(٢) قال محقق كتاب « منهاج العابدين »: ذكر السخاوي في المقاصد حديثًا في المعنى نفسه عند كلامه على « إن الله ليعذب بقطع الرزق » الحديث رقم (٢٣٦) عن السيدة عائشة أنه ﷺ قال لها: « يا عائشة أحسني جوار نعم الله، فإنها قلما نفرت عن أهل بيت أن ترجع إليهم » وهذا الحديث رواه الخرائطي في كتاب: (فضيلة الشكر لله على نعمته) (ص٥٧) رقم (٦٨)، ون: منهاج العابدين (ص ٣١٠).

(٣) الكلام هنا عمن يعتقد في إلهية عيسى ﵇.

أن يكون المراد منها عين ما اصطلحوا عليه في أقانيمهم [١]، لتصحيح ما يتعذر عليهم من إرادة ظاهره المتعدد بالذات.

وهذا وهم عظيم وعماية خيلت له أن هذا الاصطلاح الذي حملهم ما أشرنا إليه من الضرورة على أن ما قالوا به يجب أن يكون مرادًا لأهل كل شريعة؛ فلذلك استدل على إلهية عيسى عليه السلام بما ورد في الكتاب العزيز، وهو قوله عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾.

فأحببت أن أكشف غطاء هذه الشبهة ليكون الناظر في هذا النص آمنًا من الشبهات المضلة فأقول:

المولود إنما يتكون مسببًا في سببين:

أحدهما: في الأنثيين، وهو أحد نوعي القوة المولدة، وهي القوة التي يصير الدم فيها بحال يكون بها مستعدًّا لقبول قوة الحياة من واهب الصور.

الثاني: القوة الموجودة في المني، إذا انتقل إلى الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط، بأن يكون ماءً دافقًا صحيحًا قويًّا لا فساد فيه ولا ضعف، ويكون الرحم صحيحًا لا علة به، ولم يحصل للمرأة عقب الجماع حركة مزعجة عنيفة يحصل بها زلق المني من الرحم، فحينئذ يستعد لقبول القوة المصورة من واهب الصور، فإذا صار عنها تشكيلات الأعضاء، كان ذلك كونًا للصورة العضوية، وفسادًا للصورة المنوية، فيستعد حينئذ لقبوله الروح من واهبها.

هذا هو السبب العادي في تكوين كل مولود، وإذا ثبت ذلك فنقول: إن كل شيء له سبب قريب وسبب بعيد، فالأكثر إضافته إلى سببه القريب؛ فيقال منذ رؤية الرياض الخضر: انظر إلى صنع المطر، والله هو الصانع الحقيقي، ولو رؤي نبات نضر على صلد، والشمس في الأسد، لقيل: انظر إلى صنع الإله!! فيصرح بالسبب الحقيقي لفوات السبب العادي!!

وإذا وضع هذان الأصلان نقول: السبب القريب في حق عيسى عليه السلام، لما دل الدليل على عدم وقوعه أضيف تكوينه إلى السبب البعيد وهو الكلمة؛ لأن كل أحد مخلوق بكلمة الله القائل بها لكل مخلوق: ﴿ كُن ﴾ [آل عمران: ٥٩] فإذا هو كائن!!

---

(١) الأقانيم: الأصول، واحدها أقنوم، قال الجوهري: وأحسبها رومية، ن: اللسان (قنم).

فلهذا السبب صرح في حقه بذلك، إشارة إلى انتفاء السبب القريب العادي، وأنه إنما كون الكلمة التي هي: ﴿ كُن ﴾ [آل عمران: ٥٩] من غير مني!!! يمكن إضافة التكوين إليه على ما شرح.

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ يريد أن الولد إنما يتكون من إلقاء المني إلى أمه، وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين، فإذًا الإلقاء مجازي.

وقد ورد مثل ذلك في حق آدم عليه السلام لما اشتركا في عدم التكوين عن الأسباب العادية؛ حيث قال جل من قائل: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] والله عز وجل لا يد له، وإنما المراد: خلقته بقدرتي، إشارة إلى أنه لم يكوَّن من مني، وإنما كُوِّن بقدرته، يشير بذلك إلى فوات السبب العادي، وإذا فات السبب العادي أضيف إلى السبب البعيد المشبه بالحقيقي، وهو كلمة الله عز وجل، وقد أتى بالمماثلة صريحًا فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] وكذلك قوله: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي: وهو روح تكونها صادر عنه، منفكًا عن الأسباب العادية التي يضاف إليها المسبب عادة، فالصلة في مكان الصفة للروح.

فإن قيل: تمام هذه الحجة فرع لكون الكلمة سببًا، وسببها فرع لردها لقاعدة الشرط وما يترتب عليه من الجواب، وذلك ممتنع لما يلزم من عدم المغايرة بين المسبَّب وسببه.

قال الفارسي (١): لو جاز أن يكون مثل ذلك جوابًا لكان قوله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] منزلًا منزلة القائل: اذهب فيذهب.

وممتنع ذلك، إذ يصير تقديم الكلام بالرد إلى قاعدة الشرط: إن تكن تكن وإن تذهب تذهب، فيكون حينئذ السبب عن المسبب.

ولذلك أجمع القراء على الرفع فيما وقع الاحتجاج به من الآية السالفة، ولم يتابع الكسائي (٢)

---

(١) هو نصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح أبو الحسين الفارسي الشيرازي، شيخ محقق، إمام مسند ثقة عدل، له كتاب « الجامع في القراءات العشر » مقرئ الديار المصرية ومسندها، وألف فيها كتابه الجامع، توفي سنة (٤٦١هـ). ن: طبقات القراء (٣٣٦/٢، ٣٣٧).

(٢) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي، المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو واللغة، أخذ القراءة عن حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، وأخذ النحو عن معاذ ثم عن الخليل، وأخذ عنه القراء (ت ١٨٩هـ) انظر: طبقات القراء (٥٣٥/١) وبغية الوعاة (١٠٢/٢).

ابن عامر [١] إلا فيما أمكن أن يكون انتصابه، لا من جهة الجواب، بل من جهة العطف، وتلك المتابعة محصورة في آيتين:

الأولى: قوله جل من قائل: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] والثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠].

وإذا كان الجواب ممتنعًا فيما قرئ، منصوبًا ومرفوعًا سقط الاحتجاج بالآية، وامتنع كون الآية سببًا.

فأقول والله الموفق: إن هذه المباحثة عربية، وأهل العربية يجرون الأجوبة تارة على الألفاظ باعتبار معانيها، وتارة على صور الألفاظ المجردة عن معانيها، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقع الجواب مرتبًا على صورة لفظ الاستفهام مجردًا عن معناه، ومعنى الكلام: أنهم ساروا فنظروا، وذلك خبر محض ليس من الاستفهام في شيء.

فإن ظن أن الفاء عاطفة لصلاحيتها مع حذف النون للعطف والجواب فكيف تجعل للجواب مع هذا الاحتمال؟ مع دفع ذلك بما لا لبسة في كونه جوابًا، وهو قوله جل من قائل: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٌ ﴾ [الحج: ٤٦].

وإذا وضح ذلك ردت مسألتنا إلى هذه القاعدة، وكان الجواب جاريًا على صيغة الأمر فقط، من غير تعرض لمعناه.

قال سيبويه: « شبهة ترتب الأمور على صيغة لفظ الأمر في العرف، بترتب المقدور على تأثير القدرة فيه؛ إذ أهل العرف يقضون على أن من أمر شخصًا بالقيام، فأوجده عند أمره أن قيامه مسبب عن صيغة لفظ الأمر، وأن لفظ الأمر سبب لقيامه، وهو في الحقيقة مسبب عن الإرادة التي دلت صيغة الأمر عليها.

يدل على ذلك: أن السيد إذا أمر عبده أن يفعل فعلًا، وعلم العبد أن السيد لا يريد منه فعل ما أمره به، فإذا فعله العبد عُدَّ مخالفًا للسيد ملومًا من جهته، فإن للمأمور سببين:

---

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، إمام أهل الشام في القراءة، والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، كان في زمن عمر بن عبد العزيز، توفي بدمشق (١١٨هـ). انظر: طبقات القراء (١/٤٢٣، ٤٢٤) وسير أعلام النبلاء (٥/٦٢).

أحدهما حقيقي: وهو الإرادة، وهو السبب البعيد، **والثاني**: صيغة الأمر في العرف الدالة على الإرادة.

فتعود - حينئذ - القاعدة نفسها في إحالة الحكم على السبب القريب، فقد ثبت حينئذ - بما ذكرناه - أن أهل العرف يعدون الكلمة المأمور بها سببًا ويحيلون الحكم عليها، ويجعلون ما يقع بعدها مسببًا عنها، وإن كان له أسباب حقيقية أبعد منها، وذلك عين ما بيناه أولًا.

وإنما تعلق مورد هذا الإشكال بصناعة عربية، وقد أمكن رد ذلك إلى قواعدها، فحينئذ يسقط الإشكال يقينًا، ويسقط خيال من ظن أن قراءة « ابن عامر » فيما تتمحص الفاء فيه جوابًا عسرة الرد إلى الأصول العربية وقواعدها؛ كقوله عز وجل سبحانه: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] ونظائر ذلك مما انفرد بقراءته منصوبًا، بل القراء محجوجون من جهة بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾ [الحج: ٤٦] ولا وجه لإجماعهم على النصب، وجعل الفاء جوابًا إلا إحالة على وجود صيغة الاستفهام فقط من غير نظر إلى معناها كما تقدم، وبهذا التقدير والإلزام لا يتجه على ابن عامر إشكال البتة!!

فليتأمل الناظر حسن هذا الإعراب والإغراب، معظمًا هذه الشريعة المحمدية المؤيدة بأفصح الأنبياء لهجة وأصدقهم حجة.

إذا نطقت جاءت بكل غريبة وإن سكتت جاءت بكل غريب

وليعجب من طائفة تتمسك بمثل هذا النص الواضح فهمه وتأويله!.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾

٣٢٤ - أعظم الحكمة كلام الله تعالى، ومن جملة كلامه القرآن خاصة، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة؛ إذ به يتم الإبصار. فالحري أن يسمى القرآن نورًا كما يسمى نور الشمس نورًا، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾

---

٣٢٤ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة الرسائل رقم (٤) (ص ١٢).

• ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ... ﴿١٧٦﴾ ﴾

٣٢٥ - قال ابن عباس ﷺ : الأخوات لا يرثن مع الأولاد لقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ فإنه لما جعل لها النصف دل على انتفائه عند وجود الولد.

* * *

* سُورَةُ المَائِدَةِ *

• ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ... ﴿١﴾ ﴾

٣٢٦ - ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ أي: أكل البهيمة.

• ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ... ﴿٢﴾ ﴾

٣٢٧ - صيغة الأمر قد تطلق لإرادة الإباحة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾.

• ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴿٢﴾ ﴾

٣٢٨ - وهو أمر جزم، ومعنى التعاون: الحث عليه، وتسهيل طرق الخير، وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان.

• ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ... ﴿٣﴾ ﴾

٣٢٩ - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ أي: الأكل.

٣٣٠ - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ ليس بمجمل، وقال قوم من القدرية [(١)]: هو مجمل؛ لأن الأعيان لا تتصف بالتحريم، وإنما يحرم ما يتعلق بالعين، وليس يدرى ما ذلك الفعل، فيحرم من الميتة مسها أو أكلها أو النظر إليها أو بيعها أو الانتفاع بها فهو مجل... وهذا فاسد؛ إذ عرف الاستعمال كالوضع.

٣٣١ - نهى اللّٰه تعالى من لم يقو في الإسلام عن مخالطة الكفار، حتى قيل: كان

---

٣٢٥ - المستصفى (٢/١٩٨).
٣٢٦ - المستصفى (١/٣٤٧) و (٢/١٨٨).
٣٢٧ - نفسه (١/٧٥).
٣٢٨ - الإحياء (٢/٣٣٤).
٣٢٩ - المستصفى (٢/١٨٨).
٣٣٠ - نفسه (١/٣٤٦).
٣٣١ - ميزان العمل (ص ٣٤٧).

---

(١) القدرية: هم فرقة من المعتزلة يقولون بأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٤٣).

أحد أسباب تحريم الخنزير ذلك؛ إذ كان أكثر أطعمة الكفار، فحرم ذلك ليكون مزجرة للمسلمين عن مواكلتهم التي كانت سببًا للمخالطة.

٣٣٢ - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ خصص بالتحريم اللحم والشحم والجلد، وسائر أجزائه مفهومة منه، فنزل في البيان منزلة قوله: « والخنزير »، وحمل التخصيص فيه على عادة البيان، وهو: أن السابق إلى اللسان ما يعتاد أكله وهو اللحم.

• ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ③ ﴾

٣٣٣ - إن الحج - من بين أركان الإسلام ومبانيه - عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين، فيه أنزل الله ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

٣٣٤ - قال بعض السلف: إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة، وهو أفضل يوم في الدنيا. وفيه حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وكان واقفًا إذ نزل قوله تعالى ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾. قال أهل الكتاب: لو نزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد، فقال عمر ﷺ: « أشهد لقد نزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين: يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة »[1].

٣٣٥ - قال العلماء: قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا؛ إذ قال تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

• ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ... ⑥ ﴾

٣٣٦ - يترتب الحكم على الفعل بفاء التعقيب والتسبيب، فهو تنبيه على تعليل الحكم بالفعل الذي رتب عليه... كقوله جل من قائل: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ فدل ذلك على أن سبب الوضوء الصلاة.

---

٣٣٢ - شفاء الغليل (ص ١٠٩). ٣٣٣ - الإحياء (١/٢٨٥).
٣٣٤ - نفسه (١/٢٨٧). ٣٣٥ - نفسه (٤/١٥٦).
٣٣٦ - شفاء الغليل (ص ٢٧، ٢٨).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الحديث رقم (٤٦٠٦).

٣٣٧ - فإن قال قائل: قال الله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ وقد ذكرتم أن ترتيب الحكم على الفعل بفاء التعقيب مشعر بالتسبيب، وهذه الآية تدل على كون الصلاة سببًا لوجوب الوضوء، والإجماع منعقد على أن الوضوء يجب بالحدث، وأن القائم إلى الصلاة - إذا كان متوضئًا غير محدث - لا وضوء عليه، وهو إخراج للصلاة عن كونها سببًا، وقد ذكرتم أن أصل الإيماء في مثل ذلك صريح في أصل التعليل، وإن احتمل الإحالة إلى معنى فيتضمنه السبب، وليس هذا إحالة إلى معنى يتضمنه المذكور، بل هو قطع له عن سببه بالكلية.

فالجواب أن الوضوء إنما يجب للصلاة؛ لذلك لا يجب على المحدث أن يتوضأ قبل وجوب الصلاة عليه، فلا تخرج الصلاة عن كونها سببًا، ولكنها سبب في حق المحدث لا في حق المتوضئ. ومعناه: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون، فاغسلوا وجوهكم.

والعلل المفهومة بالإيماء تحتمل التخصيص بالشرائط والمحال، وليس في تخصيصها بشرط - دلت الدلالة عليه - إبطالٌ لها، وهذا كالتعليل بالسرقة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] ثم خصص ذلك بالنصاب، ولم يكن إبطالًا للتعليل، وتعرف الأدلة المخصصة للعلل بالمحال والشروط بما يعرف به تخصيص الألفاظ: من إجماع، ونص وقياس جلي وغيره. فقد نقل: بأن رسول الله ﷺ « كان يصلي بوضوء واحد »(١) فعلم أن الصلاة سبب لوجوب الوضوء على المحدث.

نعم: بقي على الناظر نظر في أن الحدث سبب الوجوب عند الصلاة، أو الصلاة في حق المحدث؟ وأن الجاري منهما مجرى العلة والجاري مجرى المحل والشرط ماذا؟

وعلى الأحوال كيف ما كان، فلا بد من اعتبار الصلاة وإبقائه معتبرًا في الحكم شرطًا أو سببًا، وفيه الوفاء وبموجب الإيماء؛ لأن الشرط أيضًا مؤثر في الحكم ولكن بواسطة العلة، فلم يكن التخصيص والترتيب بفاء التعقيب لغوًا من الكلام بكل حال.

والأولى عندي أن يقال: الصلاة سبب لوجوب الوضوء، والحدث سبب لانتقاضه! فالأحداث نواقض، والصلوات أسباب، ثم من توضأ للقيام للصلاة فهو ممتثل، له أن يؤدي به صلوات، ولا يتكرر عليه الخطاب بعدد آحاد الصلوات، ولكن معناه: إذا أردتم

٣٣٧ - شفاء الغليل (ص ٩٧ - ١٠٠).

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة (٢٣٢/١) حديث رقم (٢٧٧).

الصلاة فاغسلوا، أي جنس الصلاة، فما دام المصلي بهذه الطهارة، فحكم امتثاله مستمر لا يتجدد عليه الأمر إلا إذا انقضت طهارته بحدث ظاهر ناقض، فعند ذلك ينقطع حكم الامتثال السابق، فإرادة الصلاة بعده والقيام إليها يوجب الوضوء. وقد قال قائلون: من أحدث قبل دخول وقت الصلاة وجبت عليه الطهارة وجوبًا موسعًا إلى وقت الصلاة، وقد قال آخرون: لا، بل ابتدأ الوجوب بدخول وقت الصلاة ولكن في حق المحدث وهذا هو الأولى.

وعلى الجملة: فالمفهوم من الإيماء تأثير الصلاة في الوجوب، وكيف ما فرض فلا ينقطع تأثيره بحال.

٣٣٨ - قول بعض أصحابنا في قوله تعالى: ﴿ وأرجلِكم ﴾ (١) مكسورة اللام لقرب الجوار ردًّا على الشيعة؛ إذ قالت: الواجب فيه المسح.

• ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ... ٦ ﴾

٣٣٩ - ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ حمله أبو حنيفة ﷺ على المجامعة وحمله الشافعي على الجس باليد.

٣٤٠ - لفظ اللمس يحمل في نقض الطهارة على اللمس باليد والجماع.

٣٤١ - العجز عن استعمال الماء يبيح التيمم لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ ﴾.

• ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾

٣٤٢ - فرجع الأمر كله إلى التقوى.

• ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ... ٣٢ ﴾

٣٤٣ - معاد النفوس واحد، ومرجعها إليه بعد القبض، فإذا ظلم بعضها سرى الظلم

---

٣٣٨ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢٠٢). ٣٣٩ - الوسيط في المذهب (١/٤٠٩، ٤١٠).
٣٤٠ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ١٤٧). ٣٤١ - الوسيط في المذهب (١/٤٣١، ٤٣٢).
٣٤٢ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٢٥).
٣٤٣ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٢٦).

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة.

في كلها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾. فإذا أوصلت إلى النفس برًّا وصدقة وخيرًا وعدلًا وإشفاقًا سرى ذلك إلى جميع النفوس بعد القبض فصار خيرًا، فإذا وصل بهم كان ذلك خيرًا للجميع، ألا ترى قول الرجل لامرأته: بعضك طالق، كيف يسري الطلاق في الكل؟ إذ الطلاق لا يتبعض.

• ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨ ﴾

٣٤٤ - ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ المراد بعض السارقين.

فإن أردنا أن نجعل هذه كلية ضممنا إليها الأوصاف التي بان اعتبارها فيه، وقلنا مثلًا: كل من سرق نصابًا كاملًا، من حرز مثله لا شبه له فيه قطع، هذا هو العادة.

والصواب عندنا في مراسيم جدل الفقه أن لا يفعل ذلك مهما وجد عموم لفظ، بل يتعلق بعموم اللفظ، ويطالب الخصم بالمخصص، وما يدعى من أن المخصوص قد تطرق إلى العموم، فليس مانعًا من التمسك بالعموم على اصطلاح الفقهاء، وإذا اصطلحوا على هذا فالتمسك به أولى من إيراده في شكل؛ لأنهم ليسوا يقبلون تخصيص العلة.

ومهما قلت: كل من سرق نصابًا كاملًا من حرز مثله قُطع. منع الخصم وقال: أهملت وصفًا؛ وهو أن لا يكون المسروق رطبًا. فما الذي عرفك أن هذا غير معتبر؟

فلا ينبغي لك إلا أن تعود إلى العموم وتقول: هو الأصل، ومن زاد وصفًا فعليه الدليل.

فإذن التمسك بالعموم أولى، إذا وجد.

٣٤٥ - ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ ﴾ فإن السرقة مخيلة [1]، فإنها جريمة يليق بها العقوبة الزاجرة، وقوله تعالى: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ إيماء؛ لأنا نعلم أنه لا يجازى لإسلامه، وحسن عبادته. وقوله تعالى: ﴿ نَكَٰلًا ﴾ كذلك إيماء إليه.

٣٤٦ - ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ فجعل السرقة علة

---

٣٤٤ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٥، ١٩٦). ٣٤٥ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٣٤٣).
٣٤٦ - شفاء الغليل (ص ٣٩٣، ٣٩٤).

---

(١) يقال: شيء مخيل، أي مشكل، ن: اللسان (خيل).

للقطع. وسرقة ما دون النصاب سرقة وليس بعلة، ولا يعد ذلك نقضًا ولا مناقضًا؛ لأن مقصود الكلام التعرض للجهة والسبب لا للمحل الذي يعمل فيه السبب.

٣٤٧ - يرتب الحكم على الفعل بفاء التعقيب والتسبيب فهو تنبيه على الحكم بالفعل الذي رتب عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ فدل ذلك على أن القطع معلل بالسرقة، وأنها سببه.

٣٤٨ - ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ يعم كل مال وخرج ما دون النصاب بقوله: « **لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدًا** »[(١)].

٣٤٩ - ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ نزل في سرقة المجن[(٢)] أو رداء صفوان.

٣٥٠ - ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾... فإنه كما فهم وجوب القطع على السارق وهو المنطوق به، فهم كون السرقة علة الحكم وكونه علة غير منطوق به، لكن يسبق إلى الفهم من فحوى الكلام.

• ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ... ﴿٤٤﴾ ﴾

٣٥١ - المراد بالنور والهدى أصل التوحيد وما يشترك فيه النبيون دون الأحكام المعرضة للنسخ، ثم لعله أراد النبيين في زمانه دون من بعدهم ثم هو على صيغة الخبر لا على صغية الأمر، فلا حجة فيه. ثم يكون المراد حكم النبيين بها بأمر ابتدأهم به اللّٰه تعالى وحيًا إليهم لا بوحي موسى عليه السلام.

• ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

٣٥٢ - بعد ذكر التوراة وأحكامها: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قلنا: المراد به ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ مكذبًا به وجاحدًا له لا من حكم بما أنزل اللّٰه عليه خاصة، أو من لم يحكم به ممن أوجب عليه الحكم به من أمته وأمة كل نبي إذا خالفت ما أنزل على نبيهم، أو يكون المراد به يحكم بمثلها النبيون، وإن

---

٣٤٧ - شفاء الغليل (ص ٢٧، ٢٨).
٣٤٨ - المستصفى من علم الأصول (٢/١٠٣).
٣٤٩ - نفسه (٢/٦٠).
٣٥٠ - نفسه (٢/١٨٩).
٣٥١ - نفسه (١/٢٥٨).
٣٥٢ - نفسه (١/٢٥٨).

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود (٤/١٣٦) حديث رقم (٤٣٨٣، ٤٣٨٤)، وابن حبان في صحيحه. ن: الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (٦/٣١٦).

(٢) المجن: الترس من السلاح المتوقى بها، ن: اللسان (ترس) و (جن).

كان بوحي خاص إليهم لا بطريق التبعية.

• ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ... ﴿٥٤﴾ ﴾

٣٥٣ - قال الشيخ أبو سعيد الميهني [١] رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ فقال: بحق يحبهم، فإنه ليس يحب إلا نفسه، على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره، فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذن لا يحب إلا نفسه. وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول، ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك في الأزل. فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى: « **لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه** » [٢] فيكون تقربه بالنوافل سببًا لصفاء وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو في معنى حبه.

• ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٣٥٤ - المنهكون في الدنيا بلا التفات إلى العقبى إلا باللسان وحديث النفس، وهم الأكثرون، سموًّا في كتاب الله تعالى: ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ ﴾.

• ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

٣٥٥ - بين أنهم أثموا بترك النهي.

• ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا

---

٣٥٣ - الإحياء (٣٤٦/٤).
٣٥٤ - ميزان العمل (ص ٣٨٢).
٣٥٥ - الإحياء (٣٣٤/٢).

---

(١) هو القدوة الزاهد، شيخ خراسان، أبو سعيد فضل بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني الصوفي، حدث عن زاهر بن أحمد السرخسي وغيره، وروى عنه: الحسن بن أبي طاهر الحنبلي، وعبد الغفار بن محمد الشيروبي وآخرون. توفي (سنة ٤٤٠هـ)، ن: سير أعلام النبلاء (٦٢٢/١٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢).

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

٣٥٦ - هذا غاية التشديد؛ إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر.

• ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

٣٥٧ - اعلم أنه لا وصول إلى الله ﷻ إلا بالتنزه عن الشهوات، والكف عن اللذات، والاقتصار على الضرورات فيها، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله ﷻ، فتركوا لله ﷻ اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعًا في الآخرة، وأثنى الله ﷻ عليهم في كتابه فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

• ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ ... ﴿٨٩﴾ ﴾

٣٥٨ - ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ تنبيه على أن للتعقيد تأثيرًا في المؤاخذة.

٣٥٩ - قوله: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ يرجع إلى الخصال الثلاثة.

٣٦٠ - ﴿ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ يعم المؤمنة وغير المؤمنة فيجوز تخصيص العموم؛ إذ قد يراد بالآية ذكر أصل الكفارة، ويكون أمرًا بأصل الكفارة دون قيودها وشروطها، فلو استقر العموم وحصل القطع يكون العموم مرادًا. لكان نسخه ورفعه بالقياس وخبر الواحد ممتنعًا.

٣٦١ - التتابع في صوم كفارة اليمين ليس بواجب على قول، وإن قرأ ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، لأن هذه الزيادة لم تتواتر، فليست من القرآن، فتحمل على أنه ذكرها في معرض البيان لما اعتقده مذهبًا، فلعله اعتقد التتابع حملًا لهذا المطلق على المقيد بالتتابع في الظهار. وقال أبو حنيفة: يجب؛ لأنه وإن لم يثبت كونه قرآنًا

---

٣٥٦ - الإحياء (٢/٣٣٤).
٣٥٧ - نفسه (١/٣١٤).
٣٥٨ - شفاء الغليل (ص ٤٩).
٣٥٩ - المستصفى (٢/١٧٩).
٣٦٠ - نفسه (١/١١٩).
٣٦١ - نفسه (١/١٠٢).

فلا أقل من كونه خبرًا، والعمل يجب بالخبر الواحد. وهذا ضعيف؛ لأن خبر الواحد لا دليل على كذبه، وهو وإن جعله من القرآن فهو خطأ قطعًا؛ لأنه وجب على رسول الله ﷺ أن يبلغه طائفة من الأمة تقوم الحجة بقولهم، وكان لا يجوز له مناجاة الواحد به، وإن لم يجعله من القرآن احتمل أن يكون ذلك مذهبًا له، لدليل قد دله عليه، واحتمل أن يكون خبرًا، وما تردد أن يكون خبرًا أو لا يكون، فلا يجوز العمل به، وإنما يجوز العمل بما يصرح الراوي بسماعه من رسول الله ﷺ.

● ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

٣٦٢ - ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ فإنه بيان لتعليل تحريم الخمر حتى يطَّرد في كل مسكر.

٣٦٣ - نبه على فساد الخمر بقوله: ﴿ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ وهي من المضار والمحذورات في أمور الدنيا، وقد يقترن به أيضًا مفسدة الدين.

● ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

٣٦٤ - قالوا: منازل التقوى ثلاثة: تقوى عن الشرك، وتقوى عن البدعة، وتقوى عن المعاصي الفرعية. ولقد ذكرها الله سبحانه في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ﴾

التقوى الأولى: تقوى عن الشرك، والإيمان في مقابلته وهو التوحيد.

والتقوى الثانية: عن البدعة، والإيمان الذي ذكر معها إقرار بالسنة والجماعة.

التقوى الثالثة: عن المعاصي الفرعية، ولا إقرار في هذه المنزلة، فقابلها بالإحسان وهو الطاعة والاستقامة في الطاعة. هذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى.

قلت: إن وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال، وهو ما روي في الخبر المشهور أن النبي ﷺ أنه قال: « **إنما سمي المتقون متقين، لتركهم ما لا بأس به حذرًا**

---

٣٦٢ - المستصفى (٢٨٩/٢). ٣٦٣ - شفاء الغليل (ص ١٦١).

٣٦٤ - منهاج العابدين (ص ١٢٩ - ١٣١).

عما به بأس » [١].

فأحببت أن أجمع بين ما قاله علماؤنا رحمهم اللّه تعالى، وبين ما جاء في الخبر عن النبي ﷺ، فيكون حدًّا جامعًا ومعنًى بالغًا.

فأقول: التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه من ضرر في دينك. ألا ترى أنه يقال للمريض المحتمي: إنه يتقى إذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام أو شراب أو فاكهة أو غيرها.

ثم الذي يخاف منه الضرر في أمر الدين قسمان: محض الحرام ومحض المعصية، وفضول الحلال، وذلك لشره أمر النفس وطغيانها، وتمرد الهوى وعصيانه، فمن أراد أن يأمن الضرر في أمر دينه، اجتنب الخطر، فامتنع عن فضول الحلال حذرًا أن يجره إلى محض الحرام، على ما قاله ﷺ؛ لتركهم ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، يعني: لتركهم فضول الحلال حذرًا عن الوقوع في الحرام، فالتقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين، وهو المعصية والفضول، هذا تفصيلها [٢].

أما إذا أردنا تحديدها على موضوع علم الشرع فنقول:

حد التقوى الجامع: تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله، بقوة العزم على ترك حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر.

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ... ﴿٩٥﴾ ﴾

٣٦٥ - أوجب المثل وحصره في النعم، فكان طلب الوصف - الذي تقع به المماثلة - واجبًا بحكم النص.

٣٦٦ - ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا ﴾ في جزاء الصيد يجب على الخاطئ.

● ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ... ﴿١٠٠﴾ ﴾

٣٦٧ - هم ذوو العقول، واشتقاق العقل من العقال، والمعقل المنيع، والقلعة على

٣٦٥ - شفاء الغليل (ص ٣٥٨). ٣٦٦ - المستصفى (٢/٢٠٣).

٣٦٧ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ١١٧).

(١) رواه ابن ماجه في باب الورع والتقوى (٢/١٤٠٩)، بلفظ: قال رسول اللّه ﷺ: « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس » حديث رقم (٤٢١٥).

(٢) أي هذا الذي ذكرناه هو تفصيل التقوى.

رأس الجبل لا تصل إليها يد أحد لامتناعها وقوتها وإحكامها.

• ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ... ﴿١٠٥﴾ ﴾

٣٦٨ - روي عن أبي بكر الصديق ﷺ في خطبته: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل، إلا أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده** »[1].

• ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ... ﴿١٠٨﴾ ﴾

٣٦٩ - ربط السماع بالتقوى.

• ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾

٣٧٠ - في الشدَّة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة؛ إذ يقال لهم: ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ وقد أرسلتم إلى الخلائق؟ وكانوا قد عملوا فتدهش عقولهم، فلا يدرون بماذا يجيبون، فيقولون من شدة الهيبة. ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ وهم في ذلك الوقت صادقون؛ إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى.

• ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ... ﴿١١٠﴾ ﴾

٣٧١ - التأييد: هو تقوية أمره بالبصيرة من داخل، وتقوية البطش من خارج، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾.

٣٧٢ - أعلى طبقة في الامتداد: الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم - ، ثم من يليهم وذلك بحسب تهذيب النفس والعكوف على هذه الجنبة، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾.

---

٣٦٨ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٦٥)، الإحياء (٢/ ٢٥٠)، و(٢/ ٣٣٥)، مع تغير في ألفاظ الحديث « .. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب ».

٣٦٩ - الإحياء (٣/ ١٣). ٣٧٠ - نفسه (٤/ ٥٥١).

٣٧١ - ميزان العمل (ص ٣٠٣).

٣٧٢ - معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٠٤).

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه (٤/ ٣٢٢) أبواب التفسير، حديث (٥٠٥٠)، وقال: حسن صحيح.

• ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ... ﴿١١٠﴾ ﴾

٣٧٣ - معناه: تقدر، والخلق هو التقدير.

• ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

٣٧٤ - فوض الأمر إلى المشيئة، وأخرج نفسه بالكلية من البين، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء، وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطًا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات، فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان، فضلًا عن التحقيق والاستيقان.

* * *

* سُورَةُ الأنعَام *

• ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

٣٧٥ - الوقف على السماوات في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ له معنى يخالف الوقف على الأرض والابتداء بقوله: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾.

• ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

٣٧٦ - ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ إن الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين:

أحدهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، يعني الأعلى من جانب الرأس الأسفل، وقد يطلق لفوقية الرتبة، وبهذا يقال: الخليفة فوق السلطان، والسلطان فوق الوزير، كما يقال: الحلم فوق العلم، والأول يستدعي جسمًا ينسب إلى جسم، والثاني لا يستدعيه.

فليعتقد المؤمن قطعًا أن الأول غير مراد، وأنه على الله تعالى محال، فإنه من لوازم الأجسام أو لوازم أعراض الأجسام، وإذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه، وإن لم يعرف أنه لماذا أطلق؟ وماذا أريد؟ فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره.

٣٧٧ - فوقية المكان محال، فإنه كان قبل المكان فهو الآن كما كان، وما أراده

---

٣٧٣ - المستصفى (٢/١٣٩). ٣٧٤ - الإحياء (٤/١٨٠).

٣٧٥ - المستصفى (١/٣٦٢).

٣٧٦ - إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ٦٥).

٣٧٧ - نفسه (ص ١٠٨).

فلسنا نعرفه، وليس علينا ولا عليك أيها السائل معرفته.

٣٧٨ - **الخبير**: يدل على العلم مضافًا إلى الأمور الباطنية.

• ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ... ﴿١٩﴾ ﴾

٣٧٩ - أي ينذر كل قوم، بل كل شخص بحكمه، فيكون شرعه عامًّا.

• ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ... ﴿٢٥﴾ ﴾

٣٨٠ - موانع الفهم هي الأكنة التي تمنع من الفهم.

• ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ ... ﴿٣٨﴾ ﴾

٣٨١ - قال أبو هريرة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ ﴾: إنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة؛ البهائم والدواب والطير وكل شيء...

• ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

٣٨٢ - عن عقبة بن عامر [١] عن النبي ﷺ أنه قال: « **إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج** »، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [٢] يعني لما تركوا ما أمروا له فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾ أي بما أُعطوا من الخير أخذناهم بغتة.

• ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ... ﴿٥٢﴾ ﴾

٣٨٣ - قالت قريش لرسول الله ﷺ: « كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ وأشاروا

---

٣٧٨ - روضة الطالبين وعدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٣٧٩ - المستصفى (٨٥/٢). ٣٨٠ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٣٨).

٣٨١ - الإحياء (٥٥٥/٤). ٣٨٢ - نفسه (١٣٨/٤).

٣٨٣ - نفسه (٣٦٥/٣).

---

(١) هو أبو حماد عقبة بن عامر بن عبس الجهني الصحابي الجليل، روى عنه جابر وابن عباس وكثير من التابعين، حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص، وهو أحد من جمع القرآن (ت ٥٨ هـ) ن: الاستيعاب (١٠٧٣) وسير أعلام النبلاء (٤٦٧/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب بسند حسن (١٢٨/٤) حديث رقم (٤٥٤٠).

إلى فقراء فازدروهم بأعينهم لفقرهم، وتكبروا عن مجالسهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ (١).

٣٨٤ – ومعنى النية: إرادة وجهه.

• ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

٣٨٥ – قال تعالى يصف قول قريش: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ كالاستحقار لهم والأنفة منهم.

٣٨٦ – ﴿ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ أي استحقارًا لهم واستبعادًا لتقدمهم.

٣٨٧ – ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ظن أولئك الجهال أن النعمة العظيمة والمنة الكريمة، إنما تعطى من يكون أكثرهم مالًا وأشرفهم حسبًا ونسبًا، فقالوا: ما بال هؤلاء الفقراء بزعمكم من العبيد والأحرار أُعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا؟ فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ فأجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة، فقال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ تقدير الكلام: إن السيد الكريم إنما يعطي نعمته من يعرف قدرها، وإنما يعرف قدرها من أقبل بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها، ولا يعبأ بما تحمل من أعباء المؤنة في تحصيلها، ثم لا يزال قائمًا بالباب يؤدي شكرها، وكان في علمنا السابق أن هؤلاء

---

٣٨٤ – كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٧٠) والإحياء (٤/٣٨٢).

٣٨٥ – الإحياء (٣/٢٠٥). ٣٨٦ – نفسه (٣/٣٦٥).

٣٨٧ – منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٢٤، ٣٢٥).

---

(١) رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: « كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما قال: فوقع في نفس النبي ﷺ من ذلك ما شاء الله فحدث به نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ » كتاب فضائل الصحابة (٤/١٨٧٨) حديث (٤٦) ورواه ابن ماجه بلفظ: « نزلت هذه الآية فينا ستة: فيَّ وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهم، فاطردهم عنك. قال: فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل. فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ » الآية ن: كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء (٢/١٣٨٣) حديث رقم (٤١٢٨).

الضعفاء يعرفون هذه النعمة، ويقومون بشكرها، فكانوا أولى بهذه النعمة منكم، فلا اعتبار بغناكم وثروتكم، ولا جاهكم في الدنيا وحشمتكم [١]، ولا نسبكم في الأنساب ولا حسبكم، إنما تحسبون النعمة كلها: الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه، لا الدين والعلم والحق ومعرفته، وإنما تعظمون ذلك وتتفاخرون به، ألا ترون أنكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق إلا بمنة على من أتاكم به، وذلك لاستحقاركم ذلك وقلة مبالاتكم به؟ وأن هؤلاء الضعفاء يقتلون أنفسهم على ذلك، ويبذلون مهجتهم فيه، ولا يبالون بما فاتهم ولا بمن عاداهم مع ذلك؟ لتعلموا أنهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة، ورسخ في قلوبهم تعظيمها، وهان عليهم فقد كل شيء دونها، وطاب لهم احتمال كل شدة، ويستغرقون جميع العمر في شكره.

فالذلك استأهلوا هذه المنة الكريمة، والنعمة العظيمة في سابق علمنا، وخصصناهم بها دونكم، فهذه هذه.

• ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴿٥٤﴾ ﴾

٣٨٨ - اللّٰه سبحانه أوجب على جوده بكمال كرمه وعنايته أن يرحم المؤمنين، وأوله بمنزلة الكتابة والسجل، فإن الإنسان إذا ادعى على أحد بدين قبله لا يسمع مجرد دعواه، وإذا كان معه سجل محكوم عن قاضٍ من قضاة المسلمين تصح دعواه، ويحصل ماله بسبب لك المكتوب، فاللّٰه تعالى وعد المؤمنين برحمته، ولم يكتف بموعده فأخبر عن السجل فقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ ليطمئن قلوب المؤمنين باستماع المكتوب.

• ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

٣٨٩ - هذه الآية من الآي التي هي أم الكتاب، فذكر تعالى أن عنده مفاتح الغيب.

٣٩٠ - ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم

---

٣٨٨ - المعارف العقلية (ص ٨٣).

٣٨٩ - معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (١) (ص ١٢٢).

٣٩٠ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (٤) (ص ١٤).

---

(١) حشمُ الرجل: عياله وقرابته وخدمه، ن: اللسان (حشم).

الشهادة؛ إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم، يجري منه مجرى الظل بالإضافة إلى الشخص ومجرى الثمر بالإضافة إلى المثمر، والمسبَّب بالإضافة إلى السبب، ومفاتيح المسببات إنما تؤثر من الأسباب.

٣٩١ - ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ إن جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح، ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها.

٣٩٢ - اللّه تعالى أخبر في القرآن عن جميع العلوم وجلي الموجودات وخفيها وصغيرها وكبيرها ومحسوسها ومعقولها، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

• ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٣٩٣ - النوم نوع وفاة... قال اللّه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ فسماه توفيًا.

• ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴿٧٥﴾ ﴾

٣٩٤ - وما أراد به الرؤية الظاهرة، فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض من معرض الامتحان؛ ولذلك سمي ضد إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢].

• ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

٣٩٥ - إن للّه تعالى سبعين حجابًا من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك

---

٣٩١ - القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ٥٤).

٣٩٢ - الرسالة اللدنية، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ٩٧).

٣٩٣ - الإحياء (٤٠٨/١). ٣٩٤ - نفسه (١٩/٣).

٣٩٥ - نفسه (٤٢٨/٣، ٤٢٩).

الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل، وإليه الإشارة بقول إبراهيم ﷺ؛ إذ قال الله تعالى إخبارًا عنه: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ وليس المعني به هذه الأجسام المضيئة، فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة، وهي كثيرة وليست واحدًا، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله، فمثل إبراهيم ﷺ لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله ﷻ وهي على طريق السالكين، ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب، وهي حجب من نور بعضُها أكبر من بعض، وأصغر النيرات الكوكب، فاستعير له لفظه، وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر، فلم يزل إبراهيم ﷺ لما رأى ملكوت السماوات؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥] يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه من أول ما كان يلقاه أنه قد وصل، ثم كان يكشف له ما وراءه أمرًا فيرتقي إليه ويقول: قد وصلت، فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلى بعده، فقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خالٍ عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

٣٩٦ – قال ﷺ: « **إن لله سبعين حجابًا من نور لو كشفها لأحرقت سبُحَاتُ وجهه كل ما أدرك بصره** » (١) وتلك الحجب أيضًا مرتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب، ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه، وعليه أوَّل بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل ﷺ في ترقيه، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾، أي أظلم عليه الأمر ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾، أي وصل إلى الحجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب، وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم، فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل ﷺ.

---

٣٩٦ – الإحياء (١/٤٠٠).

---

(١) أورد الغزالي هذا الحديث بلفظ « ... كل من أدركه بصره » في كتابه الإحياء (١/١٢١). وقال الحافظ العراقي: أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور » وإسناده ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١/١٢١).

٣٩٧ - ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ومعنى الذي: إشارة مبهمة مناسبة لها؛ إذ لو قال قائل: ما مثال مفهوم الذي؟ لم يتصور أن يجاب عنه، فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق.

• ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... (٨٢) ﴾

٣٩٨ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ قالت الصحابة: فأينا لم يظلم، فبين أنما أراد ظلم النفاق والكفر [1].

• ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ... (٩٠) ﴾

٣٩٩ - لما ذكر الله الأنبياء قال: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ قلنا: أراد بالهدى: التوحيد، ولدلالة الأدلة العقلية على وحدانيته وصفاته بدليلين:

أحدهما: أنه قال: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ ولم يقل: بهم، وإنما هداهم: الأدلة التي ليست منسوبة إليهم، أما الشرع فمنسوب إليهم، فيكون اتباعهم فيه اقتداء بهم.

الثاني: أنه كيف أمر بجميع شرائعهم وهي مختلفة وناسخة ومنسوخة، ومتى بحث في جميع ذلك وشرائعهم كثيرة.

فدل ذلك على أنه أراد الهدى المشترك بين جميعهم، وهو التوحيد.

• ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ... (٩١) ﴾

٤٠٠ - قولهم بنفي إنزال الوحي على البشر قول باطل الازدواج المنتج بين أصلين:

أحدهما: أن موسى عليه السلام بشر.

والثاني: أن موسى أُنزل عليه الكتاب فيلزم منه بالضرورة قضية خاصة، وهو أن بعض البشر أُنزل عليه الكتاب، وتبطل به الدعوى العامة بأنه لا ينزل كتاب على بشر أصلًا.

---

٣٩٧ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ٢٧).
٣٩٨ - المستصفى (٤٤/٢). ٣٩٩ - المستصفى (٤٤/٢).
٤٠٠ - القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ٢٣، ٢٤).

---

(١) رواه البخاري بلفظ: (شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله ﷺ: « إنه ليس بذلك، ألا تسمع لقول لقمان لابنه: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ » كتاب التفسير حديث رقم (٤٧٧٦).

أما الأصل الأول: وهو قولنا: موسى بشر فمعلوم بالحس، **وأما الثاني**: وهو أن موسى منزل عليه الكتاب، فكان معلومًا بأعرافهم؛ إذ كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى: ﴿ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾.

وإنما ذكر هذا في معرض المجادلة بالأحسن، ومن خاصية المجادلة أنه يكفي فيها أن يكون الأصلان مُسَلَّمينِ من الخصم مشهورين عنده، وإن أمكن الشك فيه بغيره فإن النتيجة تلزمه إذا كان هو معترفًا به، وأكثر أدلة القرآن تجري على هذا الوجه.

• ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١ ﴾

٤٠١ – معنى قولك: لا إله إلا الله معنى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ وهو أن تذر بالكلية غير الله.

٤٠٢ – ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ليس المراد تحريك عضلات اللسان بهذه الحروف؛ ولذا قال: « **من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة** »(١) فإن حركة الأطراف قليلة الغناء إذا لم تكن مؤثرة في القلب أو لم تكن صادرة عن أثر راسخ في القلب، أوله اعتقاد يسمى إيمانًا، ثم ينتهي ترتيبه إلى مثل إيمان أبي بكر الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح، هذا مع التصريح بأنه، « **ما فضلكم بكثرة صيام وصلاة، ولكن بسر وقر في قلبه** »(٢).

• ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ... ۝٩٧ ﴾

٤٠٣ – في النجوم مآرب... بها يهتدي السائرون في ظلمة الليل وقطع القفار الموحشة واللجج المائلة، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾.

---

٤٠١ – الإحياء (٢٨/٤).   ٤٠٢ – ميزان العمل (ص ٣٥٠، ٣٥١).

٤٠٣ – الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ٢٠).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء: (٣٥٣/١٠). وقال الزبيدي: وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، زادوا في روايتهم: قيل: وما إخلاصها؟ قال: « أن تحجزه عن محارم الله » ن. الإتحاف (٢٠/٥).

(٢) في رواية أخرى أوردها الغزالي في الإحياء (١٠٠/١): « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ».

قال العراقي: أخرجه الترمذي في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٢٣/١).

• ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

٤٠٤ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنه باقٍ على العموم.

٤٠٥ - ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنه عالم بذاته.

• ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ... ﴿١٠٢﴾ ﴾

٤٠٦ - لا يدخل فيه ذاته وصفاته.

٤٠٧ - خرج بدليل العقل ذات القديم وصفاته.

• ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

٤٠٨ - ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: في الدنيا.

٤٠٩ - **اللطيف**: يدل على الفعل مع الرفق.

• ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ... ﴿١٠٨﴾ ﴾

٤١٠ - أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر.

• ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ... ﴿١١٠﴾ ﴾

٤١١ - تارة يكون القلب منازعًا بين ملكين، وتارة بين شيطانين، وتارة بين ملك وشيطان - لا يكون قط مهملًا - وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول: « **لا ومقلب القلوب** » (١) وكان كثيرًا ما يقول: « **يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك** » قالوا: أَوَ تخاف يا رسول الله؟ قال: « **وما يؤمنني والقلب بين أُصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء** » (٢) وفي لفظ آخر: « **إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه** » (٣).

---

٤٠٤ - المستصفى من علم الأصول (٢/٩٩). ٤٠٥ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ١٤٤).
٤٠٦ - المستصفى (٢/٤٢). ٤٠٧ - نفسه (٢/١٣٨).
٤٠٨ - الإحياء (٤/٣٣٠) ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٥٨).
٤٠٩ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٦).
٤١٠ - الإحياء (٤/٣٩٢). ٤١١ - نفسه (٣/٤٩).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب (ح٧٣٩١).
(٢) رواه الترمذي في سننه. ن: أبواب الدعوات (٥/١٩٩) حديث رقم (٣٥٨٨).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، وصحيح على شرط البخاري ومسلم من حديث النواس بن سمعان: « ما من =

• ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ... ﴿١١٥﴾ ﴾

٤١٢ - كلماته باقية ببقاء علمه، لا تبديل لكلماته ولا تغير لعلمه، ولا مانع لأحكامه، كما أخبر سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾.

٤١٣ - قيل في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾: صدقًا لمن مات على الإيمان، وعدلًا لمن مات على الشرك.

• ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ... ﴿١٢٢﴾ ﴾

٤١٤ - سمى العلم حياة.

• ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ... ﴿١٢٥﴾ ﴾

٤١٥ - لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ قيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: « **إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح** »، فقيل: فهل لذلك علامة؟ قال ﷺ: « **نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله** » (١).

٤١٦ - إنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه، ومراد تزكيته حصول أنوار المعارف فيه، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾.

• ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ... ﴿١٣٣﴾ ﴾

٤١٧ - **الغني**: هو المسلوب عنه كل حاجة.

---

٤١٢ - المعارف العقلية (ص ٥٥). ٤١٣ - الإحياء (١٤٨/١).

٤١٤ - ميزان العمل (ص ٣٣٣).

٤١٥ - الإحياء (٩٢/١، ٩٣) و (٢٣٤/٤)، وكتاب الأربعين (ص ١٤٤، ١٤٥)، والمنقذ من الضلال (ص ٣٣٣).

٤١٦ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٩٧).

٤١٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

= قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » ن: المستدرك (٥٢٥/١) والمغني بهامش الإحياء (٤٩/٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود (٣١١/٤).

• ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ... ﴿١٤١﴾ ﴾

٤١٨ - ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ ﴾ إباحة، وقوله بعده: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ إيجاب.

٤١٩ - ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ الحق: هو العشر.

٤٢٠ - ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ يعرف منه وجوب الإتيان ووقته، وأنه حق في المال.

٤٢١ - ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ بيَّن الوقت والمحل، وبقي المقدار مجملًا.

• ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ... ﴿١٤٥﴾ ﴾

٤٢٢ - دلَّ الكتاب على تحريم الخمر وخصص به قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ ﴾؛ وإذ ظهر منه التعليل بالإسكار، فلو لم يرد خبر في تحريم كل مسكر لكان إلحاق النبيذ بالخمر بقياس الإسكار أغلب على الظن من بقائه تحت عموم قوله: ﴿ لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ وهذا أظهر من هذه الآية.

• ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ... ﴿١٥٣﴾ ﴾

٤٢٣ - قال عبد الله بن مسعود ﷺ: « خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا وقال: « **هذا سبيل الله** » ثم خطَّ خطوطًا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: « **وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** » ثم تلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ ﴾ [١] لتلك الخطوط.

* * *

* سُورَةُ الأَعْرَافِ *

• ﴿ ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ... ﴿٣﴾ ﴾

٤٢٤ - هذا بظاهره يوجب الرجوع إلى الكتاب فقط، لكن دلَّ الكتاب على اتباع

٤١٨ - المستصفى (٢/٧١).
٤١٩ - نفسه (١/٣٤٠).
٤٢٠ - نفسه (١/٣٧٦).
٤٢١ - المنخول (ص ١٦٨).
٤٢٢ - المستصفى (٢/١٣٣).
٤٢٣ - الإحياء (٣/٣٤).
٤٢٤ - المستصفى (٢/٣٨٦).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

السنة، والسنة على اتباع الإجماع، والإجماع على القياس، وصار ذلك منزلًا، فهو المتبع دون أقوال العباد.

• ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾

٤٢٥ – وجهها: أن اللّٰه يُحْدث في صحائف الأعمال وزنًا بحسب درجات الأعمال عند اللّٰه تعالى، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب.

• ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ ﴾

٤٢٦ – فجعلها [1] ربك نعمة وطلب الشكر عليها.

• ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ... ۝١٧ ﴾

٤٢٧ – لأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه، قال اللّٰه تعالى إخبارًا عن إبليس: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ ﴾.

٤٢٨ – قيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: أي: طريق مكة، يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها.

٤٢٩ – قال ﷻ إخبارًا عن إبليس اللعين: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ قيل: هو طريق الشكر.

• ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ... ۝٢٦ ﴾

٤٣٠ – قيل في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ يعني العلم ﴿ وَرِيشًا ۖ ﴾ يعني اليقين ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ يعني الحياء.

---

٤٢٥ – الإحياء (١/١٣٦).
٤٢٦ – نفسه (٢/٧٠).
٤٢٧ – نفسه (٣/٣١).
٤٢٨ – نفسه (١/٢٨٦).
٤٢٩ – نفسه (٤/١٦).
٤٣٠ – نفسه (ص ٢٤).

---

(١) أي المعايش.

• ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ... ﴿٤٠﴾ ﴾

٤٣١ – معناه: الإبعاد، لا ما يفهم عن صيغة التعليق، فإنه يستحيل أن يطلب من المكلف ما لا يطيق.

• ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

٤٣٢ – قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « **ينادي منادٍ يا أهلَ الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدًا**، فذلك قوله ﷻ: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ »[1].

• ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ... ﴿٥٤﴾ ﴾[2]

• ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ... ﴿٥٤﴾ ﴾

٤٣٣ – الإنسان من عالم الخلق من جانب، ومن عالم الأمر من جانب، فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق... وعالم الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه.

• ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

٤٣٤ – قيل معناه: التكلف للإسجاع.

• ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

٤٣٥ – حيث أخبر تعالى بقرب رحمته من المحسنين، وقد قال ﷺ: « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه** »[3] فهو يفيد بعد رحمته من غير المحسنين.

---

٤٣١ – المنخول (١/١٥). ٤٣٢ – الإحياء (٤/٥٧٠).

٤٣٣ – كيمياء السعادة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) (ص ١٢٦).

٤٣٤ – الإحياء (١/٣٦٣).

٤٣٥ – خلاصة التصانيف في التصوف، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١٣٥).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، كتاب الجنة (٤/٢١٨٢) حديث رقم (٢٨٣٧).

(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، حديث رقم (٥٠) ومسلم، كتاب الإيمان (١/٣٦، ٣٧) حديث رقم (١).

• ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ... ﴿٥٧﴾ ﴾

٤٣٦ – ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ يعني: السحاب ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يعني: الماء.

• ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ... ﴿٧٥﴾ ﴾

٤٣٧ – معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا.

• ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

٤٣٨ – سميت اللواطة: الإسراف.

• ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

٤٣٩ – ربط عدم السماع بالطبع بالذنوب.

• ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ... ﴿١٤٦﴾ ﴾

٤٤٠ – قيل في التفسير: سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم، وفي بعض التفاسير: سأحجب قلوبهم عن الملكوت، وقال ابن جريج [1]: سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها.

٤٤١ – قال [الحسن البصري]: أمنع قلوبهم التفكر في أمري.

• ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ... ﴿١٥٧﴾ ﴾

٤٤٢ – الأغلال معنى الأوزار والأثقال.

• ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

٤٤٣ – فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء، ويدل ذلك على الوجوب أيضًا.

---

٤٣٦ – الإحياء (١/٣٤٦).
٤٣٧ – نفسه (١/٣٤٣).
٤٣٨ – ميزان العمل (ص ٣١٧).
٤٣٩ – الإحياء (٣/١٣).
٤٤٠ – نفسه (٣/٣٦٤).
٤٤١ – نفسه (٤/٤٥٠).
٤٤٢ – فضائح الباطنية (ص ١١، ١٢).
٤٤٣ – الإحياء (٢/٣٣٤).

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم، صاحب التصانيف، وأول من دوَّن العلم بمكة، حدث عن عطاء ونافع وغيرهما، وحدث عنه الأوزاعي والسفيانان وغيرهم (ت١٥٠هـ).
ن: تاريخ بغداد (١٠/٤٠٠) وفيات الأعيان (٣/١٦٣، ١٦٤) وسير أعلام النبلاء (٦/٣٢٥، ٣٢٦).

• ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا... ﴿١٦٩﴾ ﴾

٤٤٤ – أخبر عن النصارى؛ إذ قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾، ومعناه: أنهم: ﴿ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: هم علماء ﴿ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ ﴾ أي شهواتهم من الدنيا، حرامًا كان أو حلالًا.

• ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ... ﴿١٧٢﴾ ﴾

٤٤٥ – فالمراد: إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم انقسموا في إقرار الألسنة؛ حيث وجدت الألسنة والأشخاص – إلى مقرٍّ وإلى جاحد.

٤٤٦ – فالمراد بإقرار نفوسهم: المعنى الذي أشرنا إليه من كونها موجودة بالقوة، دون إقرار الألسنة، فإنها لم تحصل من كلهم عند الظهور، بل من بعضهم.

٤٤٧ – الحياة الأولية [(١)] يوم أشهدهم على أنفسهم ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾.

٤٤٨ – ﴿ بَلَىٰۛ ﴾ لاستدراك النفي، ولو قال: نعم، لكان معناه نفي الإلهية.

• ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ... ﴿١٧٦﴾ ﴾

٤٤٩ – قال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ حتى قال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾ فكذلك العالم الفاجر. فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب، أي: سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

---

٤٤٤ – الإحياء (٤٠٩/٣). ٤٤٥ – الإحياء (١٠٣/١).

٤٤٦ – ميزان العمل (ص ٣٣٥).

٤٤٧ – الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ١١٥).

٤٤٨ – المنخول من تعليقات الأصول (ص ٩٤). ٤٤٩ – الإحياء (٧٤/١).

---

(١) الإمام الغزالي يقسم الحياة إلى ثلاثة أنواع: هنالك الحياة الأولى، والحياة الثانية وهي حياة الأنفس، والحياة الثالثة هي الحياة بعد الحساب، ولا يعتد الإمام الغزالي بالحياة الدنيوية؛ لأنها مسخرة للتنعيم، ن: الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٦) (ص ١١٥).

٤٥٠ – قال في بلعم بن باعوراء: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ حتى بلغ ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ قال ابن عباس ﵄: أوتي بلعم كتابًا فأخلد إلى شهوات الأرض، أي سكن حبه إليها، فمثله بالكلب: ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ أي سواء آتيته الحكمة أو لم تؤته لا يدع شهوته.

٤٥١ – كان بحيث إذا نظر يرى العرش، وهو المعني بقوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ ولم يكن منه إلا أنه مال إلى الدنيا وأهلها ميلة واحدة. فسلبه معرفته، وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ فأوقعه في بحر الضلال والهلاك إلى الأبد، حتى سمعت بعض العلماء يقول: إنه كان أول أمره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، ثم صار بحيث كان أول من صنف كتاب أن ليس للعالم صانع، نعوذ بالله من سخطه وعذابه العظيم، وفظيع خذلانه الذي لا طاقة لنا به. فانظر إلى خبث الدنيا وشؤمها ماذا تجلب للعلماء خاصة.

٤٥٢ – ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾

تقدير الكلام: إنا أنعمنا على هذا العبد بالنعم العظام، والأيادي الجسام في باب الدين، بما مكناه في ذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة، والمنزلة الرفيعة على بابنا ويصير رفيعًا عندنا، عظيم القدر، كبير الجاه، ولكنه جهل قدر نعمتنا، فمال إلى الدنيا الخسيسة الحقيرة، وآثر شهوة نفسه الدنيئة الرديئة، ولم يعلم أن الدنيا كلها لا تزن عند الله أدنى نعمة من نعم الدين، ولا تساوي عنده جناح بعوضة، وكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الإكرام من الإهانة، والرفعة من الحقارة، وإنما الكرامة كلها عنده في كسرة يطعم، أو عراق مائدة يُرمى إليه، سواء تقعده على سرير معك أو تقيمه في التراب والقذر بين يديك، فَهِمَّتُه وكرامته ونعمته كلها في ذلك.

فهذا العبد السوء إذا جهل قدر نعمتنا، ولم يعرف حق ما آتيناه من كرامتنا وكلّت

---

٤٥٠ – الإحياء ٣/٣٨٣).

٤٥١ – منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٢٥٩).

٤٥٢ – نفسه (ص ٣٢٧، ٣٢٨).

بصيرته، وساء في مقام القربة أدبه بالالتفات إلى غيرنا، والاشتغال عن ذكر نعمتنا، بدنيا حقيرة ولذة خسيسة، فنظرنا إليه نظر السياسة، وأحضرناه ميدان العدل وأمرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكراماتنا، ونزعنا من قلبه معرفتنا، فانسلخ عاريًا عن جميع ما آتيناه من فضلنا، فصار كلبًا طريدًا، أو شيطانًا رجيمًا، نعوذ بالله، ثم نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه، إنه رؤوف رحيم.

٤٥٣ - ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ فكان الميل واتباع الهوى بقلبه، فحمله على ذلك الذنب المشؤوم بنفسه.

٤٥٤ - قال الله تعالى في بلعام بن باعوراء وهو من أكابر العلماء: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ الآية؛ لأنه أخلد إلى الشهوات.

• ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا... ﴿١٧٩﴾ ﴾

٤٥٥ - أراد به معاني الإيمان دون الفتاوى.

• ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

٤٥٦ - ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ وإنما كانوا أضل؛ لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة، فتركها الطلب للعجز، وأما الإنسان ففي قوته ذلك، والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال.

٤٥٧ - يتفاوت الناس في الأخذ من الملك تفاوتًا لا نهاية له، ومن الناس من لا يأخذ شيئًا، وهم المراد بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾.

• ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

٤٥٨ - إنهم كلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة ليزيد غرورهم.

٤٥٩ - أي نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر، كما قال الشاعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

---

٤٥٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٤٦). ٤٥٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١١٨).
٤٥٥ - الإحياء (٤٤/١). ٤٥٦ - نفسه (٢٨٠/٤).
٤٥٧ - معراج السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ١٠٥).
٤٥٨ - الإحياء (٤٠٥/٣).
٤٥٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٣٢، ٣٣٣).

• ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿١٨٧﴾ ﴾

٤٦٠ – معناه: خفيت على أهل السموات والأرض، والشيء إذا خفي ثقل، فأبدل اللفظ به وأقيم (في) مقام (على).

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ... ﴿١٩٤﴾ ﴾

٤٦١ – بين أن كل ما سوى اللّٰه تعالى عبد مسخر، حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه؟

• ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

٤٦٢ – قال النبي ﷺ: « **يا جبريل ما هذا العفو ؟** » فقال: إن اللّٰه تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك [1].

٤٦٣ – سأل رجل رسول اللّٰه ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ثم قال ﷺ: « **هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك** » [2].

٤٦٤ – ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ معناه: تعفو من ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحسن إلى من أساء إليك.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

٤٦٥ – فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء اللّٰه تعالى.

٤٦٦ – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ أي: رجعوا إلى

---

٤٦٠ – الإحياء (٣٤٤/١). ٤٦١ – نفسه (٢٦٠/٤).
٤٦٢ – نفسه (١٦٣/٣، ١٦٤). ٤٦٣ – نفسه (٥٤/٣).
٤٦٤ – روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١١٧).
٤٦٥ – الإحياء (١٤/٣). ٤٦٦ – نفسه (٣٣/٣).

---

(١) لم أقف على تخريج لهذا الحديث بهذا اللفظ.
(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان.
ن: المغني بهامش الإحياء (٥٤/٣).

نور العلم، ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ أي ينكشف لهم الإشكال، فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى، فيكثر فيه غلطه ويتعجل هلاكه وهو لا يشعر.

• ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟... ﴿٢٠٤﴾ ﴾

٤٦٧ – قيل: أراد به الخطبة، سمي قرآنًا لاشتمالها عليه، ولأنه يؤدي كلامهم إلى هتلمة [1] تمنع الأربعين من السماع.

• ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

٤٦٨ – بين المراتب والأوقات، والذكر الخفي أجمل؛ إذ ليس فيه أذى لسامعه، وهو خالص عن الرياء والنفاق؛ مثل صوم السر وصدقته، والحث عليه كثير.

٤٦٩ – ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ نهي، وظاهره التحريم.

* * *

* سُورَةُ الأنفَالِ *

• ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾

٤٧٠ – قوله ﷻ: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فهذا الكلام غير متصل، وإنما هو عائد إلى قوله السابق: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾، أي: فصارت أنفال الغنائم لك؛ إذ أنت راضٍ بخروجك وهم كارهون، فاعترض بين الكلام الآمر بالتقوى وغيره.

---

٤٦٧ – الوسيط في المذهب (٢/٧٥٤).

٤٦٨ – سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) (ص ٧٦).

٤٦٩ – الإحياء (١/١٨٩). ٤٧٠ – الإحياء (١/٣٤٤، ٣٤٥).

---

(١) في اللسان: الهتلمة هي الكلام الخفي. (هتلم).

• ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ... ﴿١٧﴾ ﴾

٤٧١ – رمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾.

٤٧٢ – وهو نفي للرمي وإثبات، ولكن ليست جهة النفي جهة الإثبات، فلم يتناقضا.

٤٧٣ – لو كذبت المتناقضات إذا اختلفت وجوه الاعتبارات لما صدق قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ولكنه صادق لأن الرامي باعتبارين: هو منسوب إلى العبد بأحدهما، ومنسوب إلى الرب بالثاني فلا تناقض فيه.

٤٧٤ – هو جمع بين النفي والإثبات ظاهرًا، ولكن معناه: وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب راميًا؛ إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميًا؛ إذ هما معنيان مختلفان.

٤٧٥ – يدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال: وهو أن الله ﷻ قال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض، فإنه إثبات للرمي ونفي له، وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه [1] ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله ﷻ.

• ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

٤٧٦ – الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا... ﴿٢٩﴾ ﴾

٤٧٧ – قيل: نورًا يفرق به بين الحق والباطل، ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان ﷺ يكثر من سؤال النور، فقال عليه الصلاة والسلام: « **اللهم اعطني نورًا وزدني نورًا واجعل لي في قلبي نورًا وفي قبري نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا** » حتى قال: « **وفي شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي** » [2].

---

٤٧١ – الإحياء (٤١٦/٢). ٤٧٢ – معيار العلم في المنطق (ص ٩٩).
٤٧٣ – المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ٥٥).
٤٧٤ – الإحياء (٢٧٣/٤). ٤٧٥ – نفسه (٣٤٦/١).
٤٧٦ – المعارف العقلية (ص ٩٧). ٤٧٧ – الإحياء (٢٦/٣).

---

(١) في الأصل المطبوع: وجهه، والصواب ما أثبته.

(٢) متفق عليه، ن: صحيح البخاري، باب الدعاء إذا انتبه من الليل، حديث (٦٣١٦) وصحيح مسلم باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٢٥/١، ٥٢٦) حديث رقم (١٨١).

• ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

٤٧٨ – قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فكان بعض الصحابة يقول: « كان لنا أمانان: ذهب أحدهما: وهو كون الرسول فينا. وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا » (١).

• ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ... ﴿٤١﴾ ﴾

٤٧٩ – وإنما أراد بذي القربى: بني هاشم وبني المطلب دون بني أمية، وكل من عدا بني هاشم.

٤٨٠ – فمقتضى الآية صرف بعضٍ إلى ذوي القربى من غير اعتبار حاجة، وقال أبو حنيفة ﷺ: لا بد من اعتبار الحاجة منهم. وهذا منه بزعمه زيادة على النص، وهو نسخ.

وهو باطل بمسلك مقطوع به؛ وهو أن الرب تعالى أضاف المال إلى الجهات بلام التمليك وعرف كل فريق، وجعل القرابة مستند تعريف إحدى الفرق، ولم يتعرض للحاجة، وأبو حنيفة ﷺ تعرض للحاجة التي تعرض لها، وألغى اعتبار القرابة وهو مصرح بها؛ إذ قال: لا يتعين صرف شيء إليهم، بل يجوز حرمانهم.

وفي هذا المذهب إبطال النص بالكلية.

قال القاضي في نصرة تأويلهم: فائدة ذكر ذوي القربى تمييز الغنيمة في حقهم عن الصدقات؛ إذ كانت محرمة عليهم، وكان هذا منحة في مقابلة ذلك المنع، وفقراؤهم ممنوعون عن الصدقات، فكانت المنحة لهم. ثم قال: وهذا الوجه أيضًا فاسد. فإنه أضاف المال إليهم بلام التمليك، فاقتضى اللفظ كما ذكرناه قسمة المال عليهم، وأبو حنيفة ﷺ جوّز حرمانهم فلم يغادر للقسمة فائدة.

---

٤٧٨ – الإحياء (٤/٤٩). ٤٧٩ – المستصفى (١/٣٧١).

٤٨٠ – المنخول من تعليقات الأصول (ص ١٩٥، ١٩٦).

---

(١) عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « أنزل الله عليَّ أمانيين لأمتي: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث، ن: أبواب تفسير القرآن (٤/٣٣٤) حديث رقم (٥٠٧٧).

نعم لو كان يرى المنع من حرمانهم لكان يقرب ذلك، وأما اليتيم فلا تعتبر معه الحاجة على قول، فإن سلم فلفظ اليتيم مشعر بها دون لفظ القرابة.

٤٨١ - قال أبو حنيفة: تعتبر الحاجة مع القرابة، ثم جوّز حرمان ذوي القربى. فقال أصحاب الشافعي رحمه الله: هذا تخصيص باطل لا يحتمله اللفظ لأنه أضاف المال إليهم بلام التمليك وعرف كل جهة بصفة وعرف هذه الجهة في الاستحقاق بالقرابة، وأبو حنيفة ألغى القرابة المذكورة، واعتبر الحاجة المشروكة، وهو مناقضة للفظ لا تأويل، وهذا عندنا في مجال الاجتهاد وليس فيه إلا تخصيص عموم لفظ ذوي القربى بالمحتاجين منهم كما فعله الشافعي على أحد القولين في اعتبار الحاجة مع اليُتْم في سياق هذه الآية، فإن قيل: لفظ اليتيم ينبئ عن الحاجة، قيل: فلم لا يحمل عليه قوله: لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر؟ فإن قيل: قرينة إعطاء المال هي التي تنبه على اعتبار الحاجة مع اليُتم، فله هو أن يقول: واقتران ذوي القربى باليتامى والمساكين قرينة أيضًا، وإنما دعا إلى ذكر القرابة كونهم محرومين عن الزكاة حتى يعلموا أنهم ليسوا محرومين من هذا المال، وهذا تخصيص لو دلَّ عليه دليل فلا بد من قوله فليس ينبو عنه اللفظ نبوة حديث النكاح بلا ولي عن الكتابة.

• ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

٤٨٢ - ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أراد به التخاذل عن نصرة الدين.

٤٨٣ - وعد الصابرين بأنه معهم فقال: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.

• ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

٤٨٤ - أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى ذمامه[١] وحِمَاه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.

• ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٤٨٥ - لا يناقض امتثال التوكل.

---

٤٨١ - المستصفى (١/٤٠٧ - ٤٠٩).
٤٨٢ - نفسه (٢/٢٦٢).
٤٨٣ - الإحياء (٤/٦٤).
٤٨٤ - نفسه (٤/٢٦٠).
٤٨٥ - نفسه (٣/٣٣٣).

---

(١) الذمام: الذمامة: الحرمة، ن: اللسان: (ذم).

• ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾

٤٨٦ – قال ﷺ في قصة أسارى بدر؛ حيث نزلت الآية على وفق رأي عمر: « **لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر** » (١).

* * *

* سُورَةُ التَّوْبَةِ *

• ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ... ﴿٥﴾ ﴾

٤٨٧ – يخرج من قوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أهل الذمة مرة، والعسيف (٢) مرة، والمرأة مرة أخرى، وكذلك على التدريج والإحالة في شيء من ذلك.

• ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ... ﴿١٤﴾ ﴾

٤٨٨ – يدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال؛ قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ فإن كانوا هم المقاتلين كيف يكون اللّٰه سبحانه هو المعذب؟ وإن كان اللّٰه تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟

وحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة، ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة اللّٰه ﷻ حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة، صدق قوله ﷻ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴾ [الأنفال: ١٧] ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه، وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك، وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد الترقي إلى درجة أعلى منه. فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادًا والأشجار أقلامًا، فأسرار كلمات اللّٰه لا نهاية لها، فتنفد الأبحر قبل أن تنفد

---

٤٨٦ – المستصفى (١/٢٦٩). ٤٨٧ – المستصفى (١/٣٨٢).
٤٨٨ – الإحياء (١/٣٤٦).

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه، أبواب التفسير (٤/٣٣٥)، حديث رقم (٥٠٨٠).
(٢) العسيف: الأجير المستهان به، ن: اللسان (عسف).

كلمات الله ﷻ.

فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لا يغني عنه.

٤٨٩ - ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه، والتعذيب هو عين القتل، بل صرح وقال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ١٧].

• ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ... ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية.

٤٩٠ - أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار.

• ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

٤٩١ - لما اتكل أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين على قوتهم وكثرتهم، ونسوا فضل الله تعالى، وقالوا: لا نغلب اليوم من قلة [1] وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾.

• ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... ﴿٢٨﴾ ﴾

٤٩٢ - تنبيهًا للعقول على [أن] [2] الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، أي باطنه ملطخ بالخبائث.

---

٤٨٩ - الإحياء (٤/٢٧٣).
٤٩٠ - نفسه (٤/٣١٢).
٤٩١ - نفسه (٣/٣٩٤).
٤٩٢ - نفسه (١/٦٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلًا: أن رجلًا قال يوم حنين: « لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ فقالوا: اليوم نقاتل ففروا » وفيه الفرج بن فضالة ضعفه الجمهور، ن: المغني بهامش الإحياء (٣/٣٩٤).

(٢) ساقط في الأصل المطبوع، والكلام بغيره لا يستقيم.

والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب، فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل.

٤٩٣ - نبّه على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظاهر؛ ولذلك قال ﷺ: « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب** » [1] والقلب منزل الملائكة ومحل نظرهم ومصب أثرهم، والصفات الردية كلاب مانعة.

• ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

٤٩٤ - ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥] يخصص قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ﴾ بأهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ﴾ مخصص لقوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ بأهل الحرب من غير افتقار إلى دليل آخر.

• ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

٤٩٥ - شدد الوعيد على المقصرين في الزكاة فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة.

قال الأحنف بن قيس [2]: كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال: بشر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ في أقفائهم يخرج من جباههم. وفي رواية: إنه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض [3] كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل، وقال أبو ذر: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو

---

٤٩٣ - ميزان العمل (٣٤٢).
٤٩٤ - المنخول من تعليقات الأصول (٤٣٦).
٤٩٥ - الإحياء (٢٤٥/١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، ن: كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء (٨٢/٤). وصحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، الحديث رقم (٢١٠٦).

(٢) الأحنف بن قيس: تابعي، وهو ابن معاوية بن حطين الأمير الكبير العالم النبيل، حدث عن عمر وعلي وأبي ذر وغيرهم، وعنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وآخرون، وهو قليل الرواية (ت٦٧هـ)، ن: شذرات الذهب (٧٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٨٦/٤).

(٣) هو فرع الكتف، قيل له: ناغض لتحركه، وأصل النغض الحركة، ن: اللسان (نغض).

جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: « **هم الأخسرون ورب الكعبة** »، فقلت: ومن هم؟ قال: « **الأكثرون أموالًا، إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس** » (١).

٤٩٦ – في حديث عمر ﷺ أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قال ﷺ: « **تبًا للدنيا تبًا للدينار والدرهم** » فقلنا: يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة، فأي شيء ندخر؟ فقال ﷺ: « **ليتخذ أحدكم لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته** » (٢).

● ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

٤٩٧ – قال قوم: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ نص في التشريك؛ فالصرف إلى واحد إبطال له، وليس كذلك عندنا، بل هو عطف على قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ ... ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ يعني: أن طمعهم في الزكاة مع خلوهم عن شرط الاستحقاق باطل، ثم عدد شروط الاستحقاق ليبين مصرف الزكاة ومن يجوز صرف الزكاة إليه.

٤٩٨ – تخيل أبو حنيفة ﷺ سد الحاجة من قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ ومصيره إلى جواز صرفه إلى صنف واحد، وهذا التأويل باطل بمسلكين:

---

٤٩٦ – الإحياء (٤/٢٣٧). ٤٩٧ – المستصفى (١/٣٩٩).
٤٩٨ – المنخول (١٩٤).

---

(١) حديث أبي ذر: « انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: هم الأخسرون ورب الكعبة... الحديث » أخرجه البخاري ومسلم، ن: صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ حديث رقم (٦٦٣٦)، وصحيح مسلم كتاب الزكاة (٢/٢٨٦) حديث رقم (٩٩٠).
(٢) أخرجه ابن ماجه دون قوله: « تبًا للدينار والدرهم » كتاب النكاح (١/٥٩٦) حديث رقم (١٨٥٦). وقال الحافظ العراقي والزيادة رواها الطبراني في الأوسط، وهو من حديث ثوبان، وإنما قال المصنف: إنه حديث عمر؛ لأن عمر هو الذي سأل النبي ﷺ: أي المال يتخذ؟ كما في رواية ابن ماجه، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٢٣٧).

أحدهما: وهو أنه تعالى ذكر الأصناف وجنسهم، ووصفهم بصفاتهم التي يتميزون بها عما عداهم، ثم أضاف المال إليهم بلام التمليك، فاقتضى ذلك توزيع المال عليهم؛ إذ تعريف الأصناف بصفاتهم كتعريف الأشخاص بألقابهم، ولو أضاف إلى أشخاص معنيين وجب صرفها إلى جميعهم.

هذا مع أن الصدقات مال يتكرر وجوبها على الأغنياء، جعل مناطًا لحاجات الفقراء دون الكفارات التي لا تجب إلا عند ارتكاب جرائم، وليس لفظ الصدقات متناولًا لأنواع حتى يتخيل توزيع الأنواع على الأجناس مع اختصاص كل نوع بكل جنس، كقولك: « الدار والفرس لزيد وعمرو » فلا حاجة إلى تخيل التوزيع.

فإن قيل: سد الخلة متخيل، وذكر الأصناف فائدته ضبط جهات الحاجة المدعى سدها.

قلنا: يبطل بقول الموصي: أوصيت ثلث مالي للفقراء والمساكين، وعد الأصناف الثمانية، يصرف إليهم، وتخيل غرض سد الحاجة ممكن، ولكن قيل: أضاف إليهم بلام التمليك، فينقض عليهم.

قالوا: قول الشارع ﷺ يقبل التخصيص بالقياس دون قول الموصي وأقوالنا، وعلى هذا لو خصص المعلل علته بعد الانتقاض لم يقبل منه. قلنا: المفهوم من كلام النبي ﷺ متبع كالمفهوم من كلامنا، ولا يخصص العام منها إلا بقرينة.

إلا أن لفظ الشارع ﷺ إذا عارضه قانون في القياس كان طرده على الظن أقرب من فهم العموم، فيكون قرينة في فهم التخصيص.

ولا قياس يقتضي الحرمان في مسألتنا.

وأقوالنا يتطرق إليها التخصيص، بدليل تخصيص لفظ الدراهم من المقر والموصي لثلثه.

فأما المعلل فإنما يتصدى ليبدي العلة، فإذا ورد عليه نقض فذلك لعدم ذكره كل العلة، وشطر العلة لا يكون علة. فقرينة حاله قضى عليه بذلك.

المسلك الثاني: وهو الجواب عن سؤالهم، وهو أن نقول: مراعاة سد الخلات مع مراعاة جملة الجهات ممكنة، ولا يبعد أن تكون مراعاة الجهات مقصودة، فقد تعارضت الاحتمالات، فمطابقة الظاهر أولى من تركه.

٤٩٩ - إن استيعاب الأصناف واجب، وعليه يدل ظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ الآية. فإنه يشبه قول المريض: إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين، وذلك يقتضي التشريك في التمليك. والعبادات يجب أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر، وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد: وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة، ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف: الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون - أعني أبناء السبيل - وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض: وهم الغزاة والمكاتبون.

فإن وجد خمسة أصناف مثلًا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكلٍّ نصف قسم، ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة، وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف - فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد، وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان، فلا ينبغي أن ينقص من كل صنف عن ثلاثة إن وجد، ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرًا، ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد، فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه، فإن ذلك لا بد منه.

٥٠٠ - بيان الأصناف الثمانية:

الصنف الأول: الفقير: وهو الذي لا يملك شيئًا أصلًا ولا يقدر (ح) على كسب يليق بمروءته، أو كان يقدر على كسب ولكنه يمنعه الاشتغال به عن التفقه وهو متفقه، وإن كان يمنعه عن استغراق الوقت بالعبادات فلا يعطى سهم الفقراء، ولا يشترط الزمانة [١] ولا التعفف عن السؤال في استحقاق هذا السهم على الجديد (و).

والمكفي بنفقة أبيه هل يعطى؟ فيه وجهان، ولا يجوز للأب إعطاؤه قطعًا؛ لأنه يدفع النفقة عن نفسه، والمكفية بنفقة زوجها لا تعطى على أظهر الوجهين؛ لأن نفقتها كالعوض.

الثاني: المسكين، وهو كل من لا يملك قدر كفايته، وإن ملك شيئًا وقدر على الكسب، والفقير أشد حالًا منه (ح و م).

---

٤٩٩ - الإحياء (١/٢٥٢).　　٥٠٠ - الوجيز في الفقه (١/٣٩٢ - ٣٩٤).

---

(١) الزمانة: العاهة، ن: اللسان (زمن).

الثالث: العامل على الزكاة كالساعي والكاتب والقسام والحاشر[(١)] والعريف[(٢)]، أما القاضي فرزقه من خمس الخمس؛ لأن عمله عام، وأجرة الكيال على المالك في أحد الوجهين.

الرابع: المؤلفة قلوبهم، ولا يجوز أن يعطى هذا السهم لكافر تألف على الإسلام؛ إذ لا صدقة لكافر، أما المسلم إذا كان ضعيف النية في الإسلام، فهل يتألف تقريرًا له عليه بإعطاء مال؟ فيه قولان، وكذا من له نظراء في الكفر ينتظر في إعطائه إسلامهم.

أحد القولين: أنهم لا يعطون لاستغناء الإسلام عن التألف.

الثاني: نعم، تأسيًا برسول الله ﷺ، وعلى هذا فقولان:

أحدهما: أنه يعطى من المصالح، **والثاني:** من الزكاة؛ إذ هو المراد بالمؤلفة، وأما من يتألف على الجهاد مع الكفار أو مع مانعي الزكاة، إن كان تألفهم بمال أهون على الإمام من بعث جيش لقربهم من المقصودين بالقتال فهؤلاء يعطون قطعًا، وفي محله أربعة أوجه، وقيل قولان:

أحدهما: أنه من المصالح، **والثاني:** من سهم المؤلفة، **والثالث:** من سهم سبيل الله فإنه تألف على الجهاد، **والرابع:** (و) إن رأى الإمام أن يجمع بين سهم المؤلفة وسهم سبيل الله فعل.

الخامس: الرقاب، فيصرف ثمن الصدقات على المكاتبين (م) العاجزين عن النجوم[(٣)]، وطريقة الصرف إلى السيد بإذن المكاتب، والصرف إلى المكاتب بغير إذن السيد جائز أيضًا، ويجوز إعطاؤه قبل حلول النجم على أظهر الوجهين، فإن أعطيناه فاستغنى عنه بتبرع السيد بإعتاقه أو بتبرع غيره استرد على الصحيح (و)، إلا إذا تلف قبل العتق فلا يغرم (و)، وإن صرف إلى سيده فرده إلى الرق لعجزه ببقية النجوم يسترد (و).

السادس: الغارم، والديون ثلاثة: دين لزمه بسبب نفسه فيقضى من الصدقات بشرط أن يكون معسرًا (و)، وسبب الاستقراض مباحًا، فإن كان معصية وهو مصر لا يعطى، وإن كان تائبًا أعطي على أحد الوجهين. **الثاني:** ما لزم بسبب حمالة[(٤)] تبرع بها تطفئة، لثائرة فتنة فيقضى دينه، وإن كان موسرًا (ح) إلا إذا كان غنيًا بالنقد ففيه وجهان. **الثالث:** دين

---

(١) الحاشر: الجامع، حشر الإبل: جمعها، ن: اللسان (حشر).

(٢) العريف: القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، وهو النقيب دون الرئيس، والجمع عرفاء، ن: اللسان (عرف).

(٣) النجوم: وظائف الأشياء، وكل نجم نجم، والنجم: الوقت المضروب، ن: اللسان (نجم).

(٤) الحمالة: ما يتحمل الإنسان عن غيره من دية أو غرامة مثل أن تقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء، =

الضامن فإن كانا معسرين - أعني الأصيل والكفيل - قضي، وإن كانا موسرين أو كان المضمون عنه موسرًا فوجهان: **أحدهما**: نعم كالحمالة، **والثاني**: لا إذ صرفه إلى الأصيل ممكن وبه يحصل براءة الضامن.

السابع: سهم سبيل اللّه، والمراد به المتطوعة من الغزاة الذين لا يأخذون من الفيء، فأما من يأخذ من الفيء واسمه في الديوان فلا يصرف إليه الصدقة، والغازي يعطى وإن كان غنيًّا.

الثامن: ابن السبيل، وهو الذي شخص (ح م) من بلد ليسافر أو اجتاز به، يصرف إليه سهم إن كان معسرًا بشرط ألا يكون السفر معصية، فهؤلاء هم المستحقون بشرط أن لا يكون الموصوف بصفة من هذه الصفات كافرًا، ولا من المرتزقة ثابت الاسم في الديوان، ولا هاشميًّا، فالصدقة محرمة على هؤلاء، وفي الهاشمي وجهان.

• ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴿٧١﴾ ﴾

٥٠١ - نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية.

• ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ... ﴿٧٢﴾ ﴾

٥٠٢ - رفع اللّه الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة؛ حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة، فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة، بل هو غاية مطلب سكان الجنان.

٥٠٣ - يقول اللّه تعالى: إني عنكم راض، فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي: من النعيم الذي هم فيه.

• ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ

٥٠١ - الإحياء (٢/٣٣٤).
٥٠٢ - نفسه (٤/٣٦٣).
٥٠٣ - الإحياء (٤/٣٦٤).

= فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين، ن: اللسان (حمل).

يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾

٥٠٤ - روي عن أبي أمامة الباهلي [١]: أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول اللّه ادع اللّه أن يرزقني مالًا، قال: « **يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه** » قال: يا رسول اللّه ادع اللّه أن يرزقني مالًا، قال: « **يا ثعلبة أما لك فيَّ أسوة؟ أما ترضى أن تكون مثل نبي اللّه تعالى؟ أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت** » قال: والذي بعثك بالحق نبيًا لئن دعوت اللّه أن يرزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه، ولأفعلن ولأفعلن، قال رسول اللّه ﷺ: « **اللهم ارزق ثعلبة مالًا** » فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديًا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواها، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة. وسأل رسول اللّه ﷺ فقال: « **ما فعل ثعلبة بن حاطب؟** » فقيل: يا رسول اللّه اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة، وأخبر بأمره كله، فقال: « **يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة** » قال: وأنزل اللّه تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأنزل اللّه تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول اللّه ﷺ رجلًا من جُهينة ورجلًا من بني سليم على الصدقة، وكتب لهما كتابًا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا من المسلمين، وقال: « **مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان** - رجلًا من بني سليم - **وخذا صدقاتهما** » فخرجا حتى أتيا بثعلبة، فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول اللّه ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا جزية، إلا أخت الجزية! انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا، فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلهما للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك، قال: بلى خذوها، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية!

---

٥٠٤ - الإحياء (٢٨٦/٣، ٢٨٧).

---

(١) هو أبو أمامة صدي بن عجلان بن والبة الباهلي الصحابي الجليل، روى عنه خالد بن سعدان وأبو إدريس الخولاني، وكان من عباد الصحابة وزهادهم (ت ٢١هـ)، ن: تهذيب الأسماء (١٧٦/٢) وسير أعلام النبلاء (٣٥٩/٣).

انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: « **يا ويح ثعلبة** » قبل أن يكلماه ودعا للسليمي، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأنزل اللَّه تعالى في ثعلبة: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ وعند رسول اللَّه ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ما أنزل اللَّه فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة! قد أنزل اللَّه فيك كذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: « **إن اللَّه منعني أن أقبل منك صدقك** » فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **هذا عملك أمرتك، فلم تطعني** » فلما أبى أن يقبل منه شيئًا رجع إلى منزله، فلما قُبض رسول اللَّه ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق ﷺ فأبى أن يقبلها منه، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب ﷺ فأبى أن يقبلها منه، وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان »(١).

٥٠٥ - قال مجاهد: رجلان خرجا على الملأ من الناس قعود فقالا، إن رزقنا اللَّه تعالى مالًا لنتصدقن فبخلا به، فنزلت: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾.

فجعل العزم عهدًا، وجعل الخلف فيه كذبًا، والوفاء به صدقًا.

- ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ... ﴿٨٠﴾ ﴾

٥٠٦ - قوله ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ « **أنا أزيد على السبعين** »(٢).

---

٥٠٥ - الإحياء (٤/٤١٢).

٥٠٦ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢١١، ٢١٢).

---

(١) حديث أبي أمامة بطوله أخرجه الطبراني بسند ضعيف. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ورواه ابن أبي حاتم، ن: تفسير ابن كثير (٢/٤٥٥)، ون: المغني بهامش الإحياء (٣/٢٨٧).

(٢) الحديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم، ولفظ البخاري: عن ابن عمر ﷺ: « لما توفي عبد اللَّه ابن أبيّ » جاء ابنه عبد اللَّه بن عبد اللَّه إلى رسول اللَّه ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، ثم سأله أن يصلي =

ما نقل في آية الاستغفار كذب قطعًا [١]؛ إذ الغرض منه التناهي في تحقيق اليأس من المغفرة، فكيف يظن برسول الله ﷺ ذهوله عنه؟

٥٠٧ - ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ فقال عليه السلام: « **لأزيدن على السبعين** » فهذا يدل على أن حكم ما عدا السبعين بخلافه، والجواب من أوجه:

الأول: أن هذا خبر واحد لا تقوم به الحجة في إثبات اللغة، والأظهر أنه غير صحيح [٢]؛ لأنه عليه السلام أعرف الخلق بمعاني الكلام، وذكر السبعين جرى مبالغة في اليأس وقطع الطمع عن الغفران؛ كقول القائل: اشفع أو لا تشفع وإن شفعت لهم سبعين مرة لم أقبل منك شفاعتك.

الثاني: أنه قال: « **لأزيدن على السبعين** » ولم يقل ليغفر لهم، فما كان ذلك لانتظار الغفران بل لعله كان لاستمالة قلوب الأحياء منهم لما رأى من المصلحة فيهم ولترغيبهم في الدين، لا لانتظار غفران الله تعالى للموتى مع المبالغة في اليأس وقطع الطمع.

الجواب الثالث: أن تخصيص نفي المغفرة بالسبعين أدل على أن جواز المغفرة بعد السبعين، أو على وقوعه، فإن قلتم على وقوعه فهو خلاف الإجماع، وإن قلتم على جوازه فقد كان الجواز ثابتًا بالعقل قبل الآية، فانتفى الجواز المقدر بالسبعين، والزيادة ثبت جوازها بدليل العقل لا بالمفهوم.

• ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها... ﴿١٠٣﴾ ﴾

٥٠٨ - لا يدل على وجوب الأداء بمجرده على الأمة، وربما ظن ظان أنه

---

٥٠٧ - المستصفى (٢/١٩٥، ١٩٦). ٥٠٨ - نفسه (٢/١٣).

= عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: « إنما خيرني الله فقال: ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وسأزيده على السبعين » قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ [التوبة: ٨٤]. كتاب التفسير باب ﴿ إن تستغفر لهم... ﴾ حديث (٤٦٧٠)، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم (٢٧٧٤).

(١) ن: النص التفسيري الذي بعده.

(٢) قال محقق المنخول: محمد حسن هيتو: « قال ابن السبكي في رفع الحاجب (٢/ق ١٠٤ ب) : والحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم فلا يغرنك قول الغزالي: « الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح » فإنه تلقاه من إمام الحرمين، والإمام تلقاه من القاضي، ولو علموا أنه في الصحيحين لما قالوا ذلك، على أن عبارة القاضي في التقريب: هذا الخبر من أخبار الآحاد التي لا نعلم ثبوتها، فلا حجة فيه، يعني في المسائل الأصولية على عادته في تطلب القواطع، ن: هامش المنخول (ص ٢١٢).

يدل على الوجوب وليس الأمر كذلك، لكن دلَّ الشرع على أن أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - واجب الطاعة وأنهم لو كانوا مأذونين في المنع لكان ذلك تحقيرًا للنبي ﷺ وتنفيرًا للأمة عنه، وذلك يغض من قدره ويشوش مقصود الشرع.

٥٠٩ - لغة العرب منقسمة إلى حقيقة ومجاز، فالزكاة من حيث الصورة تنقيص، ومن حيث المعنى نمو وزيادة، قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ والتطهير والتزكية وصفان من طرف التخلية والتحلية من قسمي الصفات المذمومة والمحمودة لحقيقة القلب، قال ﷺ: « **ما نقص مال من صدقة** » (١) ويضاعف له من الوفر في العاجل، ومن الأجر في الآجل، زكاة وزيادة فيعمه معها النقص الخالص، ويشهد نموها في ماله قوله ﷺ: « **ما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت** » (٢) فسمي باقيًا لا فانيًا، فثبت بهذا أن هذا الاسم بمعنى النمو حقيقة فيها في عالم الحقائق، وقد جاءت الشريعة بالحقيقة والمجاز، وكلاهما في لغة العرب.

• ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

٥١٠ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: « **ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم؟** » قالوا: كنا نجمع بين الماء والحجر (٣).

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ... ﴿١١١﴾ ﴾

٥١١ - وذلك الجهاد، وهو مسامحة بالمهجة شوقًا إلى لقاء الله ﷻ والمسامحة بالمال أهون.

٥١٢ - إن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ

---

٥٠٩ - الإحياء (١٥٧/١) والوسيط في المذهب (٤٠٣/١).
٥١٠ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٥٤، ٥٥).
٥١١ - الإحياء (٢٥٣/١).
٥١٢ - الإحياء (٢٣١/٤).

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » كتاب البر والصلة والآداب (٢٠٠١/٤) حديث رقم (٦٩).

(٢) رواه النسائي في سننه كتاب الوصايا (٢٣٨/٦).

(٣) قال الحافظ العراقي: أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر (الحجر) وقول النووي تبعًا لابن الصلاح: « إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف » مردود بما تقدم، ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٧/١).

ﵟٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚﵞ ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ ﴾ [التوبة: ١١١]

• ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ... ١٢٢ ﴾

٥١٣ - الطائفة نفر يسير كالثلاثة، ولا يحصل العلم بقولهم [(١)]. وهذا فيه نظر؛ لأنه إن كان قاطعًا فهو في وجوب الإنذار لا في وجوب العمل على المنذر عند اتحاد المنذر، كما يجب على الشاهد الواحد إقامة الشهادة لا ليعمل بها وحدها لكن إذا انضم غيرها إليها.

٥١٤ - ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ هذا لا يدل على الوجوب في حق كل واحد على التعيين.

٥١٥ - ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ﴾ والمراد هو التعليم والإرشاد.

• ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا... ١٢٤ ﴾

٥١٦ - قال ﷺ فيما يروى في بعض الأخبار: « **الإيمان يزيد وينقص** » [(٢)] وذلك بتأثير الطاعات في القلب، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال، حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك، بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملًا مقبلًا أو ساجدًا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند

---

٥١٣ - المستصفى (١٥٢/١).
٥١٤ - نفسه (١٥/٢).
٥١٥ - الإحياء (٢٠/١).
٥١٦ - نفسه (١٤٣/١).

---

(١) أورد الإمام الغزالي هذا النص ردًا على من ينفي خبر الواحد. ن: المستصفى (١٤٨/١).

(٢) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ عن أبي هريرة وابن عباس من قولهما (المقدمة حديث (٧٤)) (٢٨/١). ورواه ابن ماجه أيضًا من طريق آخر عن أبي الدرداء بلفظ: « الإيمان يزداد وينقص » حديث (٧٥). وقال الحافظ العراقي تعليقًا على الرواية التي أوردها الغزالي: أخرجه ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة، وقال ابن عدي: باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يتعمد الكذب، وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء، ن: المغني بهامش الإحياء (١٤٣/١).

إقدامه على الخدمة.

وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها.

• ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

٥١٧ - قيل: يفتنون بأمراض يُختبرون بها.

* * *

* سُورَةُ يُونُسَ *

• ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

٥١٨ - أوجد الله سبحانه النفس لامتحان الآدمي، ولو أوجدها مبرأة من المادة لم يكن منها عصيان، فجعلها في مادة، كما قال تعالى: ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

• ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ... ﴿١٨﴾ ﴾

٥١٩ - إذ معناه: ما لا يعلم له أصلًا، أي يعلم أنه لا أصل له.

• ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ... ﴿٢٦﴾ ﴾

٥٢٠ - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة - وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة [1]، وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة.

قال جرير بن عبد الله البجلي [2]: « كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: « **إنكم ترون ربكم كم ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن**

---

٥١٧ - الإحياء (٣٠٧/٤).

٥١٨ - معراج السالكين ضمن رسائل الإمام الغزالي (١) (ص ١٠٥).

٥١٩ - المستصفى (١٣٨/٢). ٥٢٠ - الإحياء (٣٧٧/٤، ٣٧٨).

---

(١) الإحياء (٣١١/٤).

(٢) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي البجلي، الصحابي الشهير، ن: الإصابة في تمييز الصحابة (٢٤٢/١) وسير أعلام النبلاء (٥٣٠/٢).

لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠] [١] وهو مخرج في الصحيحين.

• ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

٥٢١ - قال صاحب الشرع ﷺ: « أربعة قد فرغ منهن: الخلق والخُلق والرزق والأجل » [٢].

• ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ... ﴿٦١﴾ ﴾

٥٢٢ - إنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات.

• ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ... ﴿٦٨﴾ ﴾

٥٢٣ - أي: حجة وبرهان.

• ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿١٠١﴾ ﴾

٥٢٤ - إن اللّه تعالى خلق العقول وكمل هذا بالوحي، وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته والتفكر والاعتبار مما أودعه من العجائب في مصنوعاته لقوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

* * *

٥٢١ - منهاج العابدين (ص ٢٠٦).   ٥٢٢ - الإحياء (١/١٢٩).

٥٢٣ - نفسه (١/١١٥).

٥٢٤ - الحكمة في مخلوقات اللّه ﷻ، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (١) (ص ٤).

(١) رواه البخاري ومسلم، ن: صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ حديث رقم (٧٤٣٤)، ون: صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث (٦٣٣).

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير (٢/١٧٢) حديث رقم (٥٨٤٨) بلفظ: « فرغ إلى ابن آدم من أربع: الخلق والخُلق والرزق والأجل » ونسبه السيوطي للطبراني في معجمه الأوسط عن ابن مسعود، ورمز لصحته.

قال محقق منهاج العابدين: « ونقل العلامة المناوي في فيض القدير (٤/٤٨٩) عن الهيثمي قوله: فيه عيسى ابن المسيب البجلي، وهو ضعيف عند الجمهور، ووثقه الدارقطني في سننه وضعفه في غيرها ». ن: هامش منهاج العابدين (ص ٢٠٦).

* سُورَةُ هُــودٍ *

٥٢٥ - قوله ﷺ: « **شيبتني هود وأخواتها** » خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف، وذلك وجد.

• [﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾].

٥٢٦ - هذا متناول بعمومه لحب الجاه، فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها.

• [﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾].

٥٢٧ - **الإخبات**: هو الإذعان والانقياد للحق بسهولة.

• ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

٥٢٨ - قال في قصة نوح: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بين بعد أن توهم أنه من أهله.

٥٢٩ - إن نوحًا شيخ المرسلين الذي احتمل في أمر دينه ما احتمل، لم يقل إلا كلمة واحدة على غير وجهها؛ إذ نودي: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ حتى روي في بعض الأخبار أنه لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى أربعين سنة.

• [﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾]

٥٣٠ - **القوي**: القوة: هي تمام القدرة.

• [﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾]

٥٣١ - **حقيقة الإنابة**: تكرار الرجوع إلى الله تعالى وإن لم يتقدمه ذنب.

---

٥٢٥ - الإحياء (٢/٢٢٣). ٥٢٦ - نفسه (٣/٢٩٤).

٥٢٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ١٠٣).

٥٢٨ - المستصفى (١/٣٧٢). ٥٢٩ - منهاج العابدين (ص ١٥٩).

٥٣٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٦٥).

٥٣١ - نفسه (ص ١٠٣).

• ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾

٥٣٢ – كان يقول ﷺ: « **شيبتني هود وأخواتها** » قيل: عنى هذه الآية وأشكالها في القرآن.

٥٣٣ – رأى بعض المشايخ رسول الله في المنام فقال: ما الذي أردت بقولك: « **شيبتني هود وأخواتها؟** » فقال: قوله: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ يعني: الاستمرار على الصراط المستقيم.

• ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

٥٣٤ – إن [المشي] [1] إلى السلاطين الظَّلَمة من غير ضرورة وإرهاق معصيةٌ كبيرةٌ، فإنه تواضع لهم وإكرام لهم على ظلمهم، وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

• ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ... ﴿١١٦﴾ ﴾

٥٣٥ – بين أنه أهلك جميعهم، إلا قليلًا منهم كانوا ينهون عن الفساد.

* * *

* سُورَةُ يُوسُفَ *

• ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا... ﴿٢﴾ ﴾

٥٣٦ – نقول: أما أن القرآن عربي فحق؛ إذ نطق به القرآن، وأما أن القرآن قديم فحق؛ إذ نطق به الرسول ﷺ، وأما أن عربية القرآن قديمة فهي مسألة ثالثة لم يرد فيها أنها قديمة، فلا يلزم القول بها، فعلى هذا الوجه يلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه ونزمهم [2] عن القياس والقول باللوازم.

---

٥٣٢ – منهاج العابدين (ص ٢٦٠، ٢٦١). ٥٣٣ – ميزان العمل (ص ٢٦٨).

٥٣٤ – بداية الهداية، ضمن رسائل الإمام الغزالي (٥) (ص ٦٨).

٥٣٥ – الإحياء (٢/٣٣٤).

٥٣٦ – إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٠٩).

---

(١) في الأصل المطبوع: المشيء، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) زم الشيء يزمه زمًّا فانزم: شده، ن: اللسان (زم).

• ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ... ﴾

٥٣٧ - قال صاحب الكشاف في تفسيرها: « يعني: معاني كتب الله وسنن الأنبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس في أغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها، وتدلهم على مودعات حكمها »[(١)].

• ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ... ﴾

٥٣٨ - ذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام، وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه غيبوه عنه.

• ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ... ﴾

٥٣٩ - أي بمصدق.

• ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾

٥٤٠ - معناه: باعوه، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع، ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه؛ إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف، فباعوه طمعًا في العوض.

• ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

٥٤١ - **الوجد**: هو الشوق الغالب على قلب الطالب، وهذا الوجد بعد حصوله له أحوال:

الأول: الدهش، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾! وحقيقة الدهش غيبة القلب عن إحساسه لما فاجأه من الأمر العظيم.

---

٥٣٧ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٠). ٥٣٨ - الإحياء (٣/٢٠٢).
٥٣٩ - نفسه (١/١٣٨). ٥٤٠ - نفسه (٤/٢٣٠).
٥٤١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) (ص ٥٥).

---

(١) ن: الكشاف للزمخشري (٢/٣٠٣).

فمن استعمل جميع قواه على وجه التواصل بها إلى العلم والعمل، فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم، وجدير بأن يسمى ملكًا ربانيًا، وكما قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾.

٥٤٢ - من ارتفع إلى أفق الملائكة حتى تحلى بالعلوم والفضائل النفيسة والأعمال الحسنة فهو ملك جسماني، لارتفاعه عن الإنسانية وعدم مشاركته للبشر إلا بالصورة التخطيطية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾.

• ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم... ﴿٤٠﴾ ﴾

٥٤٣ - إن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ ومعلوم أنهم ما كانوا يعبدون الألفاظ التي هي حروف مقطعة، بل كانوا يعبدون المسميات.

فنقول: إن المستدل بهذا لا يفهم وجه دلالته ما لم يقل: إنهم كانوا يعبدون المسميات دون الأسماء، فيكون في كلامه التصريح بأن الأسماء غير المسميات؛ إذ لو قال القائل: العرب كانت تعبد الأسماء دون المسميات كان متناقضًا، ولو قال: تعبد المسميات دون الأسماء كان مفهومًا غير متناقض.

فلو كانت الأسماء هي المسميات لكان القول الأخير كالأول، ثم يقال أيضًا: معناه: أن اسم الآلهة التي أطلقوها على الأصنام كانت اسمًا بلا مسمى؛ لأن المسمى هو المعنى الثابت في الأعيان من حيث دلَّ عليه اللفظ، ولم تكن الأصنام آلهة ثابتة في الأعيان، ولا معلومة في الأذهان، بل كانت أساميها موجودة في اللسان، فكانت أسامي بلا معانٍ، ومن سمي باسم الحكيم، ولم يكن حكيمًا، وفرح به قيل: فرح بالاسم، إذ ليس وراء الاسم معنى. وهذا هو الدليل على أن الاسم غير المسمى؛ لأنه أضاف الاسم إلى التسمية وأضاف التسمية إليهم، فجعلها فعلًا لهم فقال: ﴿ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ يعني: أسماء حصلت بتسميتهم وفعلهم، وأشخاص الأصنام لم تكن هي الحادثة بتسميتهم.

• ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

٥٤٤ - طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظًا عليمًا، وكان محتاجًا إليه وكان صادقًا فيه.

---

٥٤٢ - ميزان العمل (ص ٢١٠).
٥٤٣ - المقصد الأسنى (ص ٣٧).
٥٤٤ - الإحياء (٣٠٢/٣).

٥٤٥ - قال عبد الله بن عباس في تفسير هذه الآية حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ قال: معناه: كاتب حاسب.

• ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا... ۝٨٢ ﴾

٥٤٦ - ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أي: أهل القرية.

٥٤٧ - إذ المسؤول بالحقيقة أهل القرية لا نفس القرية.

٥٤٨ - قد يطلق بالمجاز ما يقتضي الحقيقة، وفي الإطلاق خلافه كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي أهل العير، فالأهل فيهما محذوف مضمر.

٥٤٩ - والمعنى: واسأل أهل القرية، وهذا النقصان اعتادته العرب فهو توسع وتجوز.

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ يصح في بعض الجمادات لإرادة صاحب القرية، ولا يقال: سل البساط والكوز، وإن كان قد يقال: سل الطلل والربع لقربه من المجاز المستعمل.

• ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ... ۝٨٣ ﴾

٥٥٠ - قيل في معنى قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾: لا شكوى فيه.

• ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ... ۝٩٨ ﴾

٥٥١ - قيل: إن يعقوب ﷺ إنما قال: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ ليدعو في وقت السحر، فقيل: إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله ﷻ: إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء.

• ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ... ۝١٠٨ ﴾

٥٥٢ - معناه في كلام العرب:التنزيه والسلب، فهي مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله تعالى وصفاته، فما كان من أسمائه سلبًا فهو مندرج تحت هذه الكلمة؛ كالقدوس: وهو الطاهر من كل عيب، والسلام: وهو الذي سلم من كل آفة.

* * *

---

٥٤٥ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٣). ٥٤٦ - المستصفى (٣٤٧/١).
٥٤٧ - معيار العلم (ص ٥٩). ٥٤٨ - الإحياء (٣٤٤/١).
٥٤٩ - نفسه (٣١٠/٤). ٥٥٠ - المستصفى (٣٤٢/١).
٥٥١ - نفسه (٣٦٢/١).
٥٥٢ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

* سُورَةُ الرَّعْدِ *

• ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ... ۝٦ ﴾

٥٥٣ - يقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ (١).

• ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝١٥ ﴾

٥٥٤ - سجود عالم الأمر (٢) طوع لله، وسجود الظلال كره.

• ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝١٧ ﴾

٥٥٥ - معنى الماء هاهنا هو القرآن، ومعنى الأودية: هي القلوب، وأن بعضها احتملت شيئًا كثيرًا وبعضها قليلًا وبعضها لم يحتمل.

والزبد: مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء، فإنه لا يثبت، والهداية التي تنفع الناس تمكث (٣).

٥٥٦ - ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾، ورد في التفسير أن الماء هو المعرفة، والأودية: القلوب.

٥٥٧ - انظر إلى تفسير قوله تعالى كما قال المفسرون: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ

---

٥٥٣ - الإحياء (١٥٤/٤). ٥٥٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٤٣).
٥٥٥ - الإحياء (١٢٢/١).
٥٥٦ - مشكاة الأنوار، ضمن مجموعة الرسائل رقم (٤) (ص ٣١).
٥٥٧ - جواهر القرآن ودرره (٣٦).

---

(١) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيرهما من رواية علي بن زيد ابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: « لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدًا العيش... » الحديث، ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٤/٤).

(٢) قال الإمام الغزالي: « أعني بعالم الأمر: ما لا يتطرق إليه التقدير »، ن: كتاب الأربعين (ص ٤٣).

(٣) يرى الإمام الغزالي أن هذه الآية أريد بها غير الظاهر، وزاد قائلًا: « وفي هذا القسم - أي الإجراء على غير الظاهر - تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما، وهو بدعة، إذ لم ينقل ذلك بطريقة الرواية، وإجراؤه على الظاهر غير محال، فيجب إجراؤه على الظاهر » الإحياء (١٢٢/١).

أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ وأنه كيف مثل العلم بالماء، والقلوب بالأودية والينابيع، والضلال بالزبد، ثم نبهك على آخرها فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾.

٥٥٨ – ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ ﴾ ذكر ذلك تمثيلًا للقرآن.

• ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ... ﴿٢٢﴾ ﴾

٥٥٩ – ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ندب إلى العلانية أيضًا لما فيها من فائدة الترغيب.

٥٦٠ – قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾: أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة.

• ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

٥٦١ – قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ قال: هشت إليه واستأنست به.

• ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ... ﴿٣٩﴾ ﴾

٥٦٢ – معناه: أنه يمحو الحكم المنسوخ ويثبت الناسخ، أو يمحو السيئات بالتوبة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤] ويمحو الحسنات بالكفر أو الردة، أو يمحو ما ترفع إليه الحفظة من المباحات ويثبت الطاعات.

* * *

* سُورَةُ إبراهيم *

• ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ... ﴿٣﴾ ﴾

٥٦٣ – وصف الكفار بذلك، فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا.

---

٥٥٨ – المضنون به على غير أهله، ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) (ص ١٢٧).
٥٥٩ – الإحياء (٢/٢٥٦).
٥٦٠ – نفسه (٢/٢٢٦).
٥٦١ – نفسه (٤/٣٥١).
٥٦٢ – المستصفى (١/١١٠).
٥٦٣ – الإحياء (٤/٢٣٣).

• ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ... ۝٧ ﴾

٥٦٤ - الشكر سبب الزيادة.

• ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم ... ۝٩ ﴾

٥٦٥ - في هذا تنبيه على أولئك القرون الطاغية، كقوم يارخ ومارخ ودوح وأسر، وما أشبه ذلك.

• ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ... ۝١٧ ﴾

٥٦٦ - قال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ قال: « **يقرب إليه فيتكره، فإذا أدني منه شوى وجهه فوقعت فروة** [١] **رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره** » [٢] يقول تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ [الكهف: ٢٩] فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم.

• ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١ ﴾

٥٦٧ - قال زيد بن أسلم [٣] في قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ قال: صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ﴾.

• ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ ﴾

٥٦٨ - شبه الله العقل بشجرة طيبة، والهوى بشجرة خبيثة.

---

٥٦٤ - الإحياء (٩٣/٤).

٥٦٥ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢٩).

٥٦٦ - الإحياء (٥٦٧/٤). ٥٦٧ - الإحياء (٥٦٨/٤).

٥٦٨ - ميزان العمل (ص ٢٤٥).

---

(١) أي جلدته: الإتحاف (٥٥١/١٤). (٢) أخرجه الترمذي، وقال: غريب.

(٣) هو زيد بن أسلم العدوي العمري، فقيه مفسر من أهل المدينة كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، وكان ثقة كثير الحديث، له حلقة بالمسجد النبوي، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن، ن: تهذيب التهذيب (٣٩٥/٣) وسير أعلام النبلاء (٣١٦/٦).

• ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾

٥٦٩ - قال البراء بن عازب: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسًا رأسه ثم قال: « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر** » ثلاثًا. ثم قال: « **إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس، معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك من السماء، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخله بروحه منه، فإذا صعد بروحه قيل: أي رب عبدك فلان، فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته** ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥] **وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال: يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ. قال: فينتهرانه انتهارًا شديدًا. وهي آخر فرصة تعرض على الميت، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ .... » الحديث (١).

٥٧٠ - التثبيت على المعرفة والإيمان، وهو الذي منه الخوف والفزع، وعليه كل البكاء والجزع، قال عز من قائل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾.

• ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ... ﴿٣٤﴾ ﴾

٥٧١ - إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر.

• ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

٥٧٢ - استعاذ إبراهيم ﵇ فقال: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ وعنى بها هذين الحجرين: الذهب والفضة؛ إذ رتبة النبوة أجلُّ من أن يخشى عليها أن تعتقد

---

٥٦٩ - الإحياء (٤/٥٣٠، ٥٣١).
٥٧٠ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٤٨).
٥٧١ - الإحياء (٤/١٠٤).
٥٧٢ - نفسه (٣/٢٤٩).

---

(١) الحديث طويل يصف حالة المؤمن وما أعد الله له من نعيم، وحالة الكافر وما أعد الله له من عذاب. قال الحافظ العراقي: الحديث بطوله أخرجه أبو داود والحاكم بكماله، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وضعفه ابن حبان، ورواه النسائي وابن ماجه مختصرًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٥٣١).

الإلهية في شيء من هذه الحجارة؛ إذ قد كفي قبل النبوة مع الصغر، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما، قال نبينا ﷺ: « **تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم، وتعس ولا انتعش، وإذا شيك فلا انتقش** » [1] فبين أن محبهما عابد لهما، ومن عبد حجرًا فهو عابد صنم، بل كل من كان عبدًا لغير اللَّه فهو عابد صنم، أي قطعه ذلك عن اللَّه تعالى أداء حقه، فهو كعابد صنم، وهو شرك، إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل، وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ باللَّه من الجميع.

٥٧٣ - عنى به هذين الحجرين: الذهب والفضة؛ إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى فيها أن تعتقد الإلهية في شيء من الحجارة؛ ولهذا قال علي: يا حميراء غري غيري، ويا بويضاء غري غيري؛ ولهذا شبه ﷺ طلاب الدنانير والدراهم المشغوفين بعبدة الحجارة، فقال: « **تعس عبد الدراهم تعس عبد الدنانير، ولا انتعش، وإذا شيك فلا انتقش** ».

• ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ... ﴿٤٨﴾ ﴾

٥٧٤ - لا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا، بل لا تساويها إلا في الاسم، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قال ابن عباس: يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة، والسماوات تذهب شمسها وقمرها ونجومها.

• ﴿ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

٥٧٥ - **الصفد**: هو اقتران القدمين معًا.

* * *

---

٥٧٣ - ميزان العمل (ص ٣٧٦).
٥٧٤ - الإحياء (٥٤٦/٤).
٥٧٥ - نفسه (١٨١/١).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل: « وانتقش » وإنما علق آخره بلفظ: « تعس وانتكس » باب ما يتقى من فتنة المال وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ حديث رقم (٦٤٣٥).

* سُورَةُ الحِجْرِ *

• ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾

٥٧٦ - قال رسول الله ﷺ: « **إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم؛ إذ أنتم معنا في النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها، فيسمع الله ﷻ ما قالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا** »، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ (١).

• ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

٥٧٧ - من أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته، مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة.

• ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ... ﴾

٥٧٨ - إنما إلقاحها في إيقاع الازدواج بين الهواء والأرض.

• ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

٥٧٩ - **أما التسوية**: فهي عبارة عن فعل في المحل القابل للروح، وهو الطين في حق آدم ﷺ، والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج والتردد في أطوار الخلقة إلى الغاية حتى ينتهي في الصفاء ومناسبة الأجزاء إلى الغاية، فيستعد لقبول الروح وإمساكها كاستعداد الفتيلة بعد شرب الدهن لقبول النار وإمساكها.

وأما النفخ: فهو عبارة عن اشتعال نور الروح في المحل المقابل، فالنفخ سبب الاشتعال، وصورة النفخ في حق الله تعالى محال، والسبب غير محال، فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ، وهو الاشتعال في فتيلة النطفة، وللنفخ صورة ونتيجة.

---

٥٧٦ - الإحياء (٤/٥٧٩). ٥٧٧ - نفسه (١/٣٢١).
٥٧٨ - نفسه (٤/١٢٢).
٥٧٩ - روضة الطالبين ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٦ - ٤٨).

---

(١) رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري ﷺ، ن: تفسير ابن كثير (٢/٦٦٤، ٦٦٥).

وأما صورته: فهو إخراج هوى من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ فيه - وهو فتيلة النطفة - فيشتعل فيها، **وأما السبب** الذي اشتعل به نور الروح فهو صفة في الفاعل، وصفة في المحل القابل، **وأما صفة الفاعل:** فالجود الذي هو ينبوع الوجود، وهو فياض بذاته على كل موجود حقيقة وجوده، ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة، ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل الاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما، والقابل هو الملونات دون الهواء الذي لا لون له، **وأما صفة القابل:** فالاستواء واعتدال الحاصل في التسوية، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾.

ومثال صفة القابل: صفات المرآة، فإن المرآة قبل صقالتها لا تقبل الصورة، وإن كانت محاذية لها، فإذا صقلت حدثت فيها صورة من ذي الصورة المحاذية لها، فكذلك إذا حصل على الاستواء في النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح من غير تغير في الخالق تعالى الآن، لا بل إنما حدث الروح قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله.

وأما فيضان الجود، فالمراد به: أن الجود الإلهي سبب لحدوث أنوار الوجود في كل ماهية قابلة للجود، فعبر عنه بالفيض، لا كما يفهم من فيض الماء من الإناء على اليد، فإن ذلك عبارة عن انفصال جزء مما في الإناء واتصاله باليد، فإن الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا.

وأما كشف معنى ماهية الروح ومعرفة حقيقتها فهو من السر الذي لم يؤذن لرسول الله ﷺ في كشفه لمن ليس من أهله، فإن كنت من أهله فاسمع.

اعلم أن الروح ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في الإناء، ولا هو عرض يحل في القلب أو الدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم، بل هو جوهر لا يتجزأ باتفاق أهل البصائر؛ لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه العلم بالشيء، وبجزء آخر منه الجهل بذلك الشيء بعينه، فيكون في حالة واحدة عالمًا بالشيء وجاهلًا به، وذلك محال، فدل بذلك على أنه واحد لا ينقسم.

فإن قيل: لم منع رسول الله ﷺ إفشاء سر الروح وكشف حقيقته؟ فيقال: لأنه يتصف بصفات لا تحملها الأفهام؛ إذ الناس **قسمان:** عوام وخواص، أما من غلب على طبعه العامية فإنه لا يصدق بما هو وصف الروح أن يكون وصفًا لله تعالى، فكيف يصدق به في وصف الروح الإنساني؟ وكذلك أنكرت الكرامية [1] والحنبلية وغيرهم ممن غلبت عليهم العامية بتنزيه الإله تعالى عن الجسمية وعوارضها؛ إذ لا يعقلون موجودًا

---

(١) الكرامية: ثلاثة أصناف: حقاقية وطرائقية وإسحاقية، زعيمها محمد بن كرام، كان مطرودًا من سخستان إلى غرجستان، دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، ن: الفرق بين الفرق (ص ٢٠٢).

إلا متجسمًا مشارًا إليه، ومن ترقى عن العامية قليلًا نفى الجسمية عن اللَّه تعالى، وما أطلق أن ينفي عوارض الجسمية عنه، فأثبت الجهة وترقى عن هذه العامية: الأشعرية والمعتزلة فنزهوا الإله تعالى عن الجسمية والجهة.

فإن قيل: لِمَ لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء؟ فيقال: لأنهم أحالوا أن تكون هذه الصفة لغير اللَّه تعالى، فإذا ذكرت هذا معهم كفَّروك وقالوا: هذا تشبيه؛ لأنك تصف نفسك بما هو صفة الإله تعالى على الخصوص وذلك جهل بأخص صفات اللَّه تعالى.

فإن قلنا: إن الإنسان حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، واللَّه تعالى كذلك ليس فيه تشبيه؛ لأن هذه الصفات ليس أخص أوصاف اللَّه تعالى، فلذلك البراءة عن المكان والجهة ليست أخص وصف الإله تعالى، بل أخص أوصاف اللَّه تعالى أنه قيوم، أي: قائم بذاته وكل ما سواه قائم به وهو موجود بذاته لا بغيره، وليس للأشياء بأنفسها إلا العدم، وإنما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية، فالوجود للَّه تعالى ذاته ليس بمستعار، وما سواه فوجوده منه تعالى لا من نفسه وهذه القيومية ليست إلا للَّه تعالى.

فإن قيل: ما معنى نسبة الروح للَّه تعالى في قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ فاعلم أن الروح منزهة عن الجهة والمكان، وفي قوتها العلم بجميع المعلومات والاطلاع عليها، فهذه مضاهاة ومناسبة ليست لغيره من الجسمانيات؛ فلذلك اختصت بالإضافة إلى اللَّه تعالى.

٥٨٠ - ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ فروح اللَّه ﷻ مفتاح أبواب السعادة، ولم يكن نفخها إلا بعد التسوية، ومعنى التسوية يرجع إلى التعديل.

٥٨١ - الأرواح البشرية حدثت عن استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ كما حدثت الصورة في المرآة لحدوث الصقالة، وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة.

● ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

٥٨٢ - ورد الاستثناء من غير الجنس كقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾، ولم يكن من الملائكة، فإنه قال: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠].

---

٥٨٠ - كتاب الأربعين (ص ٧١).

٥٨١ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٠٥).

٥٨٢ - المستصفى (١٦٧/٢).

• ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ ﴾

٥٨٣ – كمالات الموجودات قبول الأمر، وكمالات المكلفين قبولها للثواب، فمن لم يقبل الأمر أُخرج من عالم الحق، والإخراج من الحق لعن كحال الشيطان الأول؛ إذ لم يقبل الأمر فأُخرج من جنة العقل، وقيل: ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ وذلك معنى اللعن.

• ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ ﴾

٥٨٤ – قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله ﷻ أجاب دعاء شر الخلق إبليس – لعنه الله – ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

• ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾

٥٨٥ – ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ثم قال في عقبه ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾ لئلا يستولي عليك الرجاء بمرة.

• ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ ﴾

٥٨٦ – قال ﷺ: « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى** » [1] وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨].

• ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢ ﴾

٥٨٧ – من منافع الجبال ما يتخذه العباد من المساكن، تقيهم البرد والحر، ويتخذون مدافن لحفظ جثث الموتى، وقد ذكر الله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾.

• ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥ ﴾

٥٨٨ – روى محمد ابن الحنفية [2] عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما نزل

---

٥٨٣ – معارج القدس (ص ١٧٧). ٥٨٤ – الإحياء (٣٦٤/١).
٥٨٥ – منهاج العابدين (ص ٢٥٧). ٥٨٦ – الإحياء (٢٦/٣).
٥٨٧ – الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٦).
٥٨٨ – الإحياء (١٥٩/٤).

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: « اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله »، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾] وقال: هذا حديث غريب. كتاب التفسير، حديث رقم (٣١٣٨) (٨٨/٥)، ون: الدر المنثور (١٠٣/٤).

(٢) هو: السيد الإمام القاسم أبو عبد الله محمد بن الإمام علي بن أبي طالب، رأى عمر وروى عنه وعن أبيه =

قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ قال: « **يا جبريل وما الصفح الجميل؟** » قال الطَّيِّلا: « **إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه** ». فقال: « **يا جبريل فاللّٰه تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه** »، فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ، فبعث اللّٰه تعالى لهم ميكائيل وقال: « إن ربكما يقرئكما السلام، ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه، هذا ما لا يشبه كرمي »(١).

• ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ... ۝٨٨ ﴾

٥٨٩ - **تقديره:** إن كل من أوتي القرآن العظيم حق له أن لا ينظر إلى الدنيا نظرة باستحلاء، فضلًا عن أن يكون له فيها رغبة، وليلزم الشكر على ذلك، فإنها الكرامة التي حرص خليله إبراهيم ﷺ أن يمن بها على أبيه فلم يفعل، وحرص حبيبه المصطفى أن يمن بها على عمه أبي طالب فلم يفعل.

* * *

* سُورَةُ النَّحۡلِ *

• ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ... ۝٢٨ ﴾

٥٩٠ - إن انهمكت النفس في الشبهات وغرقت في بحر الظلمات، واخترقت نيران الشهوات، تخرج من الدنيا بغير زاد، وتقدم على اللّٰه بغير حجة، وتكون كما أخبر اللّٰه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾.

• ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠ ﴾

٥٩١ - قول اللّٰه تعالى لا يشابه قولنا باستدعاء الآله واحتياج المدة، ولكنه مفيد لذوي الألباب وأصحاب الحاجات، فأقاويله هي أصول الكتابات، كما قال اللّٰه ﷻ: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

---

٥٨٩ - منهاج العابدين (ص ٣٢٩، ٣٣٠). ٥٩٠ - المعارف العقلية (ص ٤٠).
٥٩١ - نفسه (ص ٦٥).

= وأبي هريرة وغيرهم، حدث عنه بنوه عبد اللّٰه والحسن وأبو جعفر الباقر وعمرو بن دينار وآخرون (ت٨٥هـ). ن: وفيات الأعيان (١٨٩/٤) وشذرات الذهب (٨٨/١) وسير أعلام النبلاء (١٠/٤).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه في تفسيره موقوفًا على علي مختصرًا، قال: الرضا بغير عتاب، ولم يذكر بقية الحديث، وفي إسناده نظر، ن: المغني بهامش الإحياء (١٥٩/٤).

٥٩٢ - إن ظاهره ممتنع إذ قوله: ﴿ كُن ﴾ إن كان خطابًا للشيء قبل وجوده فهو محال؛ إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمثل، وإن كان بعد الوجود فهو مستغنٍ عن التكوين، ولكن لما كانت هذه الكتابة أوقع في النفوس في تفهيم عناية الاقتدار عدل إليها، وأما المدرك بالشرع، فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنًا، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر.

• ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ ﴾

٥٩٣ - المراد به أمر العوام بسؤال العلماء؛ إذ ينبغي أن يتميز السائل عن المسؤول، فمن هو من أهل العلم مسؤول وليس بسائل، ولا يخرج عن كونه من أهل العلم بأن لا تكون المسألة حاضرة في ذهنه؛ إذ هو متمكن من معرفتها من غير أن يتعلم من غيره.

الثاني: أي معناه: سلوا، أي سلوا عن الدليل لتحصيل العلم، كما يقال: كل لتشبع واشرب لتروى.

٥٩٤ - قيل للجاهل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

٥٩٥ - ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فاعلم أن هذا ليس مناقضًا لمنع موسى من السؤال ولا لما ذكرناه [1]؛ لأن:

النهي: هو منع عن طلب ما لم يبلغ إلى حد يدركه، فإذا منعه المعلم من السؤال عنه فليمتنع.

---

٥٩٢ - الإحياء (١٢٢/١). ٥٩٣ - المستصفى (٣٨٥/٢).
٥٩٤ - إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٦٦).
٥٩٥ - ميزان العمل (ص ٣٤٦).

---

(١) قال الإمام الغزالي: « مهما أشار المعلم في طريق التعلم بما يراه المتعلم عين الخطأ ويعتقده قطعًا، فليتهم نفسه وليصبر، وليتبع معلمه، فإن خطأ معلمه خير من صواب نفسه، كسالك الطريق يكون قد استفاد بالتجربة ما يتعجب المبتدئ منه.
وعلى هذا نبه الله تعالى في قصة الخضر مع موسى فقال: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] إلى قوله: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾، ثم لم يصبر وراجعه، وراده إلى أن قال: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨] ثم نبه على أسرار ما استبعده كما ورد به القرآن، فعرّف الله موسى أن المعلم يعلم ما لا ينتهي إليه عقل المتعلم ووهمه.
وبالجملة: فكل متعلم لم يتبع مراسم معلمه في طريق التعلم فاحكم عليه بالإخفاق وقلة النجح ». ميزان العمل (ص ٣٤٥، ٣٤٦).

والأمر: هو حث على معرفة تفصيل ما تقتضيه رتبته من العلم.

٥٩٦ - فإن قلت: فقد قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فالسؤال من مأمور به؟ فاعلم أنه كذلك، ولكن فيما يأذن المعلم من السؤال عنه فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم؛ ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال: أي دع السؤال قبل أوانه، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف.

وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه، وقد قال علي رضي الله عنه: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذه بثوبه إذا نهض، ولا تفشي له سرًّا، ولا تغتابن أحدًا عنده، ولا تطلب عثرته، إن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى، ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

● ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ... ۝٥٠ ﴾

٥٩٧ - **الفوق**: اسم مشترك يطلق لمعنيين:

أحدهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، يعني الأعلى من جانب رأس الأسفل، وقد يطلق لفوقية الرتبة، وبهذا يقال: الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الوزير، كما يقال: الحلم فوق العلم، والأول يستدعي جسمًا ينسب إلى جسم.

والثاني: لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعًا أن الأول غير مراد، وأنه على الله تعالى محال، فإنه من لوازم الأجسام أو لوازم أعراض الأجسام، وإذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه إن لم يعرف أنه لماذا أطلق؟ وماذا أريد؟ فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره.

٥٩٨ - تأويل لفظ الفوق بالعلو المعنوي الذي هو المراد بقولنا: السلطان فوق الوزير فإنا لا نشك في ثبوت معناه لله تعالى، لكنا ربما نتردد في أن لفظ الفوق في قوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ هل أريد به العلو المعنوي؟ أم أريد به معنى آخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو بالمكان الذي هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة في جسم؟

---

٥٩٦ - الإحياء (١/٦٤).

٥٩٧ - إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٦٥).

٥٩٨ - نفسه (ص ٧٣).

• ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾

٥٩٩ - هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة.

• ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾

٦٠٠ - ذم اللَّه تعالى قومًا جعلوا للَّه ما يكرهون، فقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا ﴾ وقف بعض القراء على النفي تكذيبًا لهم، ثم ابتدأ وقال: ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ أي كسب لهم جعلهم للَّه ما يكرهون النار.

• ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾

٦٠١ - خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به.

• ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ... ﴾

٦٠٢ - أراد به النفقة مما رزق.

• ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ... ﴾

٦٠٣ - أي الأمر بالعدل والاستقامة.

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ... ﴾

٦٠٤ - الطاعات تنقسم إلى فرض ونفل، وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعًا، وقد جمعهما اللَّه تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر.

• ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً... ﴾

٦٠٥ - قال كثير من المفسرين: الحياة الطيبة في الدنيا: القناعة.

---

٥٩٩ - الإحياء (٥٢٨/٤) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٠).

٦٠٠ - الإحياء (٢٥٨/١).

٦٠١ - الإحياء (٤٠٠/٤).

٦٠٢ - نفسه (٣٤٥/١).

٦٠٣ - نفسه (٣٤٥/١).

٦٠٤ - نفسه (٧٤/٤).

٦٠٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١١٨).

٦٠٦ – وفي بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ قال: الزوجة الصالحة.

• ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

٦٠٧ – **التبديل:** يشتمل على رفع وإثبات، والمرفوع إما تلاوة وإما حكم، وكيف ما كان فهو رفع ونسخ.

فإن قيل: ليس المعني به رفع المنزل، فإن ما أنزل الله لا يمكن رفعه وتبديله، لكن المعني به تبديل مكان الآية بإنزال الآية بدل ما لم ينزل، فيكون ما لم ينزل كالمبدل بما أنزل.

قلنا: هذا تعسف بارد، فإن الذي لم ينزل كيف يكون مبدلًا؟ والبدل يستدعي مبدلًا، وكيف يطلق اسم التبديل على ابتداء الإنزال، فهذا هوس وسخف.

• ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ... ﴿١٠٥﴾ ﴾

٦٠٨ – عن عبد الله بن جراد [(١)] قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هل يزني المؤمن؟ قال: « **قد يكون ذلك** » قال: يا نبي الله هل يكذب المؤمن؟ قال: « **لا** » ثم أتبعها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)].

• ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ... ﴿١٠٧﴾ ﴾

٦٠٩ – أي ركنوا إليها.

---

٦٠٦ – الإحياء (٣٥/٢). ٦٠٧ – المستصفى (١١١/١).
٦٠٨ – الإحياء (١٤٤/٣) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٨٤) مع زيادة « أيسرق المؤمن؟ ».
٦٠٩ – التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٣٩).

---

(١) هو عبد الله بن جراد الخفاجي، وقيل: عبد الله بن جراد المنتفق بن عامر بن عقيل العامري العقلي. قال البخاري: له صحبة. روى عنه يعلي بن الأشدق أحد الضعفاء وأبو قتادة الشامي؛ راو وثقة ابن حبان. عداده في أهل الطائف. ن. الإصابة (٤٧/٤) وأسد الغابة (٩٣/٣) والاتحاف (٢٥١/٩).

(٢) قال العراقي: رواه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف. ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرًا على الكذب، وجعل السائل أبا الدرداء، ولفظه: قال أبو الدرداء: يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ قال: « لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب » ن: التمهيد (٩٥٥/١٦) والمغني (١٤٤/٣) والإتحاف (٢٥١/٩).

• ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا... ﴿١١١﴾ ﴾

٦١٠ - قد جاء في الخبر أن رجلًا من المجرمين يوقف بين يدي اللّٰه تعالى فيقول له: يا عبد السوء كنت مجرمًا عاصيًا، فيقول: ما فعلت؟ فيقال له: عليك بينة، فيؤتى بحفظته، فيقول: كذبوا علي، ويجادل على نفسه وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾

• ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ... ﴿١٢١﴾ ﴾

٦١١ - قال في إبراهيم: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ ولأنه في منزلة الإنعام والعافية، ولذلك قيل: لأن أنعم فأشكر أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر.

• ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا... ﴿١٢٣﴾ ﴾

٦١٢ - فوجب بما أوحى إليه لا بما أوحي إلى غيره، وقوله: ﴿ أَنِ اتَّبِعْ ﴾ أي: افعل مثل فعله، وليس معناه: كن متبعًا له وواحدًا من أمته، كيف والملة عبارة عن أصل الدين والتوحيد والتقديس الذي تتفق فيه جميع الشرائع؟ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠] ولا يجوز تسفيه الأنبياء المخالفين له، ويدل عليه أنه لم يبحث عن ملة إبراهيم، وكيف يبحث مع اندراس كتابه وإسناد أخباره؟

• ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴿١٢٥﴾ ﴾

٦١٣ - المدعو بالحكمة إلى الحق قوم، وبالموعظة الحسنة قوم آخرون، وبالمجادلة الحسنة قوم آخرون على ما فصلنا أقسامهم في كتاب « القسطاس المستقيم » (١).

٦١٤ - إن المدعو إلى اللّٰه تعالى بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم، فإن الحكمة إن غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل

---

٦١٠ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٢).
٦١١ - منهاج العابدين (ص ٣٢٣). ٦١٢ - المستصفى (٢٥٦/١).
٦١٣ - إلجام العوام عن علم الكلام ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٣٠).
٦١٤ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٦، ٧).

---

(١) ن النص الذي بعده.

القوي من الارتضاع بلبن الآدمي، وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن، كان كمن غذى البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر أو البلدي بالتمر وهو لم يألف إلا البر، وليته كانت له أسوة حسنة كما تعلم من القرآن في إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - حيث حاج خصمه فقال: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فلما رأى ذلك لا يناسبه، وليس عنده حين قال: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ عدل إلى الأوفق لطبعه والأقرب إلى فهمه فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

• ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾

٦١٥ - مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره، فقال تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾.

* * *

* سُورَةُ الإِسْرَاءِ *

• ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ... ١ ﴾

٦١٦ - نال هيكله من الصعود إلى السماء ما ناله قلب سواه من الإسراء، بل نال في اليقظة بقالبه ما ناله غيره في المنام بقلبه، لا غرو كان يحمل نفسه مع قوة معارفه من وظائف العبادات ما أعطى هيكله الشريف من صفات الروحانيات، قيل له في ذلك قال: « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » (١).

• ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ... ١٢ ﴾

٦١٧ - وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة.

---

٦١٥ - الإحياء (٤/٧٥).

٦١٦ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٦٤).

٦١٧ - الإحياء (١/٣٩٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، ن: صحيح البخاري، كتاب التهجد (ح١١٣٠)، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال (ح٢٨١٩) (٤/٢١٧١).

• ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

٦١٨ - روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره؟ قال: « **يا ابن مسعود ما سألني عنه أحد إلا أنت، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول: يا عبد الله اكتب عملك! فيقول ليس معي دواة ولا قرطاس، فيقول: هيهات! كفك قرطاسك ومدادك ريقك، وقلمك إصبعك، فيقطع قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب، وإن كان غير كاتب في الدنيا فيكتب حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد، ثم يطوي الملك الرقعة ويعلقها في عنقه** »، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ ... الحديث [1].

٦١٩ - إذا استقر الناس في صعيد واحد، طلعت عليهم سحابة سوداء، فأمطرتهم صحفًا منشرة، فإذا صحيفة المؤمن ورقة ورد، وإذا صحيفة الكافر ورقة سدر، والكل مكتوب، فتتطاير الصحف إذا هي بالميامن والمياسر، وليس عن اختيار، وإنما هي تقع بيمينه وبشماله، وهو قوله تعالى: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾.

• ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٦٢٠ - الآية سيقت لقصد معلوم، وهو: الحث على توقير الوالدين وإعظامهما واحترامهما، والبر والإحسان إليهما. والتأفيف والإيذاء يناقض الإعظام الواجب، فالضرب وأنواع التعذيب يشتمل على مثل ذلك الإيذاء، فهو بمناقضة الإعظام الواجب أولى، فقد وجد فيها العلة وزيادة، فكان ذلك اعتبارًا بطريق الأولى.

ولقد ثار بين الأصوليين خلاف مستند هذا الفهم بأن تحريم الضرب بتحريم التأفيف قياس أم لا؟

فقال القائلون: هو قياس، وقال آخرون: لا، بل هو مفهوم من نفس اللفظ، وقال قائلون: مفهوم من فحوى اللفظ، وقال آخرون: مفهوم من سياق الآية، وهو الذي كان يشير إليه إمامي رحمه الله [2].

---

٦١٨ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٠٩).
٦١٩ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٩).
٦٢٠ - شفاء الغليل (ص ٥٢ - ٥٦).

---

(١) لم أقف على تخريج لهذا الحديث.
(٢) هو إمام الحرمين ضياء الدين عبد الملك ابن الشيخ محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب =

وهذه أقاويل محتملة، والذي يتحصل منه أن يقال: تحريم الضرب معلوم من تحريم التأفيف، فيحتمل أن يحال به على دلالة نفس اللفظ عليه، ويحتمل أن يحال على دلالة معنى اللفظ، نعني به علة تحريم التأفيف، فإن أسند على دلالة نفس اللفظ، فلا وجه لتسميته قياسًا، وإن استند على فهم علة الملفوظ ووقوع المشاركة بين الضرب والتأفيف في علة تحريمه، حسن تسميته قياسًا، ولم يمنع منه كونه جليًا سابقًا إلى الفهم، مستغنيًا عن الاستنباط والنظر بعد وقوع المشاركة، فكون القياس مظنونًا أو مشكوكًا فيه ليس من حد القياس، وإنما القياس عبارة عن إثبات مثل حكم الأصل في الفرع، لمشاركته إياه في العلة، ثم ينقسم إلى معلوم وإلى مظنون. والمظنون ينقسم إلى جلي وخفي، والمعلوم ينقسم إلى أولي ويديهي وإلى فكري ونظري.

فما كانت مقدماته جلية سابقة إلى الفهم، لم يفتقر فيه إلى نظر وفكر، وهذا - إن تخيل - إستناد العلم به إلى نفس اللفظ، لا إلى فهم علة حكم الملفوظ به، ولم يتخيل، إما أن تكون دلالته من حيث اللغة، وإما أن تكون دلالته من حيث العرف، وباطل أن يتخيل دلالته من حيث اللغة؛ إذ يقول القائل: لا تقل له أف، ليس موضوعًا للنهي عن الضرب لغة؛ إذ يجوز أن يقول الملك - المستولي على واحد من الأكابر - لغلامه: لا تقل له أف، ولا تنهره ولا تقطع يده، ولا تفقأ عينه، واقتله، والمعنى به النهي عن الاستخفاف به مع الأمر بالإهلاك فهو بوضع اللسان غير دال عليه.

وإنما مظنة الخيال أن يضاف إليه من حيث العرف، فيقال: هذه الصيغة في العرف موضوعة مستعملة للنهي عن الإيذاء، فالنهي عنه بصيغة تدل على تحريم الإيذاء في العرف، فكأنه قال: لا تؤذ والديك ولا تستخف بهما، ولو قال ذلك لكان تحريم الضرب مأخوذًا من اللفظ؛ لأنه يندرج تحت عموم الإيذاء، لا من القياس، فإن التأفيف أقل درجات الإيذاء، فالنهي عنه بصيغته يدل على تحريم الإيذاء في جنسه من حيث العرف، وهو كقول القائل: ليس لفلان حبة، لا يدل على نفي ما فوق الحبة عرفًا، وإن لم يتعرض له...

فنقول: دلالة الألفاظ على الشيء إما أن تكون بطريق التعليل، أو اللغة أو العرف،

= الجويني، ولد عام (٤١٩هـ) جاور بمكة والمدينة، ودرس بالمدرسة النظامية في نيسابور، وبقي قريبًا من ثلاثين سنة، يخطب ويجلس للمناظرة والوعظ والتدريس، توفي سنة (٤٧٨هـ)، ن: وفيات الأعيان (٣/٣٨٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٤٦٨) والأعلام (٤/١٦٠).

ولا يحكم بالإحالة على العرف إلا إذا امتنع إحالته على اللغة والتعليل؛ لأن التنبيه بطريق التعليل من اللغة، كما أنه بطريق الوضع في اللغة، وأما دعوى كونه مستعملًا من جهة العرف، فهذا تحكم يصار إليه إذا حصل الفهم وامتنع له مدرك وضعي.

وفي مسألتنا أمكن الإحالة بالتنبيه على التعليل، لظهور إيجاب التوقير من الآية، وظهور كون التأفيف مناقضًا له بالعقل والعرف، وظهور كون الضرب مشتملًا على ذلك الإيذاء وزيادة.

فهذه مقدمات أولية استند إليها العلم بتحريم الضرب، هو القياس بعينه.

٦٢١ - فإن قيل: وبم تنكرون على من يقول: إن قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ عبارة عن النهي عن الإيذاء؟

قلنا: لأنه تحكم لا مستند له؛ إذ حمله على حقيقته - مع فهم علته وإلحاق غيره به - ممكن، فتحويله إلى غير حقيقته، من غير ضرورة - لا وجود له، بخلاف النقير والقطمير.

فإن قيل: لو كان هذا قياسًا لامتنع من لا يرى القياس في الشرع، ولامتنعنا منه لورود الحجر عن القياس.

قلنا: إنما لا يمتنع؛ لأن هذا القياس معلوم، فإن مقدماته معلومة، فلو ورد الحجر عن القياس المعلوم ووجب الجمود على موضع النص، لقصرنا التحريم على التأفيف، وقلنا: الضرب لم يتعرض له النص، ولكنه يكاد يفضي إلى التناقض؛ إذ عرف وجوب التعظيم، وعرف تحريم التأفيف لكونه ضدًّا، وعلم أن الضرب أقوى منه في المضادة، ولا سبيل إلى دفع علم مقدمات معلومة على القطع.

٦٢٢ - **فحوى الخطاب**: هو فهم تحريم الضرب من آية التأفيف.

قال قائلون: إنه قياس؛ لأنه ليس بمنصوص، وهو ملحق بالنص ولا معنى للقياس سواه.

قال القاضي: ليس بقياس؛ لأنه مفهوم من فحوى فهم المنصوص من غير حاجة إلى تأمل، وطلب جامع.

والمختار: أنه من المفهوم، لا لما ذكره القاضي؛ إذ لا يبعد في العرف أن يقول الملك لخدمه: اقتل الملك الفلاني، ولا تواجهه بكلمة سيئة، فليس فهم ذلك من اللفظ من

---

٦٢١ - شفاء الغليل (ص ٥٨، ٥٩).

٦٢٢ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٣٣٤، ٣٣٥).

صورته، ولكن لسياق الكلام وقرينة الحال فهم على القطع؛ إذ الغرض منه الاحترام فلا يعد قياسًا، والخلاف آيل إلى العبارة.

٦٢٣ - اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم.. أسبق إلى الفهم منه من نفس.. التأفيف.

٦٢٤ - **الأف**: وسخ الظفر... وقوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ، وقيل: لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر.

٦٢٥ - ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ دل على تحريم الضرب لا بلفظه المنطوق به حتى يتمسك بعمومه، وقد ذكرنا أن العموم للألفاظ لا للمعاني وللأفعال.

٦٢٦ - ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ فإن تحريم الضرب مدرك منه قطعًا.

٦٢٧ - فهم غير المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾.

٦٢٨ - تحريم التأفيف لإكرام الآباء.

٦٢٩ - تحريم الشتم من آية التأفيف.

٦٣٠ - المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ فإنه أفهم تحريم الضرب والشتم.

٦٣١ - أبو حنيفة رحمه الله أنكر المفهوم إلا ما يقطع به كآية التأفيف.

• ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾

٦٣٢ - قال سعيد بن المسيب [1]: أُنزل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ في الرجل يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

---

٦٢٣ - المستصفى (١٣٥/١).
٦٢٤ - الإحياء (١٦٣/١).
٦٢٥ - المستصفى (٧٠/٢).
٦٢٦ - نفسه (١٢٧/١).
٦٢٧ - نفسه (١٩٠/١).
٦٢٨ - نفسه (٢٨٣/٢).
٦٢٩ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٦٧).
٦٣٠ - المستصفى (٢٨١/٢).
٦٣١ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢٠٩).
٦٣٢ - الإحياء (١٥/٤).

---

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي المدني، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد (ت٩٤هـ) بالمدينة، ن: صفة الصفوة (٧٩/٢، ٨٠) وتهذيب الأسماء (٢١٩/١).

٦٣٣ - والأواب الذي أقلع عن الذنب فلم يعد أبدًا، وقد سمى داود عليه السلام أوابًا وغيره من المرسلين.

• ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

٦٣٤ - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئًا لعياله، فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء.

• ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ... ﴿٣٥﴾ ﴾

٦٣٥ - وما القسطاس المستقيم؟

قلت: هي الموازين الخمس (١) التي أنزلها اللَّه في كتابه وعلم أنبياءه الوزن بها، فمن تعلم من رسول اللَّه ﷺ ووزن بميزان اللَّه فقد اهتدى، ومن ضل عنها إلى الرأي والقياس فقد ضلَّ وتردى.

• ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

٦٣٦ - ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ المراد بالآية: منع الشاهد عن جزم الشهادة إلا بما يتحقق.

٦٣٧ - ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ المراد من الآية: منع الشاهد عن جزم الشهادة بما لم يبصر ولم يسمع، والفتوى بما لم يرو ولم ينقله العدول.

٦٣٨ - ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه... والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح.

---

٦٣٣ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٣).

٦٣٤ - الإحياء (٢/٣٧٠).

٦٣٥ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٨).

٦٣٦ - المستصفى (١/١٤٦). ٦٣٧ - نفسه (١/١٥٥).

٦٣٨ - الإحياء (٣/٤٤).

---

(١) قال الإمام الغزالي: فاعلم أن موازين القرآن في الأصل ثلاثة: ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعائد، لكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إلى الأكبر والأوسط والأصغر، فيصير الجميع خمسة... إلخ، انظر القسطاس المستقيم، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) (ص ١٢) فما بعد.

• ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

٦٣٩ – لو كان مع ذي العرش آلهة ﴿ لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ومعلوم أنهم لم يبتغوا، فيلزم نفي إلهية سوى ذي العرش.

• ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴿٤٦﴾ ﴾

٦٤٠ – يغار على كلامه أن يُسمعه إلا لأهل خاصته، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾.

• ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا... ﴿٥٩﴾ ﴾

٦٤١ – معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها.

فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم؟

• ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

٦٤٢ – فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذي تنبه به على البهجة وألحقه بسببه بعالم الملائكة، حتى تأهل به لمعرفة بارئه ومبدعه بالنظر في مخلوقاته واستدلاله على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من حكمة وأمانة، قال الله العظيم: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

٦٤٣ – لا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه سبحانه... والكرامة فائضة منه على خلقه، وضنون [1] إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى، وعليه دلَّ قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾.

---

٦٣٩ – القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٢٧).
٦٤٠ – روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٥٥).
٦٤١ – الإحياء (٣٤٣/١).
٦٤٢ – الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٤٢).
٦٤٣ – المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (ص ١٢٥).

---

(١) الضِّن: الشيء النفيس، ن: اللسان (ضنن).

٦٤٤ - كرامة الله تعالى للنفس الناطقة فحسب، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾.

وهذه الكرامة للمؤمنين خاصة؛ لأن علامة النطق الإيمان، ومن لم يختص بشرف النطق لم ينل كرامة الله تعالى؛ لأنه قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

• ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ... ﴿٧٥﴾ ﴾

٦٤٥ - أي: ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة.

• ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا... ﴿٧٧﴾ ﴾

٦٤٦ - السنة يعبر بها عن الطريقة والشريعة بدليل قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾.

• ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ... ﴿٧٨﴾ ﴾

٦٤٧ - قال القاضي في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ من هذا الجنس - أي من صيغ التعليل؛ لأن هذا لام التعليل، والدلوك لا يصلح أن يكون علة، فمعناه: صلِّ عنده فهو التوقيت.

وهذا فيه نظر؛ إذ الزوال والغروب لا يبعد أن ينصبه الشرع علامة للوجوب، ولا معنى لعلة الشرع إلا العلامة المنصوبة، وقد قال الفقهاء: الأوقات أسباب؛ ولذلك يتقرر الوجوب بتكررها ولا يبعد تسمية السبب علة.

• ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ... ﴿٧٩﴾ ﴾

٦٤٨ - أمر.

• ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي... ﴿٨٥﴾ ﴾

٦٤٩ - الروح أمر رباني، به وصفه الله تعالى؛ إذ قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ

---

٦٤٤ - المعارف العقلية (ص ٣٨).
٦٤٥ - الإحياء (١/٣٤٤).
٦٤٦ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢٧٨، ٢٧٩).
٦٤٧ - المستصفى (٢/٢٨٨، ٢٨٩).
٦٤٨ - أيها الولد (ص ١١٣).
٦٤٩ - الإحياء (٣/٢٧٩).

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ أو معنى كونه ربانيًا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره؛ إذ لم يظهره رسول اللَّه ﷺ (١).

٦٥٠ - إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق.

٦٥١ - اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الذي هو أحد معنى القلب وهو الذي أراده اللَّه تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك فهم حقيقته.

٦٥٢ - هذا الروح ليس بجسم ولا عرض؛ لأنه من أمر اللَّه تعالى كما أخبر بقوله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾.

وأمر اللَّه تعالى ليس بجسم ولا عرض، بل هو جوهر ثابت دائم لا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت، بل يفارق البدن وينتظر العود إليه يوم القيامة كما ورد به الشرع، وهذا الروح يتولد منه صلاح البدن وفساده، والروح الحيواني وجميع القوى كلها من جنوده، فإذا فارق الروح الحيواني البدن، تعطلت أحوال القوى الحيوانية فيسكن المتحرك فيقال لذلك موت، وإن كان الروح من أمر اللَّه تعالى في البدن كالغريب، فاعلم أنه لا يحل في محل ولا يسكن في مكان، وليس البدن مكان الروح ولا محل القلب، بل البدن آلة الروح، واللَّه أعلم.

• ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ... ﴿٩٧﴾ ﴾

٦٥٣ - معناه: عميًا عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين وعن أيمانهم، وليس العمى الكلي إرادتهم؛ لأنه لا خلاف أنهم ينظرون السماء تنشق بالغمام، والملائكة تنزل والجبال تسير، والكواكب تنثر.

---

٦٥٠ - الإحياء (٤/٣٢٤).

٦٥١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٠).

٦٥٢ - نفسه (ص ٤٥، ٤٦).

٦٥٣ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢١).

---

(١) حديث: أنه ﷺ لم يظهر سر الروح: أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود، كتاب العلم، باب قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (١/٤٠) حديث رقم (١٢٥).

• ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ... ﴿١١٠﴾ ﴾

٦٥٤ - الرحمن أخص من الرحيم؛ ولذلك لا يسمى به غير اللَّه، والرحيم قد يطلق على غيره، فهو من هذا الوجه قريب من اسم اللَّه الجاري مجرى العلم، وإن كان هذا مشتقًّا من الرحمة قطعًا؛ ولذلك جمع اللَّه بينهما فقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾. فلزم من هذا الوجه، ومن حيث منعنا الترادف في الأسماء المحصاة، أن يفرق بين معنى الاسمين، فبالحريّ أن يكون المفهوم من الرحمن نوعًا من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد، وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولًا، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانيًا، والإسعاد في الآخرة ثالثًا، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعًا.

تنبيه: حظ العبد من اسم الرحمن: أن يرحم عباد اللَّه تعالى الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى اللَّه بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء، وأن تكون كل معصية تجري في العالم كمعصية له في نفسه، فلا يألو جهدًا في إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصي أن يتعرض لسخط اللَّه تعالى ويستحق البعد عن جواره. وحظه من اسم الرحيم: أن لا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك فقيرًا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله أو جاهه، أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك فيعنيه بالدعاء وإظهار الحزن لسبب حاجته رقة عليه وعطفًا، حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته.

• ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا... ﴿١١٠﴾ ﴾

٦٥٥ - قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾: أي بدعائك [1].

* * *

٦٥٤ - المقصد الأسنى (ص ٦٢). ٦٥٥ - الإحياء (١/٣٦٣).

(١) روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « أُنزل ذلك في الدعاء »، ن: كتاب التفسير باب ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (٥/٢٢٩) حديث رقم (٤٣٢٧).

* سُورَةُ الكَهفِ *

• ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾

٦٥٦ – قيل: معناه: أيهم أزهد فيها، فوصف الزهد بأنه أحسن الأعمال.

• ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ ﴾

٦٥٧ – ال ابن عباس ﷺ : ما آتى اللّه ﷻ عبدًا علمًا إلا شابًّا، والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢].

• ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا... ۝١٤ ﴾

٦٥٨ – أما ترى أصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول أعمارهم قاموا وقالوا: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ والتجأوا إليه، كيف قبلهم ثم أعزهم وأكرمهم، فقال: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾، وكيف أعظم لهم الحرمة، وألبسهم المهابة والخشية حتى يقول لأكرم الخلق ﷺ: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨]، بل كيف أكرم كلبًا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات، ثم جعله معهم في الدنيا محجوبًا، ويدخل في الآخرة الجنة مكرمًا، فهذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه أيامًا معدودة من غير عبادة أو خدمة، فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة؟ ولو عاش سبعين ألف سنة كان قاصدًا العبودية.

• ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم... ۝٢٨ ﴾

٦٥٩ – اعلم أن لفظة الصبر من طريق اللغة: الحبس، قال اللّه تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾: احبس نفسك معهم.

• ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا... ۝٢٩ ﴾

٦٦٠ – ولم يقل: يحيط بهم، وهو معنى من قال: إن الجنة والنار مخلوقتان، وقد

---

٦٥٦ – الإحياء (٤/٢٣٣). ٦٥٧ – نفسه (١/١٦٩).
٦٥٨ – منهاج العابدين (ص ٢٦٢، ٢٦٣). ٦٥٩ – منهاج العابدين (ص ٢٢٤).
٦٦٠ – كتاب الأربعين (ص ٢١٤).

أنطق اللَّه لسانه بالحق، ولعله لا يطلع على سر ما يقوله.

• ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

٦٦١ - غرور الكفار باللَّه: مثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم: إنه لو كان للَّه من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظًّا فيه وأسعد حالًا، كما أخبر اللَّه تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين؛ إذ قال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾، وجملة أمرهما كما نُقل في التفسير: أن الكافر منهما بنى قصرًا بألف دينار، واشترى بستانًا بألف دينار، وتزوج امرأة على ألف دينار، وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول: اشتريت قصرًا يفنى ويخرب، ألا اشتريت قصرًا في الجنة لا يفنى؟ أو اشتريت بستانًا يخرب ويفنى ألا اشتريت بستانًا في الجنة لا يفنى وخدمًا لا يضنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت؟ وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول: ما هنالك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب! وإن كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا.

• ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا... ﴾

٦٦٢ - قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾: **إن الصغيرة:** التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، **والكبيرة:** القهقهة بذلك. وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر.

٦٦٣ - عن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال: **الصغيرة:** التبسم، **والكبيرة:** الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟

• ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

٦٦٤ - العلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية، كما للخضر ؛ حيث أخبر اللَّه تعالى عنه فقال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾.

٦٦٥ - هذا هو العلم الرباني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضه بوسائط تعليم الخلق، فلا يسمى ذلك علمًا لدنيًّا، بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج.

---

٦٦١ - الإحياء (٤٠٣/٣).
٦٦٢ - نفسه (٢٧/٣).
٦٦٣ - نفسه (٣٧٨/٢).
٦٦٤ - الرسالة اللدنية، ضمن المجموعة، (٣) (ص ١٠٦).
٦٦٥ - الإحياء (١٤٠/٣).

• ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

٦٦٦ - ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ أراد به صفات الربوبية، وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في أوان الاستحقاق.

٦٦٧ - مهما أشار المعلم في طريق التعلم بما يراه المتعلم عين الخطأ، ويعتقده قطعًا، فليتهم نفسه وليصبر، وليتبع معلمه، فإن خطأ معلمه خير من صواب نفسه، كسالك الطريق يكون قد استفاد بالتجربة ما يتعجب المبتدئ منه.

وعلى هذا نبه الله تعالى في قصة الخضر مع موسى: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] إلى قوله: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ثم لم يصبر وراجعه، وراده إلى أن قال: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨].

ثم نبه على أسرار ما استبعده كما ورد به القرآن، فعرَّف الله موسى أن المعلَّم يعلم ما لا ينتهي إليه عقل المتعلم ووهمه.

وبالجملة: فكل متعلم لم يتبع مراسم معلمه في طريق التعلم فاحكم عليه بالإخفاق وقلة النجح.

• ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ... ﴿٨٤﴾ ﴾

٦٦٨ - قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض.

• ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾

٦٦٩ - أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾، وإن كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين، فالإجماع على أنه ليس برسول، وهو خلاف المسطور في الآية.

---

٦٦٦ - الإحياء (١/٣٤٥).
٦٦٧ - ميزان العمل (ص ٣٤٥، ٣٤٦).
٦٦٨ - الإحياء (٤/٣٢٢).
٦٦٩ - الإملاء عن إشكالات الإحياء، ملحق بالإحياء (٥/٤٠).

• ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

٦٧٠ - يرجع إلى العُجْب بالعمل.

• ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى... ﴿١٠٩﴾ ﴾

٦٧١ - إن المفسرين يقولون في قوله تعالى: ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾: إن هذه الكلمات التي يقول الله تعالى لأهل الجنة في الجنة باللطف والإكرام.

• ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

٦٧٢ - النبي إذا شارك الناس في البشرية والإنسانية من حيث الصورة، فقد باينهم من حيث المعنى؛ إذ بشريته فوق بشرية الناس لاستعداد بشريته لقبول الوحي ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ أشار إلى طرف من المشابهة من حيث الصورة ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ أشار إلى طرف المباينة من حيث المعنى.

٦٧٣ - روى طاوس وغيره من التابعين أن رجلًا سأل النبي ﷺ عمن يصطنع المعروف - أو قال يتصدق - فيحب أن يحمد ويؤجر، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١)، وقصد الحمد والأجر جميعًا.

٦٧٤ - ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس، وكن حذرًا مشفقًا من هذا الشرك.

٦٧٥ - إن الإنسان عند الشركة أبدًا في خطر، فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالًا؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ أي: لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط.

---

٦٧٠ - الإحياء (٣/٣٨٩).
٦٧١ - منهاج العابدين (ص ٣٥٠).
٦٧٢ - معارج القدس (ص ١٣٢).
٦٧٣ - الإحياء (٤/٤٠٦)، (٣/٣١٠).
٦٧٤ - نفسه (١/١٧٩).
٦٧٥ - نفسه (٤/٤٠٧).

---

(١) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاوس مرسلًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٤٠٦).

ورواه ابن أبي حاتم من رواية طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئًا حتى نزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، ن: تفسير ابن كثير (٣/١٣٣).

٦٧٦ - ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ ﴾ أراد به الإخلاص.

٦٧٧ - قال الحسن البصري: إن أقوامًا ألهتْهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة، يقول: إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾.

* * *

* سُورَةُ مَرْيَمَ *

• ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾

٦٧٨ - ترد الباء بمعنى في، كقوله تعالى: ﴿ بِدُعَآئِكَ ﴾، وقيل معناه: لأجل دعائك، وقيل معناه: لسبب دعائك.

• ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾

٦٧٩ - قيل في تفسير ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾: أي: بجد واجتهاد، وأخذه بالجد أن يكون متجردًا له عند قراءته منصرف الهمة إليه من غيره.

٦٨٠ - قال ابن عباس ﵄: ما آتى اللّٰه ﷿ عبدًا علمًا إلا شابًّا، والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢].

• ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ... ﴿١٥﴾ ﴾

٦٨١ - يحيى بن زكرياء ﵇ فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء، فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه، فقال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ ﴾.

• ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾

٦٨٢ - قد كان اللّٰه قادرًا على تحصيل الرطب لمريم من غير هزٍّ، كما قال في النظم البديع:

---

٦٧٦ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٢٣). ٦٧٧ - منهاج العابدين (ص ٢٧٣).
٦٧٨ - المنخول (٨٢). ٦٧٩ - الإحياء (٣٣٢/١).
٦٨٠ - نفسه (١٦٩/١). ٦٨١ - نفسه (٣٦١/٤).
٦٨٢ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٢٧).

ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع يسّاقط الرطب
ولو شاء أجنى الجذع من غير هزها ولكنما الأشياء تجري لها سبب

• ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ﴾

٦٨٣ – كان عيسى عليه السلام من المفضلين، ولإدلاله سلم على نفسه: فقال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ﴾ وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس.

• ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ ﴾

٦٨٤ – الولد وإن كان فرعًا، فلربما صار بمزيد العلم أصلًا، لذلك قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾.

• ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ... ٥٤ ﴾

٦٨٥ – قد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾ قيل: إنه وعد إنسانًا في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي، فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يومًا في انتظاره.

• ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ﴾

٦٨٦ – أخبر أن أشد أهل النار عذابًا أشدهم عتيًا على الله تعالى فقال: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴾.

• ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ... ٧٢ ﴾

٦٨٧ – قال ﷺ: « **يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيامة: يا آدم ابعث من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين** » (٢).

هذا الحديث صحيح، ولكن ليس المعنى به أنهم كفار مخلدون، بل إنهم يدخلون النار يعرضون عليها ويتركون فيها بقدر معاصيهم، والمعصوم من المعاصي لا يكون في الألف

---

٦٨٣ – الإحياء (٣٦١/٤).
٦٨٤ – نصيحة من الإمام الغزالي (ص ٣٨).
٦٨٥ – الإحياء (١٤١/٣).
٦٨٦ – نفسه (٣٦٤/٣).
٦٨٧ – فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٤٣).

---

(١) رواه البخاري، ن: كتاب الأنبياء، حديث رقم (٣٣٤٨).

إلا واحدًا، وكذلك قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾.

٦٨٨ - ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾، أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه.

• ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾

٦٨٩ - روي عن خباب بن الأرت [١] أنه قال: « كان لي على العاص بن وائل [٢] دين فجئت أتقاضاه، فلم يقض لي، فقلت: إني آخذه في الآخرة، فقال لي: إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالًا وولدًا أقضيك منه، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ » [٣].

• ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾

٦٩٠ - كان الحسن البصري يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله ﷻ، رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾

٦٩١ - قرأ الحسن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾، قال: يحببهم إلى المؤمنين.

* * *

٦٨٨ - الإحياء (٦٩/٣).
٦٨٩ - نفسه (٤٠٤/٣).
٦٩٠ - الإحياء (٤٨٨/٤).
٦٩١ - منهاج العابدين (٢٩٥).

(١) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن مسعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ويقال الخزاعي أبو عبد الله، أسلم قديمًا وكان من المستضعفين، عذب عذابًا شديدًا لإظهار إسلامه، روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو أمامة وابنه عبد الله بن خباب وآخرون. (ت ٣٧ هـ) بالكوفة، ن: الإصابة (١٠١/٢) رقم (٢٢٠٢) وسير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢).

(٢) هو ابن هشام السهمي والد عمرو بن العاص، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام وظل على الشرك، ويعد من المستهزئين والزنادقة الذين ماتوا على الكفر. (ت٣ ق هـ)، ن: الكامل لابن الأثير (٤٩/٢) والأعلام للزركلي (٢٤٧/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ن: كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] حديث رقم (٤٧٣٢).

* سُورَة طــه *

• ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾

٦٩٢ - روي عن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن الاستواء، فقال: « الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة » [(١)].

٦٩٣ - الاستواء حق، والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة، والكيفية مجهولة.

٦٩٤ - وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهًا عن المماسة [(٢)] والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال.

لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء، كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد.

٦٩٥ - اعلم أن من أجرى الاستواء على العرش على ما ينبئ عنه ظاهر اللفظ - وهو الاستقرار على العرش - فقد التزم التجسيم، وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على التجسيم أيضًا، وإن قطع باستحالة الاستقرار على العرش فقد تأول الظاهر، وهو اعتقاد أهل الحق.

---

٦٩٢ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٢٩، ١٣٠)، والقسطاس المستقيم ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٥٤).

٦٩٣ - الرسالة الوعظية، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٥٨).

٦٩٤ - الإحياء (١٠٨/١).

٦٩٥ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٩).

---

(١) قال سفيان بن عيينة: « سأل رجل مالكًا فقال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًا حتى علاه الرُّحضاء، وما رأيت مالكًا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينظرون ما يأمر به، ثم سرى عنه فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالًا، أخرجوه، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له »، ن: ترتيب المدارك (٣٩/٢)، ون: درء تعارض العقل والنقل (٢٧٨/١).

(٢) أي منزهًا عن المس، ن: اللسان (مسس).

٦٩٦ - فيعلم قطعًا أنه ما أراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة الأجسام، ولا ندري ما الذي أراده، ولم نكلف معرفته.

٦٩٧ - المتشابه: ما عسر إجراؤه على ظاهره كآية الاستواء، وإليه ميل ابن عباس رضي الله عنهما.

• ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ ﴾

٦٩٨ - ﴿ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ أي دُمْ على ما أنت عليه من البحث والطلب، فإنك على هداية ورشد.

والوادي المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع اللَّه تعالى في الوادي، وإنما تقدس الوادي بما أنزل فيه من الذكر، وسمع كلام اللَّه تعالى، وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وإلا فالمقصود ما حذف لا ما ظهر بالقول؛ إذ المواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف.

ومعنى ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ ﴾ أي: سر بقلبك لما يوحى، فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العز [تنادى] [1] بما نودي به موسى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ أي: فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعرفة وارتياح سلوك الطريق وإشارات قرب الوصول، وسر القلب كما [يقال] [2]: أذن الرأس ووسع الآذان.

و ﴿ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ أي: ما يرد من اللَّه تعالى بواسطة الملك، أو إلقاء في روع، أو مكاشفة بحقيقة، أو ضرب مثل مع العلم بتأويله...

ما نودي به موسى: هو علم التوحيد التي وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له: يا موسى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾.

٦٩٩ - ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ ظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيمًا للصلاة لذكره؟

---

٦٩٦ - إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٠٨).

٦٩٧ - المنخول (ص ١٧١).

٦٩٨ - الإملاء عن إشكالات الإحياء: ملحق بالإحياء (٣٨/٥، ٣٩).

٦٩٩ - الإحياء (١٨٩/١).

(١، ٢) في الأصل المطبوع: « تنادي » ولعل الصواب ما أثبته.

٧٠٠ - قوله ﷺ: « **من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها** » (١) وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾، وهذا خطاب مع موسى ﷺ.

قلنا: ما ذكره ﷺ تعليلًا للإيجاب، لكن أوجب بما أوحي إليه ونبه على أنهم أُمروا كما أُمر موسى ﷺ.

وقوله: ﴿لِذِكۡرِيٓ ﴾ أي: لذكر إيجابي للصلاة، ولولا الخبر لكان السابق إلى الفهم أنه لذكر اللَّه تعالى بالقلب أو لذكر الصلاة بالإيجاب.

• ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا... ﴿١٥﴾ ﴾

٧٠١ - قال المفسرون: على نفسي (٢)، فإنه أخفاها تحقيقًا عن غيره.

• ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ... ﴿٢٢﴾ ﴾

٧٠٢ - ولفظ التوراة: « وهنا يا ذو مطورا عث كالشولغ »، وتفسير هذا اللفظ العبراني بالعربية: وهذه يدك برصاء كالثلج. صرحت التوراة بالبرص، وصرح الكتاب العزيز بأن بياضها من غير سوء، وفي القلب حسكة من ذلك في بادئ الرأي، لكن الجمع على الممارس الفهم غير عسر.

وبيانه: أن البرص عبارة عن عرض ينشأ عن سوء مزاج يحصل بسببه، كلزج بلغم تضعف القوة المغيرة عن إحالته إلى لون الجسد.

ومعلوم أن بياض يد موسى ﷺ، ما نشأ عن سوء مزاج؛ لأن كل أحد إذا ساء مزاجه على نهج ما وصفناه حصل له ذلك، وإذا قويت القوة المغيرة أحالته.

وحينئذ تذهب خصوصية الإعجاز!! بل بياضها كان من قبيل المعجز الخارق، وشأن المعجز الخارق أن يكون مخالفًا للمعهود المألوف، وإلى هذا المعنى إشارة الكتاب العزيز

---

٧٠٠ - المستصفى (٢٥٩/١).   ٧٠١ - المنخول (ص ١٧١).
٧٠٢ - الرد الجميل (ص ٩٦، ٩٧).

---

(١) في الصحيحين: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: « من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] ن: البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها ولا يعيد إلا تلك الصلاة، حديث رقم (٥٩٧) وصحيح مسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب الفائتة واستحباب تعجيله.

(٢) قال الضحاك عن ابن عباس: إنه كان يقرؤها: أكاد أخفيها من نفسي. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: من نفسه. وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع وغيرهم. ابن كثير (١٧٦/٣، ١٧٧).

بقوله: ﴿ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ﴾.

أي: أن الله تعالى أقدر موسى على أن يجعل يده برصاء من غير سوء وأن يردها إلى لون جسده من غير قوة مغيرة، ليحصل له بذلك خصوصية بإجراء المعجز الخارق المخالف للمعهود على يده.

وإنما يكون معجزًا مخالفًا للمعهود، إذا أتى بالسبب منفكًا عن سببه العادي الذي لا ينشأ إلا عنه.

• ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ ﴾

٧٠٣ - إذا لم يستغن الأنبياء عليهم السلام عن الوزراء، واحتاجوا إليهم كان غيرهم من الناس أحوج.

• ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤ ﴾

٧٠٤ - الباريء تعالى لما أرسل موسى إلى فرعون بأمره قال عز من قائل: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ وإذا كان الحق ﷻ أمر نبيه عليه السلام أن يقول لعدوه قولًا لينًا، فالناس أجدر أن يلينوا أقوالهم.

٧٠٥ - ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ يعني: قول من يرتجى أنه يتذكر أو يخشى وهذا على قدر فهم الخطاب.

• ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾

٧٠٦ - **الهادي**: هو الذي هدى خواص عباده أولًا إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على معرفة ذاته، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته.

فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله، والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه، والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواها له، وشرح ذلك يطول (١)، وعنه عبر قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣].

---

٧٠٣ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٨٧).

٧٠٤ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٠). ٧٠٥ - المنخول (ص ٩١).

٧٠٦ - المقصد الأسنى، طبعة دار الكتب العلمية (ص ١١٦).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ من سورة الفاتحة.

٧٠٧ - فالخلق دون الهداية لا يفضي إلى خير؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾.

• ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾

٧٠٨ - القرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ كان كافيًا؛ إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها.

• ﴿ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

٧٠٩ - اعلم أن العزم عبارة عن القصد المؤكد، قال اللّه تعالى: ﴿ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ أي: قصدًا بليغًا، وسمي بعض الرسل: أولي العزم لتأكد قصدهم في طلب الحق. والعزيمة في لسان حملة الشرع: عبارة عما لزم العباد بإيجاب اللّه تعالى.

• ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾

٧١٠ - أنكر الأكثرون من المسلمين عصمة الأنبياء [(١)]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾.

٧١١ - قالت طوائف من أصحابنا: العصمة لا تثبت للنبي من الصغائر [(٢)]، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾.

---

٧٠٧ - مقاصد الفلاسفة (ص ٣٧٤). ٧٠٨ - الإحياء (١٧٩/٤).
٧٠٩ - المستصفى (٩٨/١). ٧١٠ - فضائح الباطنية (ص ١١٥).
٧١١ - نفسه (ص ١٤٨).

---

(١) قال محقق المنخول: محمد حسن هيتو: « الأكثر من المسلمين على أنه لا يمتنع عقلًا عن الأنبياء عليهم السلام قبل الرسالة معصية: كبيرة كانت أو صغيرة، وخالف الروافض فذهبوا إلى امتناعها، والمعتزلة إلا في الصغائر، وشبه الفريقين التحسين والتقبيح العقليين.
والإجماع منعقد على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام لدلالة المعجزة على الصدق، وجوزه القاضي غلطًا؛ لأن الغلط والنسيان غير داخلين تحت التصديق المقصود بالمعجزة، وأما غيره من المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الدالة على الخسة، والأكثر على جواز غيرها.
واختار ابن السبكي مع والده رأي الأستاذ أبي إسحاق، والقاضي عياض وأبي الفتح الشهرستاني امتناع الكل على كل وجه من العمد والسهو. رفع الحاجب (١/ق ١٤٧ ب) ن: هامش المنخول (ص ٢٢٣).
(٢) قال الإمام الغزالي: « قد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر، وأما الصغائر، ففيه تردد العلماء، والغالب على الظن وقوعه، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات » المنخول (ص ٢٢٣).

• ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾

٧١٢ - ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

آيات اللَّه حكمته في خلقه، وقد أُلقيت إلى الخلق على لسان الأنبياء - صلوات اللَّه عليهم - كما فصلت في جملة الشريعة من أولها إلى آخرها، وما من حد من حدود الشرع إلا وفيه سر وخاصية وحكمة، يعرفها من يعرفها، وينكرها من يجهلها.

٧١٣ - قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « **المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعًا، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون في ماذا أنزلت: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾** »؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: « **عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا، هل تدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية تسعة وتسعون رؤوس يخدشونه ويلحدونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون** » (١).

ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر، والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإن لها أصولًا معدودة، ثم تتشعب منها فروع معدودة، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام. وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات، وهي بأعيانها تنقسم فروعها إلى أقسام. وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات، وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينها يؤذي إيذاء الحية.

وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة، هذه المهلكات وانشعاب فروعها، إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها

---

٧١٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٧٠).

٧١٣ - الإحياء (٥٣٢/٤)، وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٢) مع الاقتصار على الحديث الذي رواه ابن حبان.

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان. وقال الزبيدي: رواه كذلك ابن أبي الدنيا في الموت، والحكيم في النوادر وأبو يعلي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه والآجري وابن منده. ن: المغني (٥٣٤/٤) والإتحاف (٣١٤/١٤).

فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم.

٧١٤ - ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ أي: تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها، فإن المقصر في الأمر يقال: إنه نسي.

• ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

٧١٥ - معناه: لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزامًا ولولاه لكان نصبًا كاللزام.

• ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا... ﴿١٣٠﴾ ﴾

٧١٦ - قال جرير بن عبد الله البجلي: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: « **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون من رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا** » ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ ﴾ وهو مخرج في الصحيحين.

• ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴿١٣١﴾ ﴾

٧١٧ - عن أبي رافع أنه قال: ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر وقال: « **قل له: يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقًا إلى هلال رجب** » قال: فأتيته فقال: لا والله إلا برهن، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: « **أما والله إني لأمين في أهل السماء، أمين في أهل الأرض، ولو باعني أو سلفني لأديت إليه، اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه** » فلما خرجت نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١) وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا.

• ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ... ﴿١٣٢﴾ ﴾

٧١٨ - يروى عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا أصاب أهلَهُ خصاصةٌ قال: « **قوموا إلى الصلاة** » ويقول: « بهذا أمرني ربي ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ ﴾ (٢).

---

٧١٤ - الإحياء (١/٣٣٩). ٧١٥ - نفسه (١/٣٤٤).
٧١٦ - نفسه (٤/٥٧٨). ٧١٧ - نفسه (٤/٢٠٧).
٧١٨ - نفسه (٤/٢٦٠) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٨٠).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني بسند ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٢٠٧).
(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام =

* سُورَةُ الأَنبِيَاءِ *

• ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (١)

• ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا... ۝ ﴾

٧١٩ - اللَّه ﷻ واحد لا شريك له، فرد لا ند له، انفرد بالخلق والإبداع واستند بالإيجاد والاختراع، لا مثل له يساهمه ويساومه، ولا ضد له فينازعه ويناوئه، وبرهانه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وبيانه أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمرًا، فالثاني إن كان مضطرًا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورًا عاجزًا، ولم يكن إلهًا قادرًا، وإن كان قادرًا على مخالفته ومدافعته، كان الثاني قويًّا قاهرًا، والأول قاصرًا ولم يكن إلهًا قادرًا.

٧٢٠ - لو كان للعالم إلهان لفسد، فهذا أصل، ومعلوم أنه لم يفسد، وهذا أصل آخر، فيلزم عنهما نتيجة ضرورة وهي نفي أحد الإلهين.

٧٢١ - قوله: ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ لازم، وملزوم قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ولزمت النتيجة من نفي اللازم.

٧٢٢ - إن اجتماع المدبرين سبب إفساد التدبير... وإن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين، فكيف ينتظم في كل العالم؟

٧٢٣ - عمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.

• ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝ ﴾

٧٢٤ - السؤال قد يطلق ويراد به الإلزام، يقال: ناظر فلان فلانًا وتوجه عليه لسؤاله،

---

٧١٩ - الإحياء (١٢٩/١).
٧٢٠ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٢٧) والمستصفى (٢٣٩/١).
٧٢١ - القسطاس المستقيم ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٣٠).
٧٢٢ - إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٨٣ - ٨٧).
٧٢٣ - الإحياء (١١٥/١).
٧٢٤ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٣٩).

= وقال: « كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية » ن: المغني بهامش الإحياء: (٢٦٠/٤).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

وقد يطلق ويراد به الاستخبار، كما يسأل التلميذ أستاذه.

والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الإلزام، وهو المعني بقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ إذ لا يقال له: لم؟ قول إلزام. فأما أن لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك، وهو المراد بقوله: ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٥].

• ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا... ﴿٣٠﴾ ﴾

٧٢٥ - **الأول** [1]: انطباق فلك البروج على معدل النهار، والفتق بعد الرتق: ظهور الليل.

• ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

٧٢٦ - الرشد نعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند [2] توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده، ويكون ذلك من [3] الباطن كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ **فالرشد**: عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها.

• ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴿٧٩﴾ ﴾

٧٢٧ - سمى ما آتاهما علمًا وحكمًا، وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدمًا على الحكم والعلم.

٧٢٨ - ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ خص ما انكشف باسم الفهم.

• ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ... ﴿٨٠﴾ ﴾

٧٢٩ - روي أن داود ﷺ كان يخرج متنكرًا يطوف في الآفاق يسأل عن سيرة داود فيهم، فتعرض له جبريل ﷺ على صورة آدمي فسأله عن سيرته، فقال جبريل: نعم الرجل داود ونعم السيرة سيرته غير أنه يأكل من بيت مال المسلمين ولا يأكل من كد يده.

فرجع باكيًا متضرعًا إلى محرابه يسأل ربه تعالى أن يعلمه صنعة يأكل منها فعلمه

٧٢٥ - المضنون به على غير أهله (ص ١٢٣).
٧٢٦ - الإحياء (٤/١١٤) وميزان العمل (ص ٣٠٣).
٧٢٧ - الإحياء (١/٣٤٢).
٧٢٨ - نفسه (٣/٢٦).
٧٢٩ - فضائح الباطنية (٢١١).

(١) أي: الرتق.
(٢) كذا في الإحياء، وفي ميزان العمل: « على ».
(٣) كذا في الإحياء، وفي ميزان العمل: « في ».

صنعة الدروع، وألان له الحديد، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾.

• ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

٧٣٠ - يونس - عليه الصلاة والسلام - غضب غضبة واحدة في غير موضعها، فسجنه في بطن الحوت تحت قعر البحار أربعين يومًا وهو ينادي: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وسمعت الملائكة صوته فقالوا: إلهنا وسيدنا، صوت معروف في موضع مجهول، قال تعالى: ذلك عبدي يونس. فشفعت الملائكة فيه.

• ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

٧٣١ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ قال بعض اليهود: أنا أخصم لكم محمدًا فجاءه وقال: قد عُبدت الملائكة وعُبد المسيح، فيجب أن يكونوا من حصب جهنم، فأنزل الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١).

• ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

٧٣٢ - من قبل شرعه، واتبع دينه، وأطاع أمره، فهو في الدنيا مرحوم، وفي الآخرة مسعود، منعم، مكرم أبد الآبدين برحمة رب العالمين.

وما كان محمد بذاته رحمة بل كان بنبوته وشريعته رحمة.

ونبوته ما كانت مختصة بل كانت شاملة لجميع الأنبياء - صلوات الله عليهم - كما قال سبحانه: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وهو خاتم النبيين وأفضلهم.

* * *

٧٣٠ - منهاج العابدين (ص ٢٦٠). ٧٣١ - المستصفى (٢/٤٤).
٧٣٢ - المعارف العقلية (ص ٨٤).

(١) عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعري إلى النبي ﷺ فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ فقال ابن الزبعري: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ثم نزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث المختارة، ن: تفسير ابن كثير (٣/٢٤٢).

* سُورَةُ الحَجّ *

• ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾

٧٣٣ - لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: « **أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام: قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة** » قال: فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: « **ما لكم لا تعملون؟** » فقالوا: ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا؟ فقال: « **كم أنتم في الأمم؟ أين تأويل وثاريت ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى؟ إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الدابة** »[1].

• ﴿ خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ... ۝٥ ﴾

٧٣٤ - عنى به الإنسان التوالدي.

• ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥ ﴾

٧٣٥ - قال ابن مسعود ﷺ: ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

٧٣٦ - قيل في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾: إن الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد.

• ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ ﴾

٧٣٧ - قال قتادة: لما أمر الله ﷻ إبراهيم - صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل

---

٧٣٣ - الإحياء (٤/١٥٨).
٧٣٤ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٠).
٧٣٥ - الإحياء (١/٢٩٠).
٧٣٦ - نفسه (٢/٨٣).
٧٣٧ - نفسه (١/٢٨٦).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث رقم (٣٣٤٨) وأخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال: حسن صحيح، كتاب أبواب التفسير، حديث رقم (٣١٨٠) (٥/١١٤، ١١٥).

عبد مصطفى - أن يؤذن في الناس بالحج نادى: يا أيها الناس إن الله ﷻ بنى بيتًا فحجوه.

• ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ... ﴿٢٨﴾ ﴾

٧٣٨ - قيل: التجارة في الموسم والأجر في الآخرة، ولما سمع بعض السلف هذا، قال: غفر لهم ورب الكعبة.

• ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

٧٣٩ - ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ ﴾ **والتفث**: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار.

٧٤٠ - قوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ لا يتناول طواف المحدث الذي نهي عنه، لأن النهي عنه لا يكون مأمورًا به.

الطواف مشروع بقوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ ولكن وقوعه في حالة الحدث مكروه.

• ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ... ﴿٣٢﴾ ﴾

٧٤١ - قيل في تفسير قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾: إنه تحسينه وتسمينه.

• ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

٧٤٢ - **الإخبات**: هو الإذعان والانقياد للحق بسهولة.

• ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ... ﴿٣٧﴾ ﴾

٧٤٣ - أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة.

٧٤٤ - خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف.

---

٧٣٨ - الإحياء (١/٢٨٦).
٧٣٩ - نفسه (١/٣١٢).
٧٤٠ - المستصفى (١/٩٧).
٧٤١ - الإحياء (١/٣١٣).
٧٤٢ - روضة الطالبين ضمن المجموعة (٢) (ص ١٠٣).
٧٤٣ - الإحياء (١/١٩٠).
٧٤٤ - نفسه (٤/١٦٩).

٧٤٥ - وهي صفة القلب، فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح، ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل؛ لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له.

• ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾

٧٤٦ - قرأ ابن عباس ﵄: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث) يعني: الصديقين، والمحدَّث هو الملهم، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة.

• ﴿ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ... ﴿٥٤﴾ ﴾

٧٤٧ - **الإخبات:** هو الإذعان والانقياد للحق بسهولة.

* * *

* سُورَةُ المؤمِنُونَ *

• ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾

٧٥١ - مدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة؛ وهي المقرونة بالخشوع.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾

٧٥٢ - لا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن التفكر، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع، فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها.

• ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

٧٥٣ - وصفهم بالفلاح أولًا، وبوراثة الفردوس آخرًا، وما عندي أن هذرمة [١]

---

٧٤٥ - الإحياء (٣٨٧/٤). ٧٤٦ - نفسه (٢٧/٣).

٧٤٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١٠٣).

٧٥١ - الإحياء (٢٠١/١).

٧٥٢ - بداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٦٧).

٧٥٣ - الإحياء (٢٠١/١).

---

(١) هذرمة: من الهذر، وهو الكلام الذي لا يعبأ به، ن: اللسان (هذر).

اللسان مع غفلة القلب تنتهي إلى هذا الحد.

● ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

٧٥٤ - ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ أي: نفخنا فيه الروح.

٧٥٥ - ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ أي: المقدرين.

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا... ﴿٥١﴾ ﴾

٧٥٦ - قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سدًى، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه.

٧٥٧ - ﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ أمر بالأكل من الطيبات، وقيل: إن المراد به الحلال.

٧٥٨ - ﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ والحرام خبيث وليس بطيب، فقد قرن ﷻ أكل الطيبات بالعبادات.

● ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٧٥٩ - قالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: « **لا، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه** »[1].

٧٦٠ - ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ قال الحسن: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله.

---

٧٥٤ - الإحياء (٢/٥٩). ٧٥٥ - المستصفى (٢/١٣٩).
٧٥٦ - الإحياء (٢/٣). ٧٥٧ - نفسه (٢/١٠١).
٧٥٨ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٤٨، ٤٩).
٧٥٩ - الإحياء (٤/١٧٠). ٧٦٠ - نفسه (٤/٤٣٣).

---

(١) رواه الترمذي. أبواب تفسير القرآن (٥/٩)، حديث رقم (٣٢٢٥).

• ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا... ۝ ﴾

٧٦١ - كان ابن عباس يقول: من مات ولم يزكِّ ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا، وقرأ قوله ﷻ: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ ﴾.

٧٦٢ - عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ ﴾ قال: أي شيء تريد؟ في أي شيء ترغب؟ أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق الأنهار؟ قال: لا ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ ﴾ قال: فيقول الجبار: ﴿ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ أي ليقولنها عند الموت.

• ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ ﴾

٧٦٣ - ووجهها أن اللَّه يحدث في صحائف الأعمال وزنًا بحسب درجات الأعمال عند اللَّه تعالى، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب.

• ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ... ۝ ﴾

٧٦٤ - قال بعض العلماء في قوله: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾: إنها لفحتهم لفحة واحدة، فما أبقت لحمًا على عظم إلا ألقته عند أعقابهم.

• ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝ ﴾

٧٦٥ - قال الأعمش (١): أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال:

---

٧٦١ - الإحياء (٢٩٢/١).
٧٦٢ - نفسه (٥٣٢/٤).
٧٦٣ - نفسه (١٣٦/١).
٧٦٤ - نفسه (٥٦٥/٤).
٧٦٥ - نفسه (٥٦٦/٤).

---

(١) هو سليمان بن مهران الكوفي الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، كان ثقة عالمًا فاضلًا، رأى أنس بن مالك وحكى عنه وعن كثير من التابعين، كما روى عنه خلق كثير؛ منهم أبو حنيفة والأوزاعي وشعبة، ت سنة (١٤٨هـ) ن: وفيات الأعيان (٤٠٠/٢- ٤٠٣) وحلية الأولياء (٤٦/٥- ٦٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢٦/٦).

فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ قال: فيجيبهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل.

• ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ ﴾

٧٦٦ - **الكريم**: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات.

* * *

* سُورَةُ النُّورِ *

• ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ... ۝ ﴾

٧٦٧ - ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ﴾ فإنه كما فهم وجوب الجلد على الزاني وهو المنطوق به، فهم كون الزنا علة الحكم، وكونه علة غير منطوق به، لكن يسبق إلى الفهم من فحوى الكلام.

٧٦٨ - ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ جعل الزنا علة إيجاب المائة، ثم استثنى الإماء فقال: ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥] فدار العبد بين الأمة المخصوصة، وبين القاعدة، فألحقناه بالأمة لمشاركته إياها في الرق الذي هو به ظهر وجه المصلحة في الاستثناء.

٧٦٩ - سمى الزاني زانيًا؛ لأنه مولج فرجه في فرج محرم، فيقاس اللائط في إثبات اسم الزاني حتى [يدخل] (١) في عموم قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾.

• [﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً... ۝ ﴾]

٧٧٠ - نعلم أن الله تعالى لم يوجب على من قذف محصنًا بالزنا إلا ثمانين جلدة، ونعلم أن هذا الحكم يشمل كافة الخلق ويعمهم على وتيرة واحدة، وأنه لو قذف قاذف

---

٧٦٦ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

٧٦٧ - المستصفى (١٨٩/٢).

٧٦٨ - شفاء الغليل (ص ٦٧٠، ٦٧١).

٧٦٩ - المستصفى (٣٨٢/١).

٧٧٠ - فضائح الباطنية (ص ١٤٩).

---

(١) في الأصل المطبوع: « يدل »، والصواب ما أثبته.

أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بالزنا فما زاده على إقامة حد الله تعالى المنصوص عليه في كتابه، ولم يدعوا لأنفسهم التمييز بخاصية في الخروج عن مقتضى العموم.

• ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا... ۝ ﴾

٧٧١ - لا يرجع إلى الجلد، ويرجع إلى الفسق، وهل يرجع إلى الشهادة؟ فيه خلاف.

• [﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ﴾]

٧٧٢ - نزلت آية اللعان: في هلال بن أمية.

• ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾

٧٧٣ - ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾؛ إذ تكلم مسطح بن أثاثة [١] في واقعة الإفك [٢] فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه - وقد كان يواسيه بالمال - فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها، إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة، والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين.

٧٧٤ - لما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح - وكان قريبه - لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ فقال أبو بكر: نعم نحب ذلك، وعاد إلى الإنفاق عليه.

---

٧٧١ - المستصفى (٢/١٧٨).
٧٧٢ - نفسه (٢/ ٦٠).
٧٧٣ - الإحياء (٢/١٨٢).
٧٧٤ - نفسه (٣/١٩٣).

---

(١) هو ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي المهاجري البدري المذكور في قصة الإفك، كان فقيرًا ينفق عليه أبو بكر. ت سنة (٤٣هـ)،ن: تهذيب الأسماء واللغات (٢/٨٩) وسير أعلام النبلاء (١/١٨٧، ١٨٨).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، ن: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (٤٧٥٠). وصحيح مسلم حديث رقم (٥٦) ومسند الإمام أحمد (٦/١٣٦) وتفسير ابن كثير (٣/٣٣٦).

● ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

٧٧٥ - ينادي بهم فردًا فردًا، فيحاسب كل واحد منهم، فإذا الأقدام تشهد، واليدان تشهدان، وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

● ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

٧٧٦ - اعلم أني تأملت هذه الآية فوجدت فيها مع قصرها ثلاثة معانٍ عزيزة: تأديب وتنبيه وتهديد.

فأما التأديب: فقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ولا بد من امتثال أمر السيد والتأدب بأدبه، وإلا فيكون سيئ الأدب فيحجب، فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة، فافهم هذه النكتة، وتأمل ما تحتها، فإنها فيها ما فيها.

وأما التنبيه: فقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ ويطلق على معنيين والله أعلم.

أحدهما: إن ذلك أطهر لقلوبهم، والزكاة: الطهارة، والتزكية التطهير.

والثاني: ذلك أنمى لخيرهم وأكثر، والزكاة في الأصل: النمو، فنبه على أن في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير، وذلك أنك إن لم تغض بصرك وأرخيت عنانه، تنظر إلى ما لا يعنيك، فلا يخلو من أن تقع عينك على حرام، فإن تعمدت فذنب وكبيرة، وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك إن لم يرحم الله تعالى، فلقد روي أن العبد لينظر النظرة ينغل [1] فيها قلبه كما ينغل الأديم في الدباغ، لا ينتفع فيه أبدًا، وإن كان مباحًا، فربما يشتغل قلبك به، فجاءك الوسواس والخواطر بسببه، ولعلك لا تصل إليه، فتبقى مشغول القلب منقطعًا عن الخير، وإن كنت لم ترد ذلك، كنت مستريحًا عن ذلك كله، وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى صلوات الله على نبينا وعليه، أنه قال: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة.

---

٧٧٥ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٢).

٧٧٦ - منهاج العابدين (ص ١٣٣ - ١٣٥).

---

(١) ينغل: على وزن يطرب، أي يفسد، وفي الحديث: « ربما نظر الرجل نظرة فنغل قلبه كما ينغل الأديم في الدباغ فيتثقب » ن: اللسان (نغل).

وقال ذو النون: نِعْمَ - صاحب الشهوات - غض الأبصار! ولقد أحسن القائل:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدًا لقلبك يومًا أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليك ولا عن بعضه أنت صابر
فإياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك المصادر

فإذن لما كنت غاض البصر، حافظًا للعين، لا تنظر لما لا يعنيك ولا يهمك، كنت نقي الصدر، فارغ القلب، مستريحًا عن كثير من الوسواس، سالم النفس عن الآفاق، متزايدًا في الخيرات، فتنبه لهذه النكتة الجامعة واللّه الموفق بمنه وفضله.

وأما التهديد فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

• ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

٧٧٧ - هذا أمر على العموم.

٧٧٨ - **والتوبة**: نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه.

• ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ... ﴿٣٢﴾ ﴾

٧٧٩ - هذا أمر.

٧٨٠ - قال [الإمام الشافعي] [١] في كتاب أحكام القرآن: لم يتبين لي وجوب إنكاح العبد؛ لأنه لم يرد فيه النهي عن العَضْل، بل لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ الآية؛ فهذا أمر، وهو محتمل للوجوب والندب.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ... ﴿٣٣﴾ ﴾

٧٨١ - ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ استحباب.

٧٨٢ - ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ إيجاب.

---

٧٧٧ - الإحياء (٤/٦). ٧٧٨ - نفسه (٤/٤٢٨).
٧٧٩ - نفسه (٢/٢٥). ٧٨٠ - المستصفى (١/٤٢٦).
٧٨١ - المستصفى (٢/٧١). ٧٨٢ - نفسه (٢/٧٢).

---

(١) قال الإمام الشافعي: « ولم أعلم دليلًا على إيجاب إنكاح صالحي العبيد والإيماء كما وجدت الدلالة إنكاح الحرائر إلا مطلقًا؛ فأحب إلي أن ينكح من بلغ من العبيد والإيماء، ثم صالحوهم خاصة. ولا يبين لي أن يجبر أحد عليه؛ لأن الآية محتملة أن تكون أريد بها الدلالة، لا الإيجاب ». ن: أحكام القرآن (١/١٧٦).

• ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

٧٨٣ – شبه اللَّه سبحانه العقل بالنور فقال: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي منورهما.

٧٨٤ – سمى اللَّه العقل نورًا في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾.

٧٨٥ – ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ قال أبي بن كعب ﷺ: معناه: مثل نور المؤمن وقلبه.

٧٨٦ – قرأ ابن مسعود: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ في قَلْب الْمُؤْمِنِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ وقرأ أُبي ابن كعب: ﴿ مَثَلُ نُورِ قَلْبِ مَنْ آمن كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾.

٧٨٧ – إشراق نور الملك على النفوس البشرية، يضاهي إشراق نور السراج على الأجسام المتلونة، أو إشراق نور الشمس عليها، وحصول العلم بنسبة تلك المفردات، يضاهي حصول الإبصار بائتلاف ألوان الأجسام.

ولذلك شبه اللَّه تعالى هذا النور على طريق ضرب مثال محسوس: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾.

وإن بان لك أن النفس جوهر قائم بنفسه ليس بجسم، ولا هو منطبع في جسم كان قوله تعالى: ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ موافقة حقيقة في براءته عن الجهات كلها.

وإن لم يبن لك ذلك بطريق النظر، فيكون تأويل هذا التمثيل على وجه آخر.

٧٨٨ – ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾.

قلنا: المراد بهذا النور العقلي هاهنا أربعة أشياء: المشكاة والزجاجة والمصباح والزيتونة.

---

٧٨٣ – ميزان العمل (ص ٣٣٢). ٧٨٤ – الإحياء (١/٩٩).

٧٨٥ – نفسه (٣/١١).

٧٨٦ – مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٥).

٧٨٧ – معيار العلم في المنطق (ص ٢٢٦).

٧٨٨ – معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٣٥، ١٣٦).

وأما المشكاة فمثالها النفس، ومثال الزجاجة القوة الخيالية، والمصباح كالعقل والزيتونة التي هي الشجرة: العقل الفعال.

ولما كان المصباح - الذي هو النور - لا بد في إظهار ثمرته وحكمته للأجسام من آلة جسمانية تشاكل الأجسام كالنور يفتقر إلى زيت يناسب النار بالحر ويناسب الفتيلة بالرطوبة، فكثيرًا ما قدمنا أن العقل لا يباشر، كانت واسطته النفس فهي المشكاة، ثم كانت النفس لا بد لها من حيلة في معرفة المحسوسات كما قررناه، فجملت له الحكمة الإلهية قوى، فمنها القوة الخيالية التي يرسم فيها ما تورده الحواس، فكان مثالها مثال الزجاجة وإنما خص الزجاج لانطباع المرئيات فهي كالمرآة الصقلية التي يبصر فيها، ولأن الزجاجة أصفى الجواهر من حيث يشف ما وراءها، والأنبياء عليهم السلام يعلمون الغيب بواسطة القوة فيُعَبِّرون الصورة ويفهمونها، ولها علم مختص وهو علم تعبير الرؤيا ينفرد بخواص هذه القوة.

وأما الشجرة: فهي العقل الفعال من حيث انفعلت الأشياء منه. فلما أن المصباح الواحد توقد منه المصابيح لم يقل سبحانه نبت، فإن النبات يدل على نقصان الأصل، وإنما قال تعالى: ﴿ تُوقَدُ ﴾ فنبه بالوقيد على أن الشجرة لا تنقص، وعلى أن هذه الشجرة ليست الشجرة المعهودة، لأن الشجرة لا يوقد منها، وخصها بالزيتونة لدوام ورقها وفوائدها وغزارة منفعتها وكثرة ورقها وشعبها، وأنها وإن كانت زيتونة فيخرج منها نار تستضيء بها. ووجه المشابهة واستيعابه يطول، وقد شرحناه في كتاب مشكاة الأنوار [١].

وأما النار: فهي عبارة عن الأنوار الإلهية، ويحتمل وجهًا آخر أن تكون الشجرة الرسول ﷺ والنار الملك.

٧٨٩ - العقل كالسراج، والشرع كالزيت يمده، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت، وعلى هذا نبه الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾.

٧٩٠ - لكونهما متحدين قال: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي: نور العقل ونور الشرع، ثم قال:

---

٧٨٩ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٧).

٧٩٠ - نفسه (ص ٥٨).

---

(١) ن: مشكاة الأنوار ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٤ - ٤٠).

﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ فجعلهما نورًا واحدًا.

فالشرع إذا فقد العقل لم يظهر به شيء وصار ضائعًا ضياع الشعاع عند فقد نور البصر، والعقل إذا فقد الشرع عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد النور.

٧٩١ - اعلم أن الله تعالى ذكر هذه المراتب [١] في آية واحدة فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ... وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

فالمشكاة مثل العقل الهيولاني [٢]، فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور، فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل، ثم إن قويت أدنى قوة وحصلت لها مبادئ المعقولات فهي الزجاجية، فإن بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي الشجرة؛ لأن الشجرة ذات أفنان، فكذلك الفكرة ذات فنون، فإن كانت أقوى وبلغت درجة الملكة فإن حصل لها المعقولات بالحدس فهي الزيت، فإن كانت أقوى من ذلك فيكاد زيتها يضيء، فإن حصل له المعقولات فهو نور على نور، نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري.

ثم هذه الأنوار مستفادة من سبب هذه الأنوار بالنسبة إليه، كالسراج بالنسبة إلى نار عظيمة طبقت الأرض، فتلك النار هي العقل الفعال المفيض لأنوار المعقولات على الأنفس البشرية.

وإن جعلت الآية مثالًا للعقل النبوي فيجوز؛ لأنه مصباح يوقد من شجرة أمرية مباركة نبوية زيتونة أمية لا شرقية طبيعية ولا غربية بشرية، يكاد زيتها يضيء ضوء الفطرة وإن لم تمسه نار الفكرة، نور من الأمر الكروبي [٣] على نور من العقل النبوي يهدي الله لنوره من يشاء.

---

٧٩١ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٥، ٥٦).

---

(١) أي مراتب العقل من الكتاب الإلهي.

(٢) قال الإمام الغزالي: « حد العقل الهيولاني أنه قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء، مجردة عن المواد، وبها يفرق الصبي بين الفرس وسائر الحيوانات، لا بعلم حاصل ولا بقوة قريبة من العلم » معيار العلم (ص ٢٧٨).
ويقول ابن سينا: « وهذه القوة التي تسمى عقلًا هيولانيًا موجودة لكل شخص من النوع، وإنما سميت هيولانية تشبيهًا بالهيولى الأولي التي ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور، وهي موضوعة لكل صورة ». النجاة: (ص ١٦٥).

(٣) في طبعة دار الكتب العلمية: « من الأمر الربوبي » ن: معارج القدس (ص ٧٢).

• ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

٧٩٢ - ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ فعبر عن الاعتقادات الفاسدة بالظلمات وعن ترادف الشكوك بترادف الموج.

٧٩٣ - ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ﴾ مثل قلب المنافق.

٧٩٤ - ﴿ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾.

البحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الأخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات المعمية.

والموج الأول: موج الشهوات الباعثة إلى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الأوطار الدنيوية، حتى إنهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم، فبالحري أن يكون هذا الموج مظلمًا؛ لأن حب الشيء يعمي ويصم.

والموج الثاني: موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهات والتفاخر والتكاثر، وبالحري أن يكن مظلمًا؛ لأن الغضب في الأكثر مستولٍ على الشهوات، حتى إذا ماج أذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات، فإن الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلًا.

وأما السحاب: فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حجبًا بين الكافر وبين الإيمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل، فإن خاصية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس، وإذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلًا عن البعيدة؛ فلذلك تحجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي ﷺ مع قرب متناوله وظهوره بأدنى تأمل، فبالحري أن يعبر عنه بأنه إذا أخرج يده لم يكد يراها. وإذا كان منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق كما سبق، فبالحري أن يعتقد كل موحد أن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور. ويكفيك هذا القدر من أسرار هذه الآية فاقنع.

---

٧٩٢ - معراج السالكين ضمن المجموعة (١) (ص ٨٥).

٧٩٣ - الإحياء (١١/٣).

٧٩٤ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٣٩، ٤٠).

• ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

٧٩٥ - ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية، وهي تنزيه القلب عن الذنوب على ما ذكرنا [١].

* * *

* سُورَةُ الفُرْقَانِ *

• ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

٧٩٦ - أي: تعظيمًا وحنقًا.

• ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

٧٩٧ - إظهاره القدرة بقبض الظل؛ إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس.

• ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾

٧٩٨ - أي: يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر.

٧٩٩ - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل، والثاني: أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما.

• ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

٨٠٠ - قال عطاء بن أبي رباح [٢]: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي: حلماء.

---

٧٩٥ - منهاج العابدين (ص ١٢٨، ١٢٩).

٧٩٦ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص١٢٧).

٧٩٧ - الإحياء (٣٩٤/١).

٧٩٨ - نفسه (٣٩٣/١).

٧٩٩ - نفسه (٤٠٢/١).

٨٠٠ - نفسه (١٨٨/٣، ١٨٩).

---

(١) قال الإمام الغزالي: التقوى في القرآن تطلق على ثلاثة أشياء: أحدها: بمعنى الخشية والهيبة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة: ٤١] ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١]. الثاني: بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال ابن عباس: أطيعوا الله حق طاعته، وقال مجاهد: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

الثالث: بمعنى التنزيه للقلب عن الذنوب، فهذه هي حقيقة التقوى دون الأولين. ن: منهاج العابدين (ص ١٢٨).

(٢) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي تابعي مفسر، فقيه، سمع عبد الله بن عمر، وروى عنه عمرو ابن دينار (ت١١٥هـ).

٨٠١ - ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي: سلامة، والألف بدل من الهاء، ومعناه: إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾

٨٠٢ - الآية نص في مضاعفة عذاب من جمع بين الكفر والقتل والزنا، لا كمن جمع بين الكفر والأكل والشرب.

• ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾

٨٠٣ - قال مجاهد: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ أي: إذا أوذوا صفحوا. وروي أن ابن مسعود مر بلغو معرضًا فقال رسول الله ﷺ: « **أصبح ابن مسعود وأمسى كريمًا** » (١) ثم تلا إبراهيم بن ميسرة (٢) - وهو الراوي - قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾.

* * *

* سُورَةُ الشُّعَرَاءِ *

• ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

٨٠٤ - قال تعالى إخبارًا عن موسى عليه السلام: ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾، وما أراد من الكافرين، بل أراد من الخاطئين.

يقال: ضل فلان الطريق، وضل سعي فلان. كل ذلك: الخطأ.

• ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ

---

٨٠١ - الإحياء (٢/١٨٨). ٨٠٢ - المستصفى (١/٩٢).
٨٠٣ - الإحياء (٣/١٨٩). ٨٠٤ - المستصفى (١/١٧٧).

= ن: تهذيب الأسماء (١/٣٣٣) وصفة الصفوة (٢/٢١١).

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن المبارك في البر والصلة. ن: المغني بهامش الإحياء (١/٩٢).

(٢) إبراهيم بن ميسرة هو الطائفي الفقيه نزيل مكة، حدث عن أنس بن مالك وطاوس وغيرهما، وعنه ابن جريج والسفيانان. ن: تهذيب التهذيب (١/١٧٢) وشذرات الذهب (١/١٨٩) وسير أعلام النبلاء (٦/١٢٣).

﴿ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ۝٢٧ ﴾

٨٠٥ - لما قال فرعون لموسى: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ كالطالب لمهِّية، لم يجبه إلا بأفعاله؛ إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل، فقال: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فقال فرعون لمن حوله: ﴿ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴾؟ كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الحقيقة، فقال موسى: ﴿ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فنسبه فرعون إلى الجنون؛ إذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الأفعال بالأفعال، وقال فرعون: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾.

• ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ﴾

٨٠٦ - هذا الاستثناء ليس فيه معنى التخصيص والإخراج؛ إذ المستثنى ما كان ليدخل تحت اللفظ أصلًا، ومن معتاد كلام العرب: ما في الدار رجل إلا امرأة، وما له ابن إلا ابنة، وما رأيت أحدًا إلا ثورًا، وقال شاعرهم:

وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس

وقال آخر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

• ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ ﴾

٨٠٧ - إبراهيم خليل الله ﷺ لم يكن منه إلا هفوة واحدة، فكم خاف وتضرع وقال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ حتى روي أنه كان يبكي من شدة الخوف، فيرسل الله ﷻ الأمين جبريل عليه السلام، فيقول: يا إبراهيم: هل رأيت خليلًا يعذب خليله بالنار؟ فيقول: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته.

• ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ ﴾

٨٠٨ - قرأ أبو سليمان [1] قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ فقال: هو

---

٨٠٥ - المستصفى (٢/١٦٨، ١٦٩).
٨٠٦ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٨).
٨٠٧ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٢٥٩).
٨٠٨ - الإحياء (٤/٢٤٣).

---

(١) هو الإمام الكبير، زاهد العصر، أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد. روى عن سفيان الثوري وأبي الأشهب =

القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى، وقال: إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة.

• ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

٨٠٩ - إن الله تعالى علَّمه القرآن وكتب معانيه في قلبه، ثم أوحى إليه بواسطة جبريل وأمره بالبيان عن المسموع المعلوم بلسانه لأمته وأصحابه، كما قال ﷺ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.

فالوحي بمنزلة اللوح، والقرآن فيه بمنزلة المكتوب المنظوم، والنبي ﷺ طالع لوح الوحي، وقرأ المكتوب المنظوم، وبلغه لأمته.

• ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

٨١٠ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ناداهم بطنًا بعد بطن حتى قال: « **يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ اعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما شيئًا** »[1].

• ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

٨١١ - قال الله تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ولم يقل: إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب، وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: وإنما أبغض عمله وإلا فهو أخي، وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة.

---

٨٠٩ - المعارف العقلية (ص ٨٢، ٨٣). ٨١٠ - الإحياء (٣/٣٩٦).

٨١١ - نفسه (٢/٢٠٠، ٢٠١).

= العطاردي وغيرهما. وروى عنه: تلميذه أحمد بن أبي الحواري وهاشم بن خالد وغيرهما. توفي سنة (٢١٥هـ) وقيل: (٢٥٠هـ) ن. وفيات الأعيان (٣/١٣١) وسير أعلام النبلاء (١٠/١٨٢).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث عائشة. ن: صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث رقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] (ح٣٥١).

• ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ ﴾

٨١٢ - قال عكرمة في قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال: قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه.

• ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾

٨١٣ - قوة التخيل ليست متشابهة في أصناف الناس، بل هي مترتبة متفاضلة، وربما تكون متضادة، فمن ذلك ما يناسب الروحانيين من الملائكة... ومن ذلك ما يناسب الشياطين من الأبالسة، ويكون مهبطهم إليه، وظهورهم له وتأثيرهم فيه وتمثلهم به، حتى إذا ظهروا عليه تكلم الشخص بكلامهم وتكلموا بلسانه، ورأى الشخص بأبصارهم وأبصروا بعينه، ويسمع بآذانهم وسمعوا بأذنيه، وهم شياطين الإنس يمشون في الأرض متوهجين: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾.

وحيثما كانت استقامة في حال الخيال كان منزل الملائكة، وحيثما كان اعوجاج في حال الخيال كان منزل الشياطين.

* * *

* سُورَةُ النَّمْلِ *

• ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ ﴾ (1).

• ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ ﴾

٨١٤ - قال عبد الله بن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾: أي: مختوم.

• ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ۝٤٠ ﴾

٨١٥ - ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ تنبيهًا على أنه اقتدر بقوة العلم.

٨١٦ - ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فعلم

---

٨١٢ - الإحياء (١/١٩٩). ٨١٣ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٧٩).

٨١٤ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٥). ٨١٥ - الإحياء (١/١٥).

٨١٦ - الإملاء عن إشكالات الإحياء (ملحق بالإحياء) (٥/٤٠).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ما غاب عن غيره من إمكان بيان ما وعد به، وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيًا ولا رسولًا [(١)].

* * *

* سُورَةُ القَصَصِ *

• ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي... ﴿١٦﴾ ﴾

٨١٧ - موسى بن عمران ﷺ، لم يكن منه إلا وكزة واحدة، فكم خاف واستغفر وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾.

• ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ... ﴿٣٨﴾ ﴾

٨١٨ - نظر عمر ﷺ في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر، فكبر وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون، يعني قول فرعون: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾ يعني به الآجر، ويقال: إن فرعون هو أول من بُني له بالجص والآجر، من عمله هامان، ثم تبعهما الجبابرة، وهذا هو الزخرف.

• ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ... ﴿٣٩﴾ ﴾

٨١٩ - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعًا، قال وهب [(٢)]: قال له موسى ﷺ آمن ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان فقال هامان: بينما أنت رب يعبد إذ صرت عبدًا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى ﷺ.

• ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴿٧٧﴾ ﴾

٨٢٠ - ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لا تنس في الدنيا نصيبك منها

---

٨١٧ - منهاج العابدين (ص ١٥٩).
٨١٨ - الإحياء (٢٥١/٤).
٨١٩ - نفسه (٣٦٥/٣).
٨٢٠ - نفسه (٩٤/٢).

---

(١) أورد الإمام الغزالي هذا الكلام في الرد على من يقول باستحالة عِلم ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة، وما غاب عن المشاهدة والحس... إلا من كان رسولًا.

ون: تفسير قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

(٢) هو ابن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الأسوار الإمام، العلامة الإخباري القصصي، أبو عبد الله الأنباري، اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه، ولد في زمان عثمان ابن عفان وأخذ عن النعمان بن بشير وجابر وابن عمر وطاوس وغيره. وحدث عنه عمرو بن دينار وعوف الأعرابي وغيرهما، ت. سنة (١١٤ هـ) ن: تذكرة الحفاظ (١٠٠/١) وسير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤).

للآخرة، فإنها مزرعة الآخرة، وفيها تكتسب الحسنات.

٨٢١ - ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾.

وإنما يكمن الإحسان بإدخال السرور على قلوب المسلمين بالمال.

• ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا... ﴿٨٠﴾ ﴾

٨٢٢ - قال تعالى في حق قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ الآية، فبين أن الزهد من ثمرات العلم.

٨٢٣ - ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ الآية. فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا.

٨٢٤ - ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء.

• ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ...﴿٨٣﴾ ﴾

٨٢٥ - إنه الرئاسة والتطاول في البنيان.

٨٢٦ - جمع بين إرادة الفساد والعلو، وبيَّن أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعًا.

٨٢٧ - علق الحكم بنفي الإرادة دون الطلب والفعل للمراد.

• ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

٨٢٨ - ذاته ليست بفانية وعلمه ليس بمتناهٍ، وكلامه ليس بمنقطع؛ لأن الكلام باقٍ ببقاء الذات، ولا فناء لذاته، فكلامه كعلمه، وعلمه كذاته: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

---

٨٢١ - المستصفى (ص ٣٨٥).
٨٢٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٤٤).
٨٢٣ - الإحياء (٧٧/١).
٨٢٤ - نفسه (٢٣٣/٤).
٨٢٥ - نفسه (٢٩٤/٣).
٨٢٦ - نفسه (٢٥٠/٤).
٨٢٧ - منهاج العابدين (ص ٨٥).
٨٢٨ - المعارف العقلية (ص ٥٥).

* سُورَةُ العَنكَبُوتِ *

• ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا... ﴿١٤﴾ ﴾

٨٢٩ - دلَّ على تسعمائة وخمسين سنة، لا على سبيل المحال، بل الوضع كذلك، وضع وكأن العرب وضعت عن تسعمائة وخمسين عبارتين: **إحداهما**: ألف سنة إلا خمسين، والأخرى: تسعمائة وخمسون، ويمكن أن يقال: ما صار عبارة بالوضع عن هذا القدر، بل بقي الألف للألف والخمسون للخمسين، وإلا للرفع بعد الإثبات.

ونحن بعلم الحساب عرفنا أن هذا تسعمائة وخمسون، فإنا إذا وضعنا ألفًا ورفعنا خمسين علمنا مقدار الباقي بعلم الحساب، فلا نقول المجموع صار عبارة موضوعة عن هذا العدد، وهذا أدق وأحق، لا كزيادة الألف واللام والياء والنون على المسلم، فإن تلك الزيادة لا معنى لها لا بغير اللفظ الأول.

• ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا... ﴿١٧﴾ ﴾

٨٣٠ - لا يعارض قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لأن المعني به الكذب دون الإيجاد.

• ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ... ﴿٤٥﴾ ﴾

٨٣١ - قد نبه على مصالح الدين في قوله في الصلاة: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ وما يكف عن الفحشاء، فهو جامع لمصالح الدين، وقد تقترن به مصلحة الدنيا أيضًا.

٨٣٢ - رفع ذكره فوق الصلاة؛ حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة (١) بل هو غاية مطلب سكان الجنان.

٨٣٣ - ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: له وجهان: **أحدهما**: أن

٨٢٩ - المستصفى (٢/٥٥، ٥٦).
٨٣٠ - نفسه (٢/١٣٨، ١٣٩).
٨٣١ - شفاء الغليل (ص ١٦١).
٨٣٢ - الإحياء (٤/٣٦٣).
٨٣٣ - الإحياء (٤/٣٥٠).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

ذكر الله أعظم من ذكركم إياه، **والآخر**: أن ذكر الله أعظم من كل عبارة سواه.

• ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟... ۝٥٩ ﴾

٨٣٤ - أي صبروا إلى تمام العمل.

• ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠ ﴾

٨٣٥ - قال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال: « **يا ابن عمر، ما لك لا تأكل؟ ...** » فقلت: يا رسول الله لا أشتهيه، فقال: « **لكني أشتهيه، وهذا صبح رابعة لم أذق طعامًا ولم أجده، ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم؟** » قال: فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ قال: فقال: رسول الله ﷺ: « **إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أخبأ رزقًا لغد** » (١).

• ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ ﴾

٨٣٦ - قيل: معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا.

ومن انكشف له أمر العلم كما هو عليه، علم أن الريح هو الهواء، والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك، وكذلك محركه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل.

فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي من أُخِذ لِتُحَزَّ رقبته فكتب الملك توقيعًا بالعفو عنه وتخليته، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول: لولا القلم لما تخلصت، فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل.

---

٨٣٤ - الإحياء (٤/٧٤). ٨٣٥ - نفسه (٤/١٩١).
٨٣٦ - نفسه (٤/٢٦٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن مردويه في التفسير، والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر، قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، والجراح بن منهال ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/١٩١).

• ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ... ﴿٦٨﴾ ﴾

٨٣٧ - قد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبًا وبين من كذب بالحق فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ ﴾.

• ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

٨٣٨ - المجاهدة.. جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾.

٨٣٩ - [من] أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة، وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل، ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى، واشتغل بالرياضة والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة، تحقيقًا لوعده ﷻ؛ إذ قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وهو الجوهر النفيس الذي غاية إيمان الصديقين والمقربين، وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق ﷺ؛ حيث فَضُل به الخلقَ، وانكشاف ذلك السر، بل تلك الأسرار، له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين، وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم؛ إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة، وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه.

٨٤٠ - ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك.

٨٤١ - الإقبال على طاعة الله تعالى والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾.

٨٤٢ - ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ فالمجاهدة: أعمال الجوارح، والهداية أعمال القلوب، وقد جعل إحداهما مرقاة إلى [الأخرى] (١) فعلم أنها مرآة لها، وأن تلك هي المراد لعينها.

---

٨٣٧ - الإحياء (٦٠/١).
٨٣٨ - نفسه (٣٤/١).
٨٣٩ - نفسه (١١٣/١).
٨٤٠ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٢).
٨٤١ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٩٤).
٨٤٢ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٣٤).

---

(١) في الأصل المطبوع: « الآخرة »، ولعل الصواب ما أثبته.

* سُورَةُ الرُّومِ *

• ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ ﴾

٨٤٣ - لما نزل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ كذبه المشركون، وقالوا للصحابة: ألا ترون ما يقول صاحبكم؟ يزعم أن الروم ستغلب، فخاطرهم أبو بكر ﷺ بإذن رسول الله ﷺ، فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر ﷺ بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام: « **هذا سحت فتصدق به** »، وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله ﷺ له في المخاطرة مع الكفار [(١)].

• ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ ﴾

٨٤٤ - قال يحيى بن كثير [(٢)] في قوله تعالى: ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ قال: السماع في الجنة.

• ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ... ۝ ﴾ [(٣)]

• ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ ﴾

٨٤٥ - فانظر إلى نعمة الله عليه، كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة، إلى هذه الرفعة والكرامة؟ فصار موجودًا بعد العدم، وحيًا بعد الموت، وناطقًا بعد البكم، وبصيرًا بعد العمى، وقويًا بعد الضعف، وعالمًا بعد الجهل، ومهديًا بعد الضلال، وقادرًا بعد العجز، وغنيًا بعد الفقر، فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أخس من لا شيء؟ وأي قلة من العدم المحض؟ ثم صار بالله شيئًا.

---

٨٤٣ - الإحياء (٢/١٤٤). ٨٤٤ - نفسه (٤/٥٧٥).
٨٤٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس، وليس فيه أن ذلك كان بإذنه ﷺ، والحديث عند الترمذي وحسنه دون قوله: « هذا سحت فتصدق به » ن. كتاب أبواب التفسير حديث رقم (٣٢٠٥) (٥/١٣٤) والدر المنثور (٥/١٥) والمغني بهامش الإحياء (٢/١٤٤).

(٢) هو ابن درهم أبو عنان العنبري، مولاهم البصري الحافظ، روى عن قرة وشعبة وعلي بن المبارك وغيرهم، وعنه بندار والفلاس وآخرون، قال النسائي: ليس به بأس، ت سنة (٢٦٥ هـ) ن: تهذيب التهذيب (١١/٢٦٦) وسير أعلام النبلاء (٩/٥٣٩).

(٣) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وإنما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضًا ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا.

• ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ... ﴿٣٠﴾ ﴾

٨٤٦ - ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ أي: كل آدمي فطر على الإيمان بالله ﷻ، بل على معرفة الأشياء على ما هي، أعني أنها كالمُضَمَّنة فيها لقرب استعدادها للإدراك.

ثم لما كان الإيمان مركوزًا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين: إلى من أعرض فنسي وهم الكفار، وإلى من أجال خاطره فتذكر، فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها.

٨٤٧ - ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ فكل آدمي فُطر على الإيمان، وما جاء الأنبياء إلا بالتوحيد؛ ولذلك قال: « **قولوا: لا إله إلا الله** ».

٨٤٨ - لكون العقل شرعًا من داخل قال الله تعالى في صفة العقل: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ فسمى العقل دينًا.

• ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ... ﴿٣٩﴾ ﴾

٨٤٩ - طلب الزيادة داخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ فإن الربا هو الزيادة، وهذا طلب زيادة على الجملة.

• ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ... ﴿٤٠﴾ ﴾

٨٥٠ - ﴿ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾ فدل على أن الرزق من الله لا غير، كالخلق.

* * *

---

٨٤٦ - الإحياء (١/١٠٣). ٨٤٧ - ميزان العمل (ص ٣٣٥).

٨٤٨ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٥٨).

٨٤٩ - الإحياء (٢/٤٦).

٨٥٠ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (١٩٨).

* سُورَةِ لُقْمَان *

• ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ... ۝ ﴾

٨٥١ - قال ابن عباس وابن مسعود والحسن البصري والنخعي (١) ﷺ: إن لهو الحديث هو الغناء.

• ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾

٨٥٢ - قال قتادة: الظلم ثلاثة أضرب: ظلم لا يغفر لصاحبه، وظلم لا يدوم، وظلم يغفر لصاحبه. فأما الظلم الذي لا يغفر لصحابه، فهو الشرك بالله تعالى، ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، وأما الظلم الذي لا يدوم، فهو ظلم العباد بعضهم البعض، وإنما الظلم الذي يغفر لصاحبه، فهو ظلم العبد نفسه بارتكاب الذنوب ثم يرجع إلى ربه ويتوب، فإن الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله.

• ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝ ﴾

٨٥٣ - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن.

• ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ۝ ﴾

٨٥٤ - طائفة نطقت بكلمتي الشهادة تقليدًا مأخوذًا من الآباء والأمهات والمعلمين، لكنهم مقبلون على وظائف الشرع، فهؤلاء هم المسلمون على الحقيقة، ولهم تقدمة على الفرقة الأولى (٢) وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وبقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

---

٨٥١ - الإحياء (٢/٣١٠).

٨٥٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٥٥).

٨٥٣ - الإحياء (٢/٢٩٥).

٨٥٤ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨١).

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس أبو عمران النخعي، فقيه أهل الكوفة ومفتيها هو والشعبي في زمانهما، روى عن علقمة ومسروق، وروى عنه الأعمش وسماك بن جرب. (ت ٩٦هـ) ن: صفة الصفوة (٣/٨٦) وتهذيب الأسماء (١/١٠٤).

(٢) قال الإمام الغزالي: « الفرقة الأولى: طائفة نطقوا بالشهادتين من غير التفات إلى ما تنطوي إليه عليه من المعنى، ولا احتفاء بالوظائف... » ن: معراج السالكين ضمن المجموعة رقم (١) (ص٨١).

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨ ﴾ (١)

* سُورَةُ السَّجْدَةِ *

• ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾

٨٥٥ - ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون، قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل، وذلك حكم اللّه فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه، فنعوذ باللّه من الضلال والنزول إلى منازل الجهال.

٨٥٦ - ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: علمنا أنه لا يولد إلا بوقاع ونكاح، ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر، فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح: ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ فقد علمنا الآن صدقك في قولك: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

• ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ... ۝١٦ ﴾

٨٥٧ - روي عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول اللّه ﷺ، أنه سئل عن هذه الآية فقال ﷺ: « **الصلاة بين العشائين** » ثم قال ﷺ: « **عليكم بالصلاة بين العشائين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره** » (٢) والملاغات: جمع ملغاة من اللغو.

٨٥٨ - إحياء ما بين العشائين هي سنة مؤكدة، ومما نقل عدده من فعل رسول اللّه ﷺ

---

٨٥٥ - الإحياء (٣١/٤). ٨٥٦ - نفسه (٤٠٧/٣) و (٤٨/٤).
٨٥٧ - الإحياء (٤٠٤/١) وبداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٤١).
٨٥٨ - الإحياء (٢٣١/١).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

(٢) قال العراقي: قال المصنف: أسنده ابن أبي الزناد إلى رسول اللّه ﷺ. قلت: إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت. رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش، وحدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال: « قال رسول اللّه ﷺ: « عليكم بالصلاة بين العشائين فإنها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره » وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني. ن: المغني بهامش الإحياء (٤٠٤/١). والحديث عند الترمذي وحسنه بلفظ: « نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة » ن: كتاب أبواب التفسير حديث رقم (٣٢٠٧) (١٣٦/٥).

بين العشائين ست ركعات [١]؛ ولهذه الصلاة فضل عظيم، وقيل: إنها المراد بقوله ﷻ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾.

٨٥٩ - قال الأسود [٢]: ما أتيت ابن مسعود ﷺ في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي فسألته فقال: نعم هي ساعة، وكان أنس ﷺ يواظب عليها ويقول: هي ناشئة الليل، ويقول: فيها نزل قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾.

● ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

٨٦٠ - قيل: كان عملهم الصيام.

٨٦١ - اعلم أن الله تعالى أثبت فعل العبد في موضع نحو قوله تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ... والحكمة فيه أنه تعالى خالق الأفعال ومقدرها، والعبد كاسبها ومسببها، فالعبد يعمل العبادة، والله تعالى يجازي عليها، ولولا نسبة هذه الأفعال خلقًا وكسبًا لما سمي عابدًا ومعبودًا، فثبت أن العبد عابد كاسب، وأن الله تعالى معبود خالق.

● ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

٨٦٢ - قصورهم وأملاكهم ومساكنهم صوامت ناطقة، تشهد بلسان حالها على غرور عمالها.

* * *

---

٨٥٩ - الإحياء (٤١٧/١). ٨٦٠ - نفسه (٢٧٤/١).

٨٦١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٣٤).

٨٦٢ - نصيحة من الإمام أبي حامد الغزالي (ص ٣٢).

---

(١) أخرجه ابن منده في الضحى، والطبراني في الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، والترمذي، وضعفه من حديث أبي هريرة: « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيها بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة » ن. المغني بهامش الإحياء (٢٣١/١) وسنن الترمذي (٢٧٢/١) حديث رقم (٤٣٣).

(٢) هو ابن قيس الإمام القدوة أبو عمرو النخعي الكوفي، كان الأسود مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام. حدث عن معاذ بن جبل وبلال وابن مسعود وغيرهم، وحدث عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه إبراهيم النخعي وغيرهما، ت: سنة (٧٥ هـ) ن: شذرات الذهب (٨٢/١) وسير أعلام النبلاء (٥٠/٤).

* سُورَةُ الأحزاب *

• ﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ ... ﴿٨﴾ ﴾

٨٦٣ - عن الجنيد [٢] في قوله تعالى: ﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ ﴾ قال: يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم، وهذا أمر على خطر.

• ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِۖ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٨٦٤ - الصدق كمال الإخلاص.

• ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ... ﴿٣٥﴾ ﴾ [٣]

• ﴿ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ... ﴿٣٥﴾ ﴾

٨٦٥ - ﴿ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ ﴾ مجاز في حفظ الفرج على الخصوص، وهو نص في مقصوده.

• ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ... ﴿٤٩﴾ ﴾

٨٦٦ - ورد ذلك في حق المؤمنات، ويلحق بهن الكافرات؛ لأنه فهم السبب وهو الطلاق قبل المسيس، فإذا كان سببًا لسقوط العدة في حق المؤمنة، فكذلك يكون في حق الكافرة.

• ﴿ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ... ﴿٥٣﴾ ﴾

٨٦٧ - يعني: منتظرين حينه ونضجه.

• ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ... ﴿٧١﴾ ﴾

٨٦٨ - إصلاح العمل وإتمام التقصير حتى يتم هو المتيقن.

---

٨٦٣ - الإحياء (٤/٤٠٩).
٨٦٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٧٧).
٨٦٥ - المنخول (ص ١٦٧).
٨٦٦ - شفاء الغليل (ص ١١٦).
٨٦٧ - الإحياء (٢/١١).
٨٦٨ - روضة الطالبين ضمن، المجموعة رقم (٢) (ص ٣١).

---

(١) هو الجنيد محمد الزاهد المشهور، والإمام القدوة المحدث أبو القاسم شيخ الصوفية، كان مولده (سنة ٤٦٦هـ) وتوفي (٥٤٧هـ). قيل عنه: كان فقيهًا فاضلًا ومحدثًا صدوقًا موصوفًا بالعبادة، ن: حلية الأولياء (١/٢٥٥) ووفيات الأعيان: (١/٢٧٣) وسير أعلام النبلاء (٢٠/٢٨٢).

(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٣].

• ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

٨٦٩ - كل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق؛ لأنه أمر رباني شريف، فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف، وإليه الإشارة بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال، بها صار مطيقًا لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد، وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل، ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها [١]؛ ولذلك قال ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه** » [٢]، وقول رسول الله ﷺ: « **لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء** » [٣] إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلوب وبين الملكوت.

٨٧٠ - كان الحسن البصري رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ قال: عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة

---

٨٦٩ - الإحياء (٣/١٦) ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٩٦).
٨٧٠ - الإحياء (٣/٩٥).

---

(١) أي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقيقة الأمور وهي خمسة:
أولها: نقصان في ذاته، كقلب الصبي فإنه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه.
الثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات، فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه.
الثالث: أن يكون معدولًا به عن جهة الحقيقة المطلوبة.. وهي التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية.
الرابع: الحجاب، فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق، قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبًا عنه باعتقاد مسبق إليه.
الخامس: الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب، ن: الإحياء (٣/١٦) (بتصرف).
(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز باب ما جاء في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٩). ومسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٢٦٥٨)، ومالك، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، رقم الحديث (٥٢).
(٣) قال الحافظ العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه، ن: المغني بهامش الإحياء (٣/١٠).

العرش العظيم، فقال لها ﷺ هل تحملن الأمانة بما فيها؟ قالت: لا، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت، ثم عرضها على الجبال الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت: لا، ثم عرضها على الإنسان فحملها، إنه كان ظلومًا لنفسه جهولًا بأمر ربه.

* * *

* سُورَةُ سَبَإٍ *

• ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا... ﴿١٠﴾ ﴾

٨٧١ - يعني العلم.

• ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ... ﴿١٢﴾ ﴾

٨٧٢ - امتن سبحانه على سليمان الطَّيِّلا بقوله: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ أي: سهلنا له الانتفاع بالنحاس وأطلعناه على معدنه.

• ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

٨٧٣ - جعلهم أخص الخواص.

• ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

٨٧٤ - فإنه لم يذكر قوله: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ ﴾ في معرض التسوية والتشكيك، وبل فيه إضمار أصل آخر، وهو لسنا على ضلال في قولنا: إن الله يرزقكم من السماء والأرض، فإنه الذي يرزق من السماء بإنزال الماء ومن الأرض بإنبات النبات، فإذن أنتم ضالون بإنكار ذلك.

وكمال صورة هذا الميزان؛ إنا أو إياكم لعلى ضلال مبين، وهذا أصل، ثم نقول: ومعلوم أنا لسنا في ضلال، وهذا أصل آخر، فيلزم من ازدواجهما نتيجة ضرورية، وهو أنكم في ضلال.

---

٨٧١ - الإحياء (٢١٩/١).

٨٧٢ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٤).

٨٧٣ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٢٢).

٨٧٤ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤).

• [﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾]

٨٧٥ - **الشهيد**: يدل على العلم مضافًا إلى ما يشاهد.

• ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ... ﴿٥٤﴾ ﴾ .

٨٧٦ - أعظم العذاب أن يمنع الإنسان من مراده، كما قال تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم.

* * *

* سُورَة فَاطِـــر *

• ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ... ﴿١﴾ ﴾

٨٧٧ - قيل في غريب التأويل: اللحية هي المراد بقوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾.

٨٧٨ - يدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان اللّٰه تعالى على عباده؛ إذ قال: ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ فقيل: هو الصوت الحسن.

• ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا... ﴿٢﴾ ﴾

٨٧٩ - هذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من اللّٰه ﷻ غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة اللّٰه تعالى، كما قال ﷺ: « **إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها** »[(١)] والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة.

---

٨٧٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ضمن المجموعة رقم (٣٢) (ص ٢٨، ٢٩).

٨٧٦ - الإحياء (٥٢٨/٤) وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٠).

٨٧٧ - الإحياء (١٧٠/١). ٨٧٨ - نفسه (٢٩٥/٢).

٨٧٩ - نفسه. (١٠/٣) وميزان العمل (ص ٢٠٨).

---

(١) قال العراقي: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر، والطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة بلفظ: « إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدًا » وقال السيوطي: حديث ضعيف. ن الجامع الصغير للسيوطي (٣٦٧/١) (ح٢٣٩٨)، والمغني (٢١٩/١) والإتحاف (٤٦٠/٣).

• ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا... ﴿٦﴾ ﴾

٨٨٠ – هذا أقصى التحذير وغايته.

• ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾

٨٨١ – ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ أي: المعرفة ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكالخادم، وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولًا من الدنيا، ثم إدامة طهارته، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة.

٨٨٢ – ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ والكلم الطيب إلى العلم عند البحث، فهو الذي يصعد ويقع الموقع.

والعمل كالخادم له، يرفعه ويحمله، وهذا تنبيه على علو رتبة العلم.

٨٨٣ – ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ **الكلم الطيب**: هو التوحيد والمعرفة، **والعمل الصالح**: هو طهارة القلب الرافعة لقدر التوحيد والمعرفة، ومعنى الرفعة: هو حضور القلب وتأثره بهما، لينقاد خضوعًا ومسكنة ومهابة، فحينئذ يكون قريبًا من اللّٰه تعالى.

٨٨٤ – ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾

قال مجاهد: هم أهل الرياء.

• ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟... ﴿٢٨﴾ ﴾

٨٨٥ – إن العلم النافع يثمر خشية اللّٰه تعالى ومهابته، قال اللّٰه تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ وذلك أن من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته، ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته، فالعالم يعرفه ويعظمه ويهابه، فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق اللّٰه تعالى.

---

٨٨٠ – منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٠٨).

٨٨١ – الإحياء (٣٣٥/٤). ٨٨٢ – ميزان العمل (ص ١٩٤).

٨٨٣ – روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٩٧).

٨٨٤ – الإحياء (٣١٠/٣).

٨٨٥ – منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٦٣، ٦٤).

٨٨٦ - إنما العلم: الخشية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ وكأنه أشار إلى ثمرات العلم.

٨٨٧ - ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ وصفهم بالعلم لخشيتهم.

• ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً... ﴿٢٩﴾ ﴾

٨٨٨ - ندب إلى العلانية أيضًا لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال.

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ... ﴿٤١﴾ ﴾

٨٨٩ - **قال بعض السلف**: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به، واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفًا، فيقول الله تعالى للأرض والسماء: كفا عن عبدي وأمهلاه، فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، ولعله يتوب إلي فأغفر له، ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسنات. فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾.

* * *

* سُورَةُ يسٓ *

٨٩٠ - قال ﷺ: « **يس قلب القرآن** »[1].

• ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ... ﴿٨﴾ ﴾

٨٩١ - قال الضحاك[2] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ قال:

---

٨٨٦ - الإحياء (١/٦٣).
٨٨٧ - نفسه (٤/١٦٩).
٨٨٨ - نفسه (١/٢٥٦).
٨٨٩ - نفسه (٤/٤٥).
٨٩٠ - جواهر القرآن ودرره (٤٨).
٨٩١ - الإحياء (٣/٢٧٠).

---

(١) رواه الترمذي عن أنس ﷺ بلفظ: « إن لكل شيء قلبًا وقلب القرآن (يس)، ومن قرأ (يس) كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » ثم قال: هذا حديث حسن غريب. كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٢٨٩٦) وتفسير ابن كثير (٣/٦٧٩).

(٢) هو الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي الخرساني تابعي مفسر، سمع سعيد بن جبير وروى عنه =

البخل، أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى.

• ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ... ﴿١٢﴾ ﴾

٨٩٢ - أي: نكتب أيضًا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه.

٨٩٣ - الآثار: ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل.

• ﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

٨٩٤ - قال الأوزاعي: ﴿ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴾ قال: شغلهم افتضاض الأبكار.

• ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا... ﴿٧٠﴾ ﴾

٨٩٥ - إشارة إلى من لم يحي حياة باطنة.

• ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ... ﴿٧٩﴾ ﴾

٨٩٦ - استدل بالابتداء على الإعادة.

٨٩٧ - عمدة المتكلمين في البعث قوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

٨٩٨ - من قدر على الخلق فهو على الإعادة أقدر كما قال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

* * *

* سُورَةُ الصَّافَّاتِ *

• ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾

٨٩٩ - الحكمة في سائر الكواكب - السيارة منها والثوابت - خفية لا يطلع عليها كافة الخلق، والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين النظر إليها، وأشار إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾.

---

٨٩٢ - الإحياء (٨٤/٢). ٨٩٣ - نفسه (٣٥/٤).
٨٩٤ - نفسه (٥٧٥/٤). ٨٩٥ - نفسه (١٠٧/٤).
٨٩٦ - نفسه (١٣٦/١). ٨٩٧ - نفسه (١١٥/١).
٨٩٨ - إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١١٥).
٨٩٩ - الإحياء (٩٥/٤).

= التفسير، ن: صفة الصفوة (١٥٠/٤) وميزان الاعتدال (٣٢٥/٢) وطبقات المفسرين للداودي (٢٢٢/١).

• ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ... ﴿٢٢﴾ ﴾

٩٠٠ - أي: الظلمة وأعوان الظلمة.

• ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

٩٠١ - **الصراط**: هو جسر ممدود على متن جهنم، أرق من الشعرة وأحدُّ من السيف.

• ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

٩٠٢ - أي: لمحاسبون.

• ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

٩٠٣ - خلق الخلق وأوجد قدرتهم وحركتهم، فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقًا له في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

• ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ... ﴿١٠٥﴾ ﴾

٩٠٤ - معناه: حاولت الإقدام اعتمادًا على الرؤيا.

• ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

٩٠٥ - أي: على إلياس، وقيل: إدريس؛ لأن حرف ابن مسعود: ﴿سلم على إدراسين﴾.

• ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

٩٠٦ - معناه: هم قوم إذا رأيتهم ظننتهم مائة ألف أو يزيدون.

• ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (١)

• ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

٩٠٧ - اعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس، وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة، ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل،

---

٩٠٠ - الإحياء (٣٨٣/٢).
٩٠١ - نفسه (١٣٦/١).
٩٠٢ - نفسه (٤٢٠/٤).
٩٠٣ - نفسه (١٣١/١).
٩٠٤ - المنخول (ص ٢٩٨).
٩٠٥ - الإحياء (٣٤٤/١).
٩٠٦ - المنخول (ص ٩١).
٩٠٧ - الإحياء (١٢٧/٤).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات، ولا الشم يزاحمها، ولا هما يتنازعان الشم.

٩٠٨ - فكل واحد نوع برأسه هو كل ذلك النوع، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾. وبقوله عليه السلام: « **الراكع منهم لا يسجد والقائم لا يركع، وإنه ما من واحد منهم إلا له مقام معلوم** »(1).

* * *

*** سُورَةُ صٓ ***

• ﴿ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝ ﴾

٩٠٩ - **الارتقاء**: صعود الأخس إلى الأشرف حتى ينتهي إلى واجب الوجود كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤١].

• ﴿ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝ ﴾

٩١٠ - **الصفن**: هو رفع إحدى الرجلين.

• ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝ ﴾

٩١١ - أراد الشمس.

• ﴿ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ ﴾

٩١٢ - **الصفد**: هو اقتران القدمين معًا.

• ﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝ ﴾

٩١٣ - أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم؛ إذ لم يروا الذين ازدروهم

---

٩٠٨ - الأجوبة الغزالية ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٧٩).

٩٠٩ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢٣).

٩١٠ - الإحياء (١٨١/١).

٩١١ - نفسه (٣٤٤/١).

٩١٢ - نفسه (١٨١/١).

٩١٣ - نفسه (٣٦٥/٣).

---

(١) أورده الطبري في تفسيره عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: قال نبي الله ﷺ: « ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم »، فذلك قول الملائكة: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] (١١١/١٢).

فقالوا: ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾ قيل: يعنون عمارًا وبلالًا وصهيبًا والمقداد ﷺ.

● ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

٩١٤ - نبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد.

٩١٥ - نبه على أن الإنسان مخلوق من جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالعقل والبصيرة، لا بالحواس، وأضاف جسده إلى الطين، وروحه إلى نفسه.

وأراد بالروح ما نعنيه بالنفس، منبهًا لأرباب البصائر، أن النفس الإنسانية من الأمور الإلهية، وأنها أجلُّ وأرفع من الأجسام الخسيسة الأرضية كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

٩١٦ - النفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا؛ ولذلك أضافها الله ﷻ إلى نفسه، وأضاف البدن إلى الطين، فقال: ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾.

٩١٧ - الأرواح البشرية حادثة حدثت عند استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ كما حدثت الصورة في المرآة لحدوث الصقالة، وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة.

٩١٨ - ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

التسوية: هي عبارة عن فعل في المحل القابل للروح، وهو الطين في حق آدم ﷺ، والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج والتردد في أطوار الخلقة إلى الغاية حتى ينتهي في الصفاء ومناسبة الأجزاء إلى الغاية، فيستعد لقبول الروح وإمساكها كاستعداد الفتيلة بعد شرب الدهن لقبول النار وإمساكها.

---

٩١٤ - الإحياء (٥٨/٣). ٩١٥ - ميزان العمل (ص ١٩٩).
٩١٦ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٣٥).
٩١٧ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٠٥).
٩١٨ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٦).

وأما النفخ: فهو عبارة عن اشتعال نور الروح في المحل القابل، فالنفخ سبب الاشتعال، وصورة النفخ في حق الله تعالى محال، والسبب غير محال، فعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ، وهو الاشتعال في فتيلة النطفة، وللنفخ صورة ونتيجة.

٩١٩ - سئل الشيخ الإمام الأجل الزاهد السيد: حجة الإسلام زين الدين مقتدي الأمة قدوة الفريقين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - قدس الله روحه ونور ضريحه - عن معنى قوله تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ ما التسوية وما النفخ وما الروح؟ فقال: التسوية فعل في المحل القابل للروح، وهو الطين في حق آدم ﷺ، والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج، فإنه كما لا يقبل النار يابس محض كالتراب والحجر، ولا رطب محض كالماء، بل لا تتعلق النار إلا بمركب، أي من يابس ورطب ولا كل مركب، فإن الطين مركب ولا تشتعل فيه النار، بل لا بد بعد تركيب الطين الكثيف من تردد في أطوار الخلقة حتى يصير نباتًا لطيفًا، فتثبت فيه النار وتشتعل فيه.

وكذلك الطين بعد أن ينشئه خلقًا بعد خلق في أطوار متعاقبة يصير نباتًا، فيأكله الآدمي فيصير دمًا، فتنتزع القوة المركبة في كل حيوان صفوة الدم الذي هو أقرب إلى الاعتدال، فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بها مني المرأة فتزداد عند ذلك اعتدالًا، ثم ينضجها الرحم بحرارة فتزداد تناسبًا حتى تنتهي في الصفاء واستواء نسبة الأجزاء إلى الغاية، فتستعد لقبول الروح وإمساكها كالفتيلة التي تستعد عند شرب الدهن لقبول النار وإمساكها، فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق باستعدادها روحًا يدبرها ويتصرف فيها، فتفيض إليها الروح من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه، ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع ولا بخل.

فالتسوية: عبارة عن هذه الأفعال المرددة لأصل النطفة في الأطوار السالكة بها إلى صفة الاستواء والاعتدال.

وسئل: ما النفخ؟

فقال: النفخ عبارة عما أشعل نور الروح في فتيلة النطفة، وللنفخ صورة ونتيجة.

أما صورته: فإخراج الهواء من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ فيه حتى يشتعل الحطب القابل للنار، فالنفخ سبب الاشتعال، وصورة النفخ الذي هو سبب في حق الله تعالى

---

٩١٩ - الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٦٦ - ١٧١).

محال، والمسبب غير محال، وقد يكنى بالسبب عن الفعل الذي يحصل المسبب عنه على سبيل المجاز، وإن لم يكن الفعل المستعار له على صورة الفعل المستعار منه كقوله تعالى: ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [المجادلة: ١٤] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، والغضب عبارة عن نوع تغير الغضبان يتأذى به، ونتيجة الهلاك للمغضوب عليه وإيلامه، فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب، وعن نتيجة الانتقام بالانتقام، وكذلك عبر عما ينتج نتيجة النفخ بالنفخ وإن لم يكن على صورة النفخ.

فقيل له: فما السبب الذي اشتعل به نور الروح في فتيلة النطفة؟

قال: هو صفة في الفاعل وصفة في المحل القابل. أما صفة الفاعل فالجود الإلهي الذي هو ينبوع للوجود على ما له قبول الوجود، فهو فياض بذاته على كل حقيقة أوجدها، ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة، ومثالها: فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما، فالقابل للاستنارة هي الملونات دون الهواء الذي لا لون له، وأما صفة القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية، كما قال: ﴿ سَوَّيْتُهُ ﴾.

ومثاله: صقالة الحديد، فإن المرآة التي ستر الصدأ وجهها لا تقبل الصورة وإن كانت محاذية صورة، فلو حاذتها الصورة واشتغل الثقيل بتصقيلها، فكلما حصل الصقال حدثت فيها الصورة المحاذية من ذي الصورة المحاذية، فكذلك إذا حصل الاستواء في النطفة حدثت فيها الروح من خالق الروح من غير تغير في الخالق، بل إنما حدث الروح الآن لا قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله، كما أن الصورة فاضت من ذي الصورة على المرآة في حكم الوهم من غير حدث في الصورة، ولكن كان لا يحصل من قبل، لا لأن الصورة ليست مهيأة لأن تنطبع في المرآة، لكن لأن المرآة لم تكن صقيلة قابلة للصورة...

قيل له: قد ذكرت التسوية والنفخ، فما الروح وما حقيقته؟ وهل هو حالٌّ في البدن حلول الماء في الإناء؟ أو حلول العرض في الجوهر؟ أم هو جوهر قائم بنفسه؟ فإن كان جوهرًا قائمًا بنفسه، فمتحيز هو أم غير متحيز؟ وإن كان متحيزًا فما مكانه أهو القلب أو الدماغ أو موضع آخر؟ وإن لم يكن متحيزًا فكيف يكون جوهرًا غير متحيز؟

فقال: هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول الله ﷺ في كشفه لمن ليس أهلًا له، فإن كنت من أهله فاسمع.

واعلم أن الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في الإناء، ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود والعلم في العالم، بل هو جوهر وليس بعرض؛

لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم، والعلوم أعراض، ولو كان موضوعًا والعلم قائم به لكان قيام العرض بالعرض. وهذا خلاف المعقول؛ ولأن العرض الواحد لا يفيد إلا واحدًا فيما قام به، والروح يفيد حكمين متغايرين، فإنه حين ما يعرف خالقه يعرف نفسه، فدل على أن الروح ليس بعرض، والعرض لا يتصف بهذه الصفات، ولا هو جسم؛ لأن الجسم قابل القسمة والروح لا ينقسم؛ لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بالشيء الواحد، وبالجزء الآخر منه جهل بذلك الشيء الواحد بعينه، فيكون في حالة واحدة عالمًا بالشيء جاهلًا به فيتناقض لأنه في محل، وإلا فالسواد والبياض في جزأين من العين غير متناقض؛ والعلم والجهل شيء واحد في شخص واحد محال وفي شخصين غير محال، فدل على أنه واحد وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ، أي شيء لا ينقسم؛ إذ لفظ جزء غير لائق به؛ لأن الجزء إضافة إلى الكل ولا كل هنا، فلا جزء إلا أن يراد به ما يريد القائل بقوله الواحد جزء من العشرة، فإنك إذا أخذت جميع الأجزاء التي بها قوام العشرة في كونها عشرة كان الواحد من جملتها، كذلك إذا أخذت جميع الموجودات أو جميع ما به قوام الإنسان في كونه إنسانًا، كان الروح واحدًا في جملتها.

فإذا فهمت أنه شيء لا ينقسم فلا يخلو إما أن يكون متحيزًا أو غير متحيز، وباطل أن يكون متحيزًا؛ إذ كل متحيز منقسم، والجزء الذي لا يتجزأ باطل أن يكون منقسمًا بأدلة هندسية وعقلية، أقربها أنه لو فرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلقى من الوسط غير ما يلقى الآخر.

فيجوز أن يقوم بالوجه الذي يلقاه هذا الطرف عِلْم، وبالوجه الآخر جهل، فيكون عالمًا جاهلًا في حالة واحدة بشيء واحد، وكيف لا ولو فرض بسيط مسطح من أجزاء لا تتجزأ لكان الوجه الذي يحاذينا ونراه غير الوجه الآخر الذي لا نراه، فإن الواحد لا يكون مرئيًّا وغير مرئي في حالة واحدة، ولكانت الشمس إذا حاذت أحد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون الوجه الآخر، فإذا ثبت أنه لا ينقسم وأنه لا يتجزأ ثبت أنه قائم بنفسه وغير متحيز أصلًا.

قيل له: وما حقيقة هذه الحقيقة، وما صفة هذا الجوهر، وما وجه تعلقه بالبدن؟ أهو داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به أو منفصل عنه؟

قال ﷺ: لا هو داخل، ولا خارج، ولا هو منفصل، ولا متصل؛ لأن مصحح الاتصال بالاتصاف والانفصال - الجسمية والتحيز - قد انتفيا عنه فانفك عن الضدين،

كما أن الجماد لا هو عالم، ولا هو جاهل؛ لأن مصحح العلم والجهل الحياة، فإذا انتفت انتفى الضدان.

فقيل له: هل هو في جهة؟

فقال: هو منزه عن الحلول في المحال والاتصال بالأجسام والاختصاص بالجهات، فإن كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها، والروح ليس بجسم ولا عرض في جسم، بل هو مقدس عن هذه العوارض.

٩٢٠ - ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ فروح الله ﷻ مفتاح أبواب السعادة، ولم يكن نفخها إلا بعد التسوية، ومعنى التسوية: يرجع إلى التعديل.

٩٢١ - فإن قيل: ما معنى نسبة الروح إلى الله تعالى في قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾؟

فاعلم أن الروح منزهة عن الجهة والمكان، وفي قوتها العلم بجميع المعلومات والاطلاع عليها، فهذه مضاهاة ومناسبة ليست لغيره من الجسمانيات، فلذلك اختصت بالإضافة إلى الله تعالى.

● ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦ ﴾

٩٢٢ - قول إبليس: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ في جواب قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾

وقد أدرج إبليس في هذا ميزانين؛ إذ علل منع السجود بكونه خيرًا منه، ثم أثبت الخيرية بأنه خلق من نار، وإذ صُرح بجميع أجزاء حجته وُجد ميزانه مستقيم التركيب لكن فاسد المادة، وكمال صورته أن يقول: ما خلق من نار خير، والخير لا يسجد، فأنا إذًا لا أسجد. فكلا أصلَيْ هذا القياس ممنوع لأنه غير معلوم، والعلوم الخفية توزن بالعلوم الجلية، وما ذكره غير جلي ولا مسلم، إذ نقول له: نسلم أنك خير منه، وهذا منع الأصل الأول، والآخر أنا لا نسلم أن الخير لا يلزمه السجود؛ لأن اللزوم والاستحقاق بالأمر لا بالخيرية. لكن ترك إبليس الدلالة على الأصل الثاني، وهو أن اللزوم والاستحقاق بالأمر لا بالخيرية، واشتغل بإقامة الدليل على أنه خير؛ لأني خلقت من نار. وهذه دعوة الخيرية

---

٩٢٠ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٧١).

٩٢١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤٨).

٩٢٢ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٤٠، ٤١).

بالنسب، وكمال صورة دليله وميزانه أن يقول: المنسوب إلى الخير خير. وأنا منسوب إلى الخير فإذًا أنا خير.

وكلتا هاتين الكفتين أيضًا فاسدة، فإنا لا نعلم أن المنسوب إلى الخير خير، بل الخيرية بصفات الذات لا بالنسب، فيجوز أن يكون الحديد خيرًا من الزجاج، ثم يتخذ من الزجاج بحسن الصنعة ما هو خير من المتخذ من الحديد، وكذلك نقول: إبراهيم - صلوات الله عليه - خير من ولد نوح، وإن كان إبراهيم مخلوقًا من آزر وهو كافر، وولد نوح من نبي.

وأما أصله الثاني: وهو أنه مخلوق من خير؛ لأن النار خير من الطين، فهذا أيضًا غير مسلم، بل الطين خير؛ لأنه من التراب والماء، وربما يقال: إن بامتزاجهما قوام الحيوان والنبات، وبهما يصل النشوء والنمو، وأما النار فمفسدة ومهلكة للجميع، فقوله: إن النار خير باطل.

فهذه الموازين صحيحة الصورة، فاسدة المادة، تشبيهًا بالسيف المتخذ من الخشب، بل هي: ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ [النور: ٣٩].

• ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

٩٢٣ - كمالات الموجودات قبولها الأمر، وكمالات المكلفين قولها للثواب، فمن لم يقبل الأمر أخرج من عالم الحق، والإخراج من الحق لعن كحال الشيطان الأول؛ إذ لم يقبل الأمر فأخرج من جنة العقل وقيل: ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ وذلك معنى اللعن.

• ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

٩٢٤ - اعلم أن الشيطان مسلط على كل ناظر ومشغوف بتلبيس الحق وتغطيته، ومصر على الوفاء بقوله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، والتحذر منه شديد، ولا يتيسر إلا لمن هو في محل استثنائه؛ حيث قال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾. جعلنا الله وإياكم منهم، فعليك أن تأخذ في نظرك من الشيطان ووسواسه حذرك.

---

٩٢٣ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٧٧).

٩٢٤ - محك النظر (ص ١٢١).

* سُورَةُ الزُّمَر *

• ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى... ﴿٣﴾ ﴾

٩٢٥ - أي: يقولون ما نعبدهم.

• ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ... ﴿٦﴾ ﴾

٩٢٦ - أي: خلق.

• ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ... ﴿١٦﴾ ﴾

٩٢٧ - أخبر اللَّه تعالى أن النار أعدها لأعدائه، وإنما خوف بها أولياءه.

• ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ... ﴿٢٢﴾ ﴾

٩٢٨ - سئل رسول اللَّه ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ ما هذا الشرح؟ فقال: « **هو التوسعة، إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح** ».

٩٢٩ - إن أول ما ينبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها بخطرة سماوية وتوفيق خاص إلهي، وهو المعني بقوله ﷻ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ وإليه أشار صاحب الشرع ﷺ فقال: « **إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح** »، فقيل: يا رسول اللَّه هل لذلك من علامة يعرف بها؟ فقال: « **نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت** »[1].

٩٣٠ - إنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه، ومراد تزكيته: حصول أنوار المعارف فيه، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾.

---

٩٢٥ - الإحياء (٣٤٤/١).
٩٢٦ - الحكمة في مخلوقات اللَّه ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٥).
٩٢٧ - الإحياء (١٥٤/٤). ٩٢٨ - نفسه (٢٦/٣).
٩٢٩ - منهاج العابدين (ص ٥١) وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٤٣).
٩٣٠ - معارج القدس في مدارك معرفة النفس (ص ٩٧).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١١/٤).

٩٣١ - قوله ﷺ: « **خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم شيئًا من نوره، فمن أصابه شيء من ذلك النور اهتدى، ومن لم يصبه فظلمات بعضها فوق بعض** »[(١)] وهو معنى قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾.

• ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٩٣٢ - **الحديث الحسن**: كلام الله القديم المنزل المحفوظ في صدور الرجال الراسخين، المعلوم في قلوب المؤمنين الذي ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢] وهذه الكلمات النبوية المستخرجة من الأسرار الإلهية التي نطق بها الرسول ﷺ وصدقه الله تعالى في جميع منطقه؛ حيث قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

• ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

٩٣٣ - قيل في التفسير: عملوا أعمالًا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات.

• ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

٩٣٤ - وفي قراءة رسول الله ﷺ: ﴿ ولا يبالي إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

٩٣٥ - ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ حرم أصل اليأس.

• ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٩٣٦ - قال الثوري في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ قال: هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين.

---

٩٣١ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٣٠).
٩٣٢ - المعارف العقلية (ص ٥٨، ٥٩).
٩٣٣ - الإحياء (١/١٤٧) و (٣/٣٣).
٩٣٤ - نفسه (٤/١٥٤). ٩٣٥ - نفسه (٤/١٥٤).
٩٣٦ - نفسه (٤/٤٠٨).

---

(١) رواه البزار عن عبد الله بن عمر: « إن الله خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم نورًا من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضل » ن: تفسير ابن كثير (٣/٣٥٥).

• ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ... ﴾ [1]

• ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

٩٣٧ – يلبث الخلق في النفخة الأولى أربعين سنة، ثم يحيي الله تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية، فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث.

• ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ... ﴾

٩٣٨ – حفاف الشيء: حوله.

* * *

* سورة غافر *

• ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ... ﴾

٩٣٩ – ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ ثم قال في عقبه: ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ لئلا يستولي عليك الخوف بمرة.

• ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟... ﴾

٩٤٠ – نهى عن الجدال بالباطل كما قال تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر: ٥] بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

• ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾

٩٤١ – شرط الله ﷻ الإنابة في الفهم والتذكير.

• ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

٩٤٢ – لقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم، لا ذلك اليوم على الخصوص، ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال؛ حيث لا ينفعهم الكشف، فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى، فإنه أصل أسباب الهلاك.

---

٩٣٧ – الإحياء (٤/٥٤٥).
٩٣٨ – نفسه (١/١٦٦).
٩٣٩ – منهاج العابدين (ص ٢٥٧).
٩٤٠ – المستصفى (٢/٣٨٨).
٩٤١ – الإحياء (١/٣٣٥).
٩٤٢ – نفسه (٤/٩٥).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

• ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾

٩٤٣ – ذم الله تعالى فرعون في اعتقاد كون الأسباب والمعارج جسمانية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

• ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

٩٤٤ – الأموات إذا باءت أعينهم: منهم المستقر، ومنهم الطواف ومنهم المضروب عليه، ومنهم المعذب، والدليل على صحة ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

٩٤٥ – عذاب القبر ورد الشرع به، قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

• ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ... ﴿٥٦﴾ ﴾

٩٤٦ – قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ﴾ قال: عظمة لم يبلغوها. ففسر الكبر بتلك العظمة.

• ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ... ﴿٦٠﴾ ﴾

٩٤٧ – روى النعمان بن بشير (١) عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن الدعاء هو العبادة** » ثم قرأ: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ (٢) [غافر: ٦٠].

• ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ... ﴿٦٢﴾ ﴾ (٣).

• ﴿ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾

٩٤٨ – القضاء يطلق تارة يراد به الأمر المبرم نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا

---

٩٤٣ – معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨٥).
٩٤٤ – الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١١٥).
٩٤٥ – الإحياء (١/١٣٦). ٩٤٦ – نفسه (٣/٣٦٣).
٩٤٧ – نفسه (١/٣٦١).
٩٤٨ – روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٣٣).

---

(١) هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، قال الواقدي: كان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، روى عن النبي ﷺ، وعن خاله عبد الله بن رواحة ت: سنة (٦٥ هـ). ن: الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٢٤٠) رقم (٨٧٢٢) وسير أعلام النبلاء (٣/٤١١).
(٢) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. ن: أبواب التفسير (٥/١٢٥) حديث رقم (٣٤٣٢).
(٣) ن: تفسير قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

* * *

* سُورَةُ فُصِّلَتْ *

● ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ... ﴾ (٩)

٩٤٩ – المادة والصورة... ومادة الأرض مادة مشتركة بين أزواج وفحول وهي أخس؛ لأنها مثل مومسة تقبل كل ناكح؛ ومنها الجماد، والمعدنيات داخلة في الجماد، والنبات والحيوانات العجم والإنسان؛ ومنها: الأرض والماء والهواء والنار والآثار العلوية والأجرام السماوية، وكل ما هو فوق الأرض فهو سماء من طريق اللغة؛ لأن أهل اللغة تقول: كل ما علاك فهو سماؤك، وكل ما دون الفلك يعني فلك القمر بالنسبة إلى الأفلاك أرض، لقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢]:

الأولى: كرة النار.

الثانية: كرة الهواء.

الثالثة: كرة الطين المجفف الذي فوق الماء.

الرابعة: الماء.

الخامسة: الأرض البسيطة.

السادسة: الممتزجات من هذه الأشياء.

السابعة: الآثار العلوية.

● ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (١١) [١]

٩٥٠ – العلم بأنه تعالى مستوٍ على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء، هو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء؛ حيث قال في القرآن: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾، وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

---

٩٤٩ – المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢٢، ١٢٣).

٩٥٠ – الإحياء (١/١٢٣).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]

٩٥١ – البليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلًا وفهمًا للخطاب [والخطاب] [١] هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض، وتجيبان بحرف وصوت وتقولان: ﴿ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾، والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مستخرتين بالضرورة مضطرتين إلى التسخير.

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

٩٥٢ – قوة التخييل ليست متشابهة في أصناف الناس، بل هي مترتبة متفاضلة، وربما تكون متضادة، فمن ذلك ما يناسب الروحانيين من الملائكة ويكون مهبطهم إليه ونزولهم عليه، وظهورهم له وتأثيرهم فيه وتمثلهم به، حتى تكلم الشخص بكلامهم وتكلموا بلسانه، ورأى الشخص بأبصارهم وأبصروا بعينه، وسمع بأسماعهم وسمعوا بآذانه وهم ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾.

٩٥٣ – ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فلا يخاف مما تقدم عليه في العقبى، ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا.

• ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا... ﴿٣٣﴾ ﴾

٩٥٤ – قيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾: نزلت في المؤذنين.

• ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

٩٥٥ – قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَظِيمٍ ﴾: هو الرجل يشتمه أخوه فيقول:

---

٩٥١ – الإحياء (١٢٩/١).
٩٥٢ – معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٧٩).
٩٥٣ – منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ٣٤٨).
٩٥٤ – الإحياء (١٧٤/١). ٩٥٥ – نفسه (١٩٠/٣).

---

(١) في الأصل المطبوع: خطابًا.

إن كنت كاذبًا فغفر الله لك وإن كنت صادقًا فغفر الله لي.

• ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ... ﴿٣٧﴾ ﴾

٩٥٦ - ليس المأمور به هو المنهي عنه، والإجماع منعقد على أن الساجد للشمس عاصٍ بنفس السجود والقصد جميعًا.

• ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

٩٥٧ - أظهر الآثار التي يرى فيها جلال ذات الحق وكمال صفاته إنما هو معرفة النفس، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

٩٥٨ - ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ خص بالخطاب سيد الأخلاق والأحباب، غيرة على ذلك المقام، وحرمة لأهله النجب الكرام: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ ﴾ إشارة إلى معرفة ما سوى الله بالله.

* * *

* سُورَةُ الشُّورَى *

• ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ... ﴿١٠﴾ ﴾

٩٥٩ - مفهومه أن ما اتفقتم فيه فهو الحق.

• ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ... ﴿١١﴾ ﴾

٩٦٠ - ليس بجسم مصور ولا جوهر محرور مقدور...، لا يماثل الأجسام لا في التقدير، ولا في قبول الانقسام... ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ولا هو مثل الشيء.

٩٦١ - ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فإن الكاف وضعت للإفادة.

---

٩٥٦ - المستصفى (١/٧٦، ٧٧).

٩٥٧ - معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٦) وكيمياء السعادة، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ١٢٤).

٩٥٨ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٣٢). ٩٥٩ - المستصفى (١/١٧٤).

٩٦٠ - الإحياء (١/١٠٨). ٩٦١ - المستصفى (١/٣٤٢).

٩٦٢ - ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ دال على نفي المماثل لسائر الموجودات.

٩٦٣ - ليس لله تعالى مثل كما قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ولكن له مثال، وقول النبي عليه الصلاة والسلام: « **إن الله تعالى خلق آدم على صورته** »(١) إشارة إلى هذا المثال، فإنه لما كان تعالى وتقدس موجودًا قائمًا بنفسه حيًّا سميعًا بصيرًا عالمًا قادرًا متكلمًا فالإنسان كذلك، ولو لم يكن الإنسان بهذه الأوصاف موصوفًا لم يعرف الله تعالى، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: « **من عرف نفسه فقد عرف ربه** »(٢).

• ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا... ﴿١٣﴾ ﴾

٩٦٤ - قيل: كان النبي ﷺ على شرع نوح عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾... والمختار التوقف.

٩٦٥ - ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ الدين: عبارة عن أصل التوحيد وإنما خصص نوحًا بالذكر تشريفًا له وتخصيصًا.

• ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ... ﴿١٤﴾ ﴾

٩٦٦ - أنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا؛ إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد منهم بالرئاسة وقبول القول، فرد بعضهم على بعض.

• [﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾]

٩٦٧ - القوة: هي تمام القدرة.

• ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ... ﴿٢٦﴾ ﴾

٩٦٨ - روي في غريب التفسير في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

٩٦٢ - فضائح الباطنية (ص ١١٩).
٩٦٣ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص١٣٢).
٩٦٤ - المنخول من تعليقات الأصول (ص ٢٢١، ٢٢٢).
٩٦٥ - المستصفى (٢٥٧/١). ٩٦٦ - الإحياء (٢٠٢/٣).
٩٦٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).
٩٦٨ - الإحياء (١٨٥/٢).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ن: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٢/٣) حديث رقم (٦١٢٩).
(٢) لم أقف على تخريج لهذا الحديث.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم.

• ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾

٩٦٩ - قال علي كرم الله وجهه: ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن؟ قالوا: بلى، فقرأ عليهم: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ فالمصائب في الدنيا تكسب الأوزار، فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيًا، وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة.

• ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ... ﴿٥١﴾ ﴾.

٩٧٠ - ما يحصل إلى الرسول إما بواسطة أشخاص الملائكة - بأن يتمثل له بشرًا سويًّا أو على صورة ما - وإما بغير واسطة، بأن ينقش الله تعالى ذلك نقشًا في الحاسة المتخيلة، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وهو ما يحصل في قوته الخيالية وهو المعروف بالإلهام، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص: ٧].

﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾: أو بواسطة ملك من الملائكة وهو الحجاب، أو يرسل ما يشاء رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء به.

٩٧١ - إن العلوم إنما تحصل في النفوس الإنسانية من الله تعالى بواسطة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾.

٩٧٢ - نور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة.. ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾.

• ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا... ﴿٥٢﴾ ﴾

٩٧٣ - سمى الله ﷻ العلم روحًا، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾.

* * *

---

٩٦٩ - الإحياء (٤/١٣٨).

٩٧٠ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٣٩).

٩٧١ - ميزان العمل (ص ٢٠٥). ٩٧٢ - الإحياء (١/٦٢).

٩٧٣ - ميزان العمل (ص ٣٣٣).

* سُورَةُ الزُّخْرُفِ *

• ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ... ﴿٣٢﴾ ﴾

٩٧٤ - من التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ؛ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم، وكيف نطأطئ رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (١) أي: كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيمًا، وقال تعالى يصف قول قريش: ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم.

٩٧٥ - قالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ قال قتادة: عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي، طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي ﷺ؛ إذ قالوا: غلام يتيم، كيف بعثه الله إلينا؟ فقال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾.

• ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

٩٧٦ - عن سعيد بن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة ﷺ دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال ﷺ « **العاقل** » قالوا: أليس من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته؟ فقال ﷺ: « ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ **إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيسًا ذليلًا** » (٢).

---

٩٧٤ - الإحياء (٣/٢٠٥). ٩٧٥ - نفسه (٣/٣٦٥).
٩٧٦ - نفسه (١/١٠٢).

---

(١) قال الحافظ العراقي: حديث سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ذكره ابن إسحاق في السيرة، وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال: أينزل على محمد وأترك، وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود بن عمير الثقفي سيد ثقيف، فنحن عظماء القريتين فأنزل الله فيما بلغني هذه الآية.

ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس، إلَّا أنهما قالا مسعود بن عمرو، وفي رواية لابن مردويه: حبيب بن عمير الثقفي، وهو ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (١/٣٦٥).
(٢) قال الحافظ العراقي: الحديث أخرجه ابن المجبر، ن: المغني بهامش الإحياء (١/١٠٢).

• ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

٩٧٧ - في الحديث: « **ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل** »[1] ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾.

• ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ... ﴿٨٧﴾ ﴾

٩٧٨ - معناه: إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم.

* * *

* سُورَةُ الدُّخَانِ *

• ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا... ﴿٢٣﴾ ﴾

٩٧٩ - قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾ والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب.

• ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

٩٨٠ - قال علي كرم الله وجهه: إذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، ثم قرأ: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ وقال ابن عباس: تبكي عليه الأرض أربعين صباحًا. وقال عطاء الخرساني[2]: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

• ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

٩٨١ - عجائب الجو؛ ما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق، فهي عجائب ما بين السماء والأرض، وقد أشار القرآن إلى جملة

---

٩٧٧ - الإحياء (٥٣/١).
٩٧٨ - الإحياء (١٠٣/١) وميزان العمل (ص ٣٣٥).
٩٧٩ - الإحياء (٢٩٦/٤). ٩٨٠ - نفسه (١٨٠/١).
٩٨١ - نفسه (٤٧٠/٤).

---

(١) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة، وقال: حسن صحيح، ن: أبواب التفسير (٥٥/٥، ٥٦) حديث رقم (٣٣٠٦).
(٢) هو عطاء بن مسلم المحدث الواعظ، نزيل دمشق والقدس. أرسل عن أبي الدرداء وابن عباس وغيرهما، روى عنه معمر وشعبة ومالك وغيرهم، وثقه ابن معين. (ت١٣٥هـ) ن: تهذيب التهذيب (٢١٢/٧ - ٢١٥) وشذرات الذهب (١٩٢/١، ١٩٣) وسير أعلام النبلاء (١٤٠/٦).

ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ وهذا هو الذي بينهما، وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، حيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر.

* * *

* سُورة الجَاثِيَةِ *

• ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... ﴿٢١﴾ ﴾

٩٨٢ - ومعناها: أيظن الذين اكتسبوا الخطايا ويعملون الأعمال المذمومة أن نسوي بينهم في الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم يؤمنون؟ كلا ساء ما يحكمون.

• ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ... ﴿٢٣﴾ ﴾

٩٨٣ - كل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال اللّٰه تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ وقال ﷺ « **أبغض إله عبد في الأرض عند اللّٰه تعالى هو الهوى** »[(١)].

٩٨٤ - ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ وهو إشارة إلى أن من اتخذ الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد اللّٰه.

٩٨٥ - ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ إذ لا معنى للإله إلا المعبود والمعبود هو المتبوع إشارة؛ فمن كان تردده في جميع أطواره خلف أغراضه البدنية وأوطاره، فقد اتخذ إلهه هواه.

• ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

٩٨٦ - وليس الكتاب آلة العبارة، ولا عدة الإشارة، لكن لما تضمن جميع الأشياء، وأحاط بكل المكونات، واستولى على لطائف الموجودات وكثائفها، كما قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى

---

٩٨٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٢٣).
٩٨٣ - الإحياء (٤٦/١) ومشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٤١).
٩٨٤ - الإحياء (٣١/٣). ٩٨٥ - ميزان العمل (٢٤١).
٩٨٦ - المعارف العقلية (ص ٣١، ٣٢).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٤٦/١).

﴿ كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩] فبهذا المعنى سمى اللّه كتابه ناطقًا، ليعلم العاقل أن الناطق من الناس قد تكون نفسه.

٩٨٧ - أعمال الخلائق كل يوم تعرض على اللّه، فيأمر الكرام البررة أن يستنسخوها في ذلك الكتاب العظيم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾.

* * *

* سُورَةُ الأَحْقَافِ *

• ﴿ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ... ﴿١٥﴾ ﴾

٩٨٨ - تقدير أقل الحمل بستة أشهر أخذًا من قوله تعالى: ﴿ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ ﴾. وقد قال في موضع آخر: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

• ﴿ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

٩٨٩ - فإنه بقدر ما تأخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الآخرة؛ ولهذا المعنى روي أن اللّه تعالى لما عرض الدنيا على نبينا ﷺ قال له: « **ولا أنقص لك من آخرتك شيئًا** » (١) خصه بذلك، فدل على أن لغيره النقصان إلا أن يتفضل اللّه عليه بذلك.

• ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ... ﴿٣٥﴾ ﴾

٩٩٠ - روى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول اللّه ألا تستطعم للّه فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع؟ فقال: « **يا عائشة، والذي نفسي بيده**

---

٩٨٧ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣١).
٩٨٨ - المستصفى من علم الأصول (١٨٩/٢).
٩٨٩ - منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (ص ١٦٦، ١٦٧).
٩٩٠ - الإحياء (٢٣٥/٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا، ورواه أحمد والطبراني متصلًا من حديث أبي مويهبة في أثناء حديث فيه: « إني أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ... » وسنده صحيح، ن: المغني بهامش الإحياء: (٢١٦/٣) وفي مسند ابن حنبل (٤٨٩/٣) روى هذا الحديث عن أبي مويهبة مولى رسول اللّه ﷺ بلفظ: « إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، والجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة » قال: قلت: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة: قال: « لا واللّه يا أبا مويهبة لقد اخترت ربي والجنة » ن: أيضًا سراج الطالبين للكيدري (٤٩٦/١) ون: هامش منهاج العابدين (ص ١٦٦، ١٦٧).

لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبًا لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها، وفقر الدنيا على غناها، وحزن الدنيا على فرحها، يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر على محبوبها، ثم لم يرض إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله » (١).

* * *

* سُورَةُ مُحَمَّدٍ *

• ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ... ﴿١٦﴾ ﴾

٩٩١ - من لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾.

والطابع: موانع الفهم...

أولها: أن يكون الهم منصرفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله ﷻ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه.

فهذا يكون تأمله مقصورًا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني؟ وأعظم ضحكة الشيطان من كان مطيعًا لمثل هذا التلبيس.

ثانيها: أن يكون مقلدًا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه، وثبت في نفسه التعصب

---

٩٩١ - الإحياء (١/٣٤٤ - ٣٣٦).

---

(١) قال الحافظ العراقي: حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق مختصرًا: « يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ». ومجالد مختلف في الاحتجاج به، ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٢٣٥).

له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفًا على مسموعه، فإن لمع برق على بعد، وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويتحرز عن مثله. ولمثل هذا قالت الصوفية: إن العلم حجاب، وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم.

فأما العلم الحقيقي فهو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة، فيكف يكون حجابًا، وهو منتهى المطلب؟.

وهذا التقليد قد يكون باطلًا، فيكون مانعًا كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار، فإن خطر له مثلًا في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه، ولو استقر في نفسه لانجرَّ إلى كشف ثانٍ وثالث ولتواصل، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل، وقد يكون حقًّا ويكون أيضًا مانعًا من الفهم والكشف؛ لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده، له مراتب ودرجات، وله مبدأ ظاهر وغور باطن، وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب « قواعد العقائد » (١).

ثالثها: أن يكون مصرًّا على ذنب أو متصفًا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق أن يتجلى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون. وكلما كانت الشهوات أشد تراكمًا، كانت معاني الكلام أشد احتجابًا، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه، فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة، ولذلك قال ﷺ: « **إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نُزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حُرموا بركة الوحي** » (٢) قال الفضيل (٣): يعني حرموا فهم القرآن، وقد شرط الله ﷻ الإنابة في

---

(١) ن: الإحياء (١/١١٩).

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلًا من حديث الفضل بن عياض قال: ذكر عن نبي الله ﷺ. ن: المغني بهامش الإحياء (١/٣٣٥).

(٣) هو ابن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي الربوعي الخراساني، المجاور =

الفهم والتذكير فقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٨] وقال ﷻ: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر: ١٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩] فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيرًا ظاهرًا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراه ذلك تفسير بالرأي وأن « **من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار** » [(١)] فهذا أيضًا من الحجب العظيمة. وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع [(٢)]. وأن ذلك لا يناقض قول علي ﷺ: « إلا أن يؤتي الله عبدًا فهمًا في القرآن » وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه.

• ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾

٩٩٢ - **الهداية:** ما يمد به العبد حالًا بعد حال، بحسب ترقيه في العلوم، زيادته في صالح الأعمال، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾.

• ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾

٩٩٣ - معناه أنه يعلم المجاهدة كائنة وحاصلة، وفي الأزل لا يوصف علمه بتعلقه بحصوله المجاهدة قبل حصولها.

• ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا... ﴿٣٧﴾ ﴾

٩٩٤ - يحفكم: أي يستقصي عليكم.

٩٩٥ - أي يستقصي عليكم فتبخلوا.

---

٩٩٢ - ميزان العمل (ص ٣٠٢). ٩٩٣ - المستصفى (١٣٨/٢).
٩٩٤ - الإحياء (١٦٦/١، ٢٥٣).
٩٩٥ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٨).

= بحرم الله. كتب بالكوفة عن منصور الأعمش وبيان بن بشر وغيرهم، حدث عنه ابن المبارك وعبد الرحمن ابن مهدي وابن عيينة وغيرهم. قال النسائي: ثقة مأمون، رجل صالح. ت: سنة (١٨٥هـ). ن: تذكرة الحفاظ (٢٤٥/١) وسير أعلام النبلاء (٤١٢/٨).

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ: « اتقوا الحديث عني إلا من علمتم فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » كتاب تفسير القرآن حديث رقم (٢٩٦٠) (٤٣٩/٤).

(٢) ن: الإحياء (٣٤١/١).

• ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ... ﴿٣٨﴾ ﴾

٩٩٦ - كل موجود سوى الله فهو فقير؛ لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال، ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده، فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره، فهو الغني المطلق، ولا يتصور أن يكون مثل الوجود إلا واحدًا، فليس في الوجود إلا غني واحد، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدوا وجودهم بالدوام، وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾.

٩٩٧ - **الغني**: هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته، ولا في صفات ذاته، بل يكون منزهًا عن العلاقة مع الأغيار ولا يتصور ذلك إلا لله تعالى.

* * *

* سُورَةُ الفَتْح *

• ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ... ﴿٢﴾ ﴾

٩٩٨ - **الفتاح**: هو الذي بعنايته ينفتح كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه.

• ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ... ﴿٢٦﴾ ﴾

٩٩٩ - ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة.

• ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ... ﴿٢٧﴾ ﴾

١٠٠٠ - انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم حتى نزول قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ (١).

---

٩٩٦ - الإحياء (٢٠٢/٤).
٩٩٧ - المقصد الأسنى (ص ١٢٨).
٩٩٨ - المقصد الأسنى (ص ٨٠).
٩٩٩ - الإحياء (١٧٦/٣).
١٠٠٠ - نفسه (٥٣٧/٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من روايه مجاهد مرسلًا، ن: المغني بهامش الإحياء: (٥٣٧/٤).

● ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ... ﴿٢٩﴾ ﴾

١٠٠١ - ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ وصفهم بالشدة، وإنما تصدر الشدة عن الغضب، ولو بطل الغضب لبطل الجهاد.

١٠٠٢ - وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ إشارة إلى أن للشدة موضعها وللرحمة موضعها، فليس الكمال في الشدة بكل حال، ولا في الرحمة بكل حال.

١٠٠٣ - من الشجاعة يصدر الإقدام والإحجام، حيث يجب وكما يجب، وهو الخلق الحسن المحمود، وإياه أراد بقوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ فلا الشدة في كل مقام محمودة ولا الرحمة، بل المحمود ما يوافق معيار العقل والشرع.

١٠٠٤ - قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته.

١٠٠٥ - ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ إشارة إلى الشفقة والإكرام.

١٠٠٦ - ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ قيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود.

١٠٠٧ - إذا كانت النفس متصفة بالأخلاق المحمودة منزهة عن الصفات المذمومة، مشتغلة بالله فارغة مما سواه، ظهرت ثمارها على الجثة، فأنابت وخضعت وحقت لها الطمأنينة، فسكنت وبانت عليها الأنوار، وتجللتها الهيبة والوقار، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾.

* * *

١٠٠١ - الإحياء (٦٢/٣). ١٠٠٢ - نفسه (٦٠/٣).
١٠٠٣ - ميزان العمل (٢٦٧) ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ٨٧).
١٠٠٤ - الإحياء (٢١١/٢). ١٠٠٥ - نفسه (١٩١/٢).
١٠٠٦ - نفسه (١٧٧/١).
١٠٠٧ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٤٤).

* سُورَةُ الحُجُرَاتِ *

• ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ... ۝٣ ﴾

١٠٠٨ - قيل: نزع منها محبة الشهوات.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ... ۝٦ ﴾

١٠٠٩ - احتج الأشعري [١] في إثبات خبر الواحد بقوله تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ قال: هذا يدل على أن العدل بخلافه... وقال جماعة من المتكلمين ومنهم القاضي وجماعة من حذاق الفقهاء، ومنهم ابن شريح [٢]. إن ذلك لا دلالة له، وهو الأوجه عندنا.

١٠١٠ - الفاسق مردود الشهادة، والكفر أعظم أنواع الفسق، وقد قال تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ ﴾؛ لأن الفاسق متهم بجرأته على المعصية.

• ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ... ۝٩ ﴾

١٠١١ - ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ الإصلاح: نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ وذلك هو النهي عن المنكر.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ... ۝١١ ﴾

١٠١٢ - معنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على

١٠٠٨ - الإحياء (٧١/٣).
١٠٠٩ - المستصفى (١٩١/١).
١٠١٠ - نفسه (١٥٧/١).
١٠١١ - الإحياء (٣٣٤/٢).
١٠١٢ - الإحياء (١٤٠/٣).

---

(١) أبو الحسن الأشعري؛ علي بن إسماعيل بن إسحاق. وهو مؤسس مذهب الأشاعرة، وكان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد بالبصرة، وتوفي ببغداد، (ت ٣٢٤هـ).

(٢) هو الإمام شيخ القراء أبو عبد الله محمد بن شريح بن أحمد بن شريح مصنف كتاب « الكافي » كان رأسًا في القراءات. بصيرًا بالنحو والصرف، أخذ عن مكي وأجاز له. (ت٤٧٦هـ) ن: شذرات الذهب (٣٥٤/٣) وسير أعلام النبلاء (٥٥٤/١٨).

وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة، قالت عائشة رضي الله عنها: حاكيت إنسانًا، فقال لي النبي ﷺ: « **والله ما أحب أني حاكيت إنسانًا ولي كذا وكذا** »(١).

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢ ﴾

١٠١٣ - الذين زعموا أن في الشرع ما يدل على رد القياس تمسكوا بقوله: ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ قلنا: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ مقبول به عندنا، فليوصف بعضه بخلافه.

١٠١٤ - من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وهو أيضًا منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة.

ومعنى **التجسس**: أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه.

١٠١٥ - يكفيك زجرًا عن الغيبة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ فقد شبهك الله بأكل لحم الميتة، فما أجدرك أن تحترز منها.

١٠١٦ - من عادات العرب في البيان التنبيه على الشيء بذكر نظيره وضرب مثل فيه، دون التعرض له في نفسه، وهو في الإفادة كالتعرض له كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ يعني: أنه محرم كأكل لحم الغير.

١٠١٣ - المنخول (٣٢٨). ١٠١٤ - الإحياء (٣/١٦١).
١٠١٥ - بداية الهداية، ضمن المجموعة (٦) (ص ٦٣).
١٠١٦ - شفاء الغليل (ص ١٠٧).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في الغيبة (٤/٢٩٦) حديث رقم (٤٨٧٥).

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ... ﴿١٣﴾ ﴾

١٠١٧ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ أي: لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد، ثم ذكر فائدة النسب فقال: ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾. ولما قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ لم يقل: من ينتمي إلى نسبي، ولكن قال: « **أكرمهم أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم له استعدادًا** » (١).

وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة، فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد: هذا العبد الأسود يؤذن؟!

١٠١٨ - سئل ابن عباس: ما الكرم؟ فقال: هو ما بيّن الله في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾.

• ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا... ﴿١٤﴾ ﴾

١٠١٩ - ومعناه: استسلمنا في الظاهر. فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام: الاستسلام ظاهر باللسان والجوارح، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت، وبالحساب وبالقدر خيره وشره** »، فقال: فما الإسلام؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس (٢) فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل.

١٠٢٠ - طائفة نطقوا بالشهادتين من غير التفات إلى ما تنطوي عليه من المعنى، ولا احتفاء بالوظائف كأجلاف الأعراب والأعاجم، لكنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا،

١٠١٧ - الإحياء (٣/٣٩٥). ١٠١٨ - نفسه (٣/٥٧).
١٠١٩ - نفسه (١/١٣٨، ١٣٩).
١٠٢٠ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨١).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله: « أكرم الناس » وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر الموت آخر الكتاب، ن: سنن ابن ماجه (٢/١٤٢٣) حديث رقم (٤٢٥٩) ون: المغني بهامش الإحياء (٣/٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، ومسلم من حديث عمر دون ذكر « الحساب ». ن: صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١/١٨) حديث رقم (٥٠) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (١/٣٦) حديث رقم (١).

فلهم حكم المشيئة، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ والسيف عند هؤلاء أصدق أنباء من الكتب، وهو أحد ما يساسون به.

• ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

١٠٢١ – الإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال، فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] إشارة إلى أن للشدة موضعًا، فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال.

١٠٢٢ – فدل بـ « الإيمان بالله ورسوله » على نفي الارتياب وعلى العلم اليقيني والحكمة التي لا يتصور حصولها إلا بإصلاح قوة الفكر.

ودل بالمجاهدة بالأموال على العفة والجود، اللذين هما تابعان بالضرورة لإصلاح الشهوة.

ودل بالمجاهدة بالنفس على الشجاعة والحلم، اللذين هما تابعان لإصلاح الحمية وإسلامها للدين والعقل حتى تنبعث مهما انبعثا، وتسكن مهما سكنًا، وعليه دل قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

* * *

* سُورَةُ قٓ *

• ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾

١٠٢٣ – قد شرط الله ﷻ الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾.

• ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ... ﴿١٩﴾ ﴾

١٠٢٤ – قيل في معنى قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾: أي بالسابقة، يعني أظهرتها.

١٠٢١ – الإحياء (٦٠/٣).
١٠٢٢ – ميزان العمل (ص ٢٣٤، ٢٣٥).
١٠٢٣ – الإحياء (٣٣٥/١).
١٠٢٤ – نفسه (١٤٨/١).

• ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

١٠٢٥ - الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة، فإذا مات ظهرت له الأشياء على ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

١٠٢٦ - بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الأسرار ويصادف كل أحد ما قدمه من خير أو شر محضرًا، ويشاهد كتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وعندها يقال له: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ إنما الغطاء: الخيال والوهم.

• ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

١٠٢٧ - أراد به الملك الموكل به.

• ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

١٠٢٨ - أراد به الشيطان.

• ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ... ﴿٣٣﴾ ﴾

١٠٢٩ - علق الخشية باسم الرحمن، دون اسم الجبار أو المنتقم والمتكبر ونحوه، لتكون الخشية مع ذكر الرحمة، فلا تكون الخشية تطير قلبك بمرة، فيكون تخويفًا في تأمين، وتحركًا في تسكين، كما تقول: أما تخشى الوالدة الرحيمة؟ أما تخاف الوالد الشفيق؟ أما تحذر الأمير الكريم؟ والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلًا فلا تذهب إلى أمن أو قنوط.

• ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

١٠٣٠ - قال بعض المفسرين: يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين:

إحداها: هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

والثانية: السلام عليهم من ربهم، فيزيد ذلك على الهدية فضلًا! وهو قوله تعالى:

١٠٢٥ - المنقذ من الضلال (ص ٣٣٣).

١٠٢٦ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١١).

١٠٢٧ - الإحياء (٣٤٥/١).

١٠٢٨ - نفسه (٣٤٥/١).

١٠٢٩ - منهاج العابدين (ص ٢٥٧).

١٠٣٠ - الإحياء (٣٦٣/١).

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨].

والثالثة: يقول الله تعالى: إني عنكم راضٍ. فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: من النعيم الذي هم فيه. فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد.

• ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

١٠٣١ - ومعنى كونه ذا قلب: أن يكون قابلًا للعلم فهمًا، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد، حاضر القلب؛ ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة.

١٠٣٢ - أن يكون مشتغلًا بالعلم هو المراد بمن له قلب، أو كان فيه من العقل ما يحمله على إلقاء السمع وحسن الإصغاء والضراعة.

١٠٣٣ - ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسًا من القلب، ولست أعني بالقلب هذا الذي تكتنفه عظام الصدر، بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر، واللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه، وسائر الأعضاء عالمه ومملكته، ولله الخلق والأمر جميعًا، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] هو الأمير والملك؛ لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبًا، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق، وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد.

* * *

* سُورَةُ الذَّارِيَاتِ *

• ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾

١٠٣٤ - قيل: الحبك: الطرق، وقيل: ذات الزينة.

فهي دلائل واضحة تدل على فاعلها، وصنعته محكمة صمدية تدل على سعة علم بارئها وأمور ترتيبها، كما تدل على إرادة منشئها، فسبحان القادر العالم المريد.

١٠٣١ - الإحياء (١/٦٤). ١٠٣٢ - ميزان العمل (٣٤٤، ٣٤٥).

١٠٣٣ - الإحياء (٤/٢٧).

١٠٣٤ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص٦).

• ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

١٠٣٥ - السدس الأخير من الليل هو وقت السحر، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قيل: يصلون لما فيها من الاستغفار، وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار.

١٠٣٦ - ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ شكر.

• ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

١٠٣٧ - ليستدل بما شاهد في نفسه على ما لم يشاهد.

١٠٣٨ - ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ وما أراد به ظاهر الجسد، فإن ذلك تبصرة البهائم، فضلًا عن الناس.

١٠٣٩ - قيل في: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ هو سبيل الغائط والبول.

• ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

١٠٤٠ - قال الحسن رحمه الله: لعن الله أقوامًا أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾.

١٠٤١ - قالت الملائكة عند نزول هذه الآية: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾: هلكت بنو آدم، أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم.

• ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

١٠٤٢ - أُكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: ٦٩].

• ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

١٠٤٣ - **الروغان**: الذهاب بسرعة، وقيل: في خفية. وقيل: جاء بفخذ من لحم، وإنما سمي عجلًا؛ لأنه عجله ولم يلبث.

١٠٣٥ - الإحياء (١/٤٤). ١٠٣٦ - أيها الولد (ص ١١٣).
١٠٣٧ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ٨٦).
١٠٣٨ - ميزان العمل (ص ٢٠٠). ١٠٣٩ - الإحياء (٣/٣٥٨).
١٠٤٠ - نفسه (٤/٢٢، ٢٣). ١٠٤١ - منهاج العابدين (ص ١٩٩).
١٠٤٢ - الإحياء (٢/١٨). ١٠٤٣ - نفسه (٢/١٨).

• ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾

١٠٤٤ - لم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد.

• ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾

١٠٤٥ - المخلوقات كلها مفطورة على الازدواج لطيفها وكثيفها، معقولها ومحسوسها، ففي المركبات ازدواج، وفي البسائط ازدواج، وبين البسائط والمركبات ازدواج، والنفوس بواسطة الأفلاك معطية، والعناصر قابلة، وبين المعطي والقابل نتائج ومواليد من المعادن والنبات والحيوان والإنسان، وبين العقل والنفس ازدواج كما بين القلم واللوح ازدواج ومواليد، هما للروحانيات من العقول والنفوس.

ومن له الخلق والأمر متعالٍ على الازدواج أداءً وقبولًا سبحانه أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا.

١٠٤٦ - ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة، إلا اللّٰه تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها.

• ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

١٠٤٧ - تعبد اللّٰه ﷻ الخلق بأن يكون همهم واحدًا وهو اللّٰه سبحانه واليوم الآخر، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

١٠٤٨ - أي ليكونوا عبيدًا لي، ولا يكون العبد عبدًا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية، ولا بد أن يعرف نفسه وربه.

١٠٤٩ - اعلم أن مراعاة مصالح العباد من جملة العبادة، بل هي أفضل العبادات، قال ﷺ: « **الخلق كلهم عيال اللّٰه وأحبهم إلى اللّٰه أنفعهم لعياله** »[1].

١٠٤٤ - نفسه (١/١٣٨).
١٠٤٥ - معارج القدس (ص ١٧٣).
١٠٤٦ - الإحياء (٣/٣٠).
١٠٤٧ - نفسه (١/٢٦٣).
١٠٤٨ - نفسه (٤/٢١).
١٠٤٩ - ميزان العمل (ص ٣٨٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب بروايات متقاربة وأسانيد متعددة (٦/٤٣) والطبراني في المعجم الكبير (١٠/١٠٥).

١٠٥٠ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي: ليعرفون، وعلى التحقيق فلا عبادة إلا عن معرفة بمقتضى النص.

١٠٥١ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ كفى بهذه الآية دليلًا على شرف العبادة ولزوم الإقبال عليها.

١٠٥٢ - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ المراد به الإعلام؛ إذ لو كان قضاءً وحكمًا مبرمًا لعبده الكل، فنشأ الخلاف لعدم الفرقان.

* * *

* سُورَةُ الطُّورِ *

• ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

١٠٥٣ - كل أهوال القيامة تفسر في قوله تعالى: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ فمعنى العمى في القيامة الخوض في الظلمة والمنع عن النظر إلى الكريم؛ إذ نور اللَّه ﷻ تُشرق به الأرض البيضاء، وهم قد ضرب على أبصارهم غشاوة لا ينظرون إلى شيء من ذلك.

• ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ... ﴿٢١﴾ ﴾

١٠٥٤ - أي: ما نقصناهم من أعمالهم، وجعلنا أولادهم مزيدًا في إحسانهم.

• ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

١٠٥٥ - أي: من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق بشيء إلا من شيء.

• ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١)

* * *

١٠٥٠ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٥٢).

١٠٥١ - منهاج العابدين (ص ٥٩).

١٠٥٢ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة (٢) (ص ٣٣).

١٠٥٣ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢١).

١٠٥٤ - الإحياء (٣٠/٢). ١٠٥٥ - نفسه (٣٤٥/١).

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

* سُورَةُ النَّجْمِ *

• ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ﴾

١٠٥٦ - في هذا العالم.

• ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ ﴾

١٠٥٧ - قال قائلون: كان رسول الله ﷺ لا يجتهد لقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ... فالغالب على الظن أنه كان لا يجتهد في القواعد، وكان يجتهد في الفروع، كما روي أنه عليه السلام قال: « **أرأيت لو تمضمضت** » [1].

• ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ﴾

١٠٥٨ - كان علمه ﷺ أكمل وأشرف وأقوى، لأنه حصل من التعليم الرباني، وما اشتغل قط بالتعليم الإنساني، قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾.

١٠٥٩ - رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين على صورته، وأخبر عنه بأنه سد الأفق [2] وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ﴾.

• ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ ﴾

١٠٦٠ - ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر، سماه الله تعالى باسمه فقال: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ سمى إدراك الفؤاد رؤية.

• ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ ﴾

١٠٦١ - في ذلك العالم.

١٠٥٦ - معارج القدس (ص ١٣١). ١٠٥٧ - المنخول (ص ٤٦٨).
١٠٥٨ - الرسالة اللدنية، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ١٠٥).
١٠٥٩ - الإحياء (٣٢٠/٢). ١٠٦٠ - نفسه (١٩/٣).
١٠٦١ - معارج القدس (ص ١٣١).

---

(١) ن: موارد الظمآن لابن حبان، الحديث رقم (٩٠٥).

(٢) قال الحافظ العراقي: « متفق عليه من حديث عائشة ». ن: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٨]، حديث (٤) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (١٥٩/١)، حديث رقم (٦٨٧).

• ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ... ﴿٣٢﴾ ﴾

١٠٦٢ - كل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه.

• ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ... ﴿٣٢﴾ ﴾

١٠٦٣ - قال ابن جريج: معناه: إذا عملت خيرًا فلا تقل عملت.

• ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾

١٠٦٤ - إبراهيم ﷺ: لما وضع في المنجنيق قال: حسبي الله، وكانت هذه من الدعوات العظام، فامتُحن وعورض بجبريل في الهواء، حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله: حسبي الله، فأخبر الله تعالى عنه فقال ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ أي: بموجب قوله: حسبي الله.

• ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾

١٠٦٥ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء بلغة حِمْيَر يعني السمد - فنقول: ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضًا؛ لأن الآية تشتمل عليه.

* * *

* سُورَةُ ٱلْقَمَرِ *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾

١٠٦٦ - قال بعضهم: إن انشقاق القمر ثبت بالقرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾.

* * *

١٠٦٢ - الإحياء (٤/٤٦).
١٠٦٣ - الإحياء (٣/٣٨٩).
١٠٦٤ - نفسه (٤/١٧٩، ١٨٠، ٢٦١).
١٠٦٥ - نفسه (٦/٣١٠).
١٠٦٦ - فضائح الباطنية (ص ١٤١).

* سُورَةُ الرَّحْمَٰن *

• ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ ﴾

١٠٦٧ - أي: حركتها بحساب معلوم.

• ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ ﴾

١٠٦٨ - ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ يعني به العدل.

١٠٦٩ - ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ اعلم يقينًا أن هذا الميزان هو ميزان معرفة اللّٰه تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته، لنتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا هم من الملائكة، فإن اللّٰه تعالى هو المعلم الأول، والثاني جبريل والثالث الرسول ﷺ، والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق إلى المعرفة إلا بهم.

١٠٧٠ - **الميزان**: ما تعرف به حقائق الأشياء ويميز به صحيح العقيدة من الفاسد وهو الواسطة بين السماء والأرض؛ حيث قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾.

وذلك الميزان سر من أسرار الربوبية، لا يعرفه إلا الراسخون في العلم، واللّٰه أعلم.

١٠٧١ - قال قتادة في تفسير هذه الآية: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ قال: أراد به العدل، فقال: يا ابن آدم اعدل كما تحب أن يعدل فيك.

١٠٧٢ - في قراءة عبد اللّٰه بن مسعود ﷺ: (ألا تطغوا في الميزان ۝ وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان ۝) أي: لسان الميزان، فإن النقصان والرجحان يظهر بميله.

• ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾

١٠٧٣ - خلق اللّٰه اللؤلؤ مدورًا في صدف تحت الماء، وأثبت المرجان في جنح

١٠٦٧ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٦).

١٠٦٨ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٧٦).

١٠٦٩ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٩).

١٠٧٠ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٢).

١٠٧١ - التبر المسبوك (ص ٥٥). ١٠٧٢ - الإحياء (٨٨/٢).

١٠٧٣ - الحكمة في مخلوقات اللّٰه ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٨).

صخور البحر، فقال سبحانه: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ وذلك في معرض الامتنان، وقيل المرجان المذكور في القرآن: هو الرقيق من اللؤلؤ.

● ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾

١٠٧٤ - وآلاؤه: تفضله ونعمه.

● ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

١٠٧٥ - يعني على الأرض.

● ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾

١٠٧٦ - قال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ قال: « **وإن، رغم أنف أبي الدرداء** » (١).

● ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾

١٠٧٧ - قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ قال: « **تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقيها من وراء ذلك** » (٢).

● ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

١٠٧٨ - قد تكون [هل] بمعنى قد، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ [الإنسان: ١]

١٠٧٤ - نفسه رقم (١) (ص ١٨).
١٠٧٥ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤١).
١٠٧٦ - الإحياء (٤/٥٨١، ٥٨٢). ١٠٧٧ - نفسه (٤/٧٤٥).
١٠٧٨ - المنخول (ص ٩١). ١٠٧٩ - الإحياء (١/٣٤٥).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٣/١٤٦) ون: ابن كثير (٤/٣٣٣).
(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ دون ذكر أبي سعيد. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « لكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن » ن: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٥)، وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم حديث رقم (٢٨٣٤). ون: المغني (٤/٥٧٥)، وابن كثير (٤/٢٣٥).

والمختار أن معناه استدعاء التقرير، كقوله: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾.

١٠٧٩ - ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ قيل: الإحسان في الدنيا: قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة: الجنة.

١٠٨٠ - ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده، وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى.

• ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ ﴾

١٠٨١ - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق.

• ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢ ﴾

١٠٨٢ - قال أنس: قال رسول الله ﷺ: « **لما أسري بي دخلت في الجنة موضعًا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام، استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن، فطفقن يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ونحن الخالدات فلا نظعن أبدًا** ». وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ (١).

* * *

* سُورَةُ الوَاقِعَةِ *

• ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾

١٠٨٣ - أي: جف القلم بما هو كائن، وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة: إما خافضة قومًا كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قومًا كانوا مخفوضين في الدنيا.

• ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ

١٠٨٠ - الإحياء (٤/٣٦٣). ١٠٨١ - نفسه (٢/٤٥).
١٠٨٢ - نفسه (٤/٥٧٥). ١٠٨٣ - نفسه (٤/١٧٨).

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجده هكذا بتمامه، وللترمذي من حديث علي: « إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له » وقال: غريب. ن: المغني بهامش الإحياء (٤/٧٧٥) ون: سنن الترمذي، أبواب التفسير (٥/٨٨ - ١٠٠)، حديث رقم (٢٦٩٠).

أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ ﴾

١٠٨٤ - قالوا: الناس ثلاثة أصناف:

صنف: المنهمكون في الدنيا بلا التفات إلى العقبى؛ إلا باللسان وحديث النفس، وهم الأكثرون، وقد سموا في كتاب الله تعالى (عبد الطاغوت) و ﴿ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ [الأنفال: ٢٢] ونحوها.

وصنف: مخالفون لهم غاية المخالفة، اعتكفوا بكنه هممهم على العقبى، ولم يلتفتوا أصلًا إلى الدنيا، وهم النساك.

وصنف ثالث: متوسطون، وفوا الدارين حقهما، وهم الأفضلون عند المحققين؛ لأن بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة، ومنهم عامة الأنبياء عليهم السلام؛ إذ بعثهم الله عز وجل لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد.

وقيل: ثُلاثتهم المراد بقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾.

• ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ ﴾

١٠٨٥ - تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد.

• ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ ﴾

١٠٨٦ - قال أبو أمامة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي فقال: يا رسول الله، قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷺ: **« يخضد الله شوكة فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونًا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر »** [1].

١٠٨٤ - ميزان العمل (٣٨٣). ١٠٨٥ - الإحياء (١٩/٢).

١٠٨٦ - الإحياء (٥٧٢/٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسلًا من غير ذكر لأبي أمامة، ن: المغني بهامش الإحياء (٥٧٢/٤).

• ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

١٠٨٧ - قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم:** ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » [(١)].

• ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾

١٠٨٨ - قال أبو سعيد الخدري [(٢)]: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: « **ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض** » [(٣)].

• ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

١٠٨٩ - **العروب**: هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع، وبه تتم اللذة.

• ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

١٠٩٠ - لا يمس ظاهره إلا المتحرز من المنهيات الشرعية، ولا يمس حقائقه إلا المطهرون من أدناس الطبيعة.

١٠٩١ - ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ كما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة الملامس إلا إذا كان متطهرًا، فباطن معناه أيضًا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرًا من كل رجس ومستنيرًا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد، فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب.

• ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

١٠٩٢ - أي: شكر رزقكم.

١٠٨٧ - نفسه (٥٧٢/٤).
١٠٨٨ - الإحياء (٥٧٣/٤).
١٠٨٩ - نفسه (٤٥/٢).
١٠٩٠ - المعارف العقلية (ص ٥٨).
١٠٩١ - الإحياء (٣٣٢/١).
١٠٩٢ - نفسه (٣٤٤/١).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. ن: صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث (٤٨٨١)؛ وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٦).

(٢) هو سعد بن مالك أبو سعيد الخدري الخزرجي، الأنصاري، المدني، صحابي ملازم لرسول الله ﷺ، روى عنه أحاديث كثيرة، توفي بالمدينة (٧٤هـ) ن: صفة الصفوة (٧١٤/١) والاستيعاب (٧١٤/٢).

(٣) أخرجه الترمذي بلفظ: « ارتفاعها كما بين السماء والأرض » وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين ابن سعد، ن: أبواب التفسير (٧٥/٥) حديث رقم (٣٣٤٨).

* سُورَةُ الحَدِيدِ *

• ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾

١٠٩٣ - **الأول**: هو السابق على الموجودات، **والآخر**: هو الذي إليه مصير الموجودات.

١٠٩٤ - أما الظاهر، فمركوز في غراز العقول؛ إذ إن للكل مبدأ، وإن للحادث مُحْدِثًا وللممكن موجودًا واجبًا.

١٠٩٥ - **الظاهر**: هو الذات بالإضافة إلى دليل العقل.

١٠٩٦ - وأما الباطن، فلأن وصفه الخاص لا يعرفه إلا هو، وربما كان باطنًا لغاية ظهوره، كما أن الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا المثال ظاهره باهرة، وبسبب غاية ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة.

١٠٩٧ - **الباطن**: هو الذات بالإضافة إلى إدراك الحس والوهم.

• ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ... ④ ﴾

١٠٩٨ - حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم.

• ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا... ⑬ ﴾

١٠٩٩ - يدل على أن الأنوار لا بد أن تتزود أصلها في الدنيا، ثم يزداد في الآخرة إشراقًا فأما أن يتجدد نور فلا.

• ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ⑭ ﴾

١١٠٠ - قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ قال: بالشهوات واللذات ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ قال: بالتوبة ﴿ وَٱرْتَبْتُمْ ﴾ قال: شككتم ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ قال: الموت ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ⑭ ﴾ قال: الشيطان.

١٠٩٣ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٠٩٤ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٢).

١٠٩٥ - روضة الطالبين ضمن المجموعة رقم (٢) (٦٥).

١٠٩٦ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٢).

١٠٩٧ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٠٩٨ - الإحياء (١٢٨/١). ١٠٩٩ - نفسه (٣٤٢/٤).

١١٠٠ - نفسه (٤٨٩/٤).

١١٠١ - كل [من] (١) ادعى أن معرفة الواحد منحصرة في معرفته فهو بالحقيقة ممكور مغرور، وقوله تعالى: ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ إشارة إلى هذا الغرور.

• ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

١١٠٢ - الصحابة ﷺ الذين هم خير قرن من خير أمة، كان يبدو شيء منهم من المزاح، فنزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

• ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ... ﴿٢٣﴾ ﴾

١١٠٣ - هذا خطاب للعموم.

• ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ... ﴿٢٥﴾ ﴾

١١٠٤ - وإنما أنزل هذه الثلاث؛ لأن الناس ثلاثة أصناف، وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم.

١١٠٥ - قال امتنانًا على عباده: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥] والنزول بمعنى الخلق.

* * *

* سُورَةُ المجَادلَةِ *

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (٢)

• [﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم... ﴿٢﴾ ﴾ الآية]

١١٠٦ - نزلت آية الظهار في سلمة بن صخر (٣).

١١٠١ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٢٧). ١١٠٢ - منهاج العابدين (ص ٢٦١).
١١٠٣ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١٥).
١١٠٤ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٤٨).
١١٠٥ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٥).
١١٠٦ - المستصفى (٢/٦٠).

---

(١) في الأصل المطبوع: « ما »، والصواب ما أثبته.
(٢) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].
(٣) أحكام القرآن (٤/١٨٦) وقيل: نزلت في أوس بن الصامت، ن: أحكام القرآن (٤/١٨٥) =

• ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ... ﴿٣﴾ ﴾

١١٠٧ - قوله ﷺ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ ليس نصًّا في أن الإيمان شرط، ولكنه يشعر به بعموم الصيغة، ونحن غيرناه بالقياس، وحملنا الرقبة المطلقة على الرقبة المسلمة بطريق التخصيص، كما حملوا الكافر المطلق في حديث: « **قتل المسلم بالذمي** » على الكافر الحربي، وحملنا السارق المطلق على السارق للنصاب، وحملوا ذوي القربى في آية الغنائم على الفقراء منهم بطريق التخصيص، وذلك غير ممتنع.

فإن قيل: الإيمان زيادة في وصف الواجب، والزيادة في الوصف كالزيادة في القدر. فكما امتنع في إطعام ستين مسكينًا، وصوم ستين زيادة في القدر المنصوص بالقياس، فكذلك لا تجوز الزيادة في الوصف.

قلنا: لو ورد الإطعام مطلقًا في موضع ومقيدًا بالعدد في موضع، فيجوز أن يجعل المطلق مقيدًا، فذلك العدد إذا فهمنا العلة في التبليغ إلى ذلك المبلغ، فأما إذا نص على قدرين متفاوتين متعددين في المحلين، فلا نقيس أحدهما على الآخر؛ لأن التقدير نص، فلا تطلق أربعون لإرادة الستين، ويجوز أن تطلق الرقبة ويراد المؤمنة على الخصوص، اكتفاءً بالتنبيه على أصل الإيجاب، وإعراضًا عن التفصيل، واكتفاءً بما جرى من التعرض له في غير ذلك الموضع بالوقوف على علته.

فقد يقول الفقيه في مساق كلامه: الزنا يثبت بأربعة شهود، ولا يتعرض في الحال للعدالة، وهو يريد الشهود العدول، إذا لم تكن الصفات من مقصود كلامه، بل غرضه التنبيه على العدد، فيقتصر عليه، فلا يتعلق بعمومه حتى لا ينسب إلى مخالفة ولكن يقال: إذا عرفت الشهادة مقيدة بالعدالة شرعًا في مواضع، فإطلاق الفقيه اسم الشهادة محتمل للمقيد بذلك القيد.

فكذلك مطلق الرقبة في هذا الموضع محتمل للمقيد بقيد الإيمان المعلوم وجوبه في الشرع.

فإذا احتمل هذا لم يكن نصًّا، فيجوز أن يقدم القياس عليه.

١١٠٨ - ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ يعم الكافرة، فلو ورد مرة أخرى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ في الظهار بعينه، لتبين لنا أن المراد بالرقبة المطلقة العامة هي المؤمنة على الخصوص ....

١١٠٧ - شفاء الغليل (ص ٥٧٦ - ٥٧٨). ١١٠٨ - المستصفى (٢/١٠٣ - ١٠٥).

= وابن كثير (٤/٣٨٣).

فعموم الرقبة مثلًا يقتضي إجزاء الكافرة مهما أريد به العموم، والتقييد بالمؤمنة يقتضي منع إجزاء الكافرة، فهما متعارضان، وإذا أمكن النسخ والبيان جميعًا فلم يتحكم بحمله على البيان دون النسخ؟ ولم يقطع بالحكم على العام بالخاص؟ ولعل العام هو المتأخر الذي أريد به العموم وينسخ به الخاص، وهذا هو الذي اختاره القاضي.

والأصح عندنا تقديم الخاص، وإن كان ما ذكره القاضي ممكنًا، ولكن تقديم النسخ محتاج إلى الحكم بدخول الكافرة تحت اللفظ ثم خروجه عنه، فهو إثبات وضع ورفع بالتوهم.

وإرادة اللفظ العام غالبًا معتاد، بل هو الأكثر، والنسخ كالنادر، فلا سبيل إلى تقديره بالتوهم، ويكاد يشهد لما ذكرناه من سير الصحابة والتابعين كثير، فإنهم كانوا يسارعون إلى الحكم بالخاص على العام، وما اشتغلوا بطلب التاريخ والتقدم والتأخر.

١١٠٩ – ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ فإنه يعم المؤمنة وغير المؤمنة، فيجوز تخصيص العموم؛ إذ قد يراد بالآية ذكر أصل الكفارة، ويكون أمرًا بأصل الكفارة دون قيودها وشروطها، فلو استقر العموم وحصل القطع بكون العموم مرادًا لكان نسخه ورفعه بالقياس وخبر الواحد ممتنعًا.

١١١٠ – ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ ليس هو نصًا في إجزاء الكفارة، بل هو عام يعتقد ظهوره مع تحرير قيام الدليل على خصوصه، أما أن يعتقد عمومه قطعًا فهذا خطأ في اللغة.

١١١١ – إن اتحد الموجب واختلف الموجب ففيه خلاف، ومثاله: شرط الإيمان في كفارة الظهار لثبوته في القتل.

١١١٢ – زعم أبو حنيفة ﷺ أن حمل المطلق على المقيد زيادة على النص، وهو النسخ، وجعل إيجاب الرقبة المؤمنة في الظهار اعتبار له بالقتل من هذا الفن.

• ﴿ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ... ۝ ﴾

١١١٣ – يقتضي مراعاة عدد المساكين.

١١١٤ – قال قوم: قوله تعالى: ﴿ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ﴾ نص في وجوب رعاية

١١٠٩ – المستصفى (١١٩/١).
١١١٠ – نفسه (١٨٦/٢).
١١١١ – المنخول (ص ١٧٨).
١١١٢ – نفسه (ص ١٧٢).
١١١٣ – نفسه (ص ١٤٧).
١١١٤ – المستصفى (٤٠٠/١، ٤٠١).

العدد ومنع الصرف لمسكين واحد في ستين يومًا، وقطعوا ببطلان تأويله، وهو عندنا من جنس ما تقدم [1]، فإنه إن أبطل لقصور الاحتمال. وكون الآية نصًا بالوضع الثاني فهو غير مرضي فإنه يجوز أن يكون ذكر المساكين لبيان مقدار الواجب.

ومعناه: فإطعام ستين مسكينًا، وليس هذا امتناعًا في توسع لسان العرب، نعم دليله تجريد النظر إلى سد الخلة.

والشافعي يقول: لا يبعد أن يقصد الشرع ذلك لإحياء ستين مهجة، تبركًا بدعائهم وتحصنًا عن حلول العذاب بهم، ولا يخلو جمع من المسلمين عن ولي من الأولياء يغتنم دعاؤه، ولا دليل على بطلان هذا المقصود.

فتصير الآية نصًّا بالوضع الأول والثالث لا بالوضع الثاني.

• ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ... ﴿١١﴾ ﴾

١١١٥ - فسر ابن عباس ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ فقال: يرفع اللَّه العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

١١١٦ - وقال: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام.

١١١٧ - العلم فوق الإيمان، والذوق فوق العلم، والذوق وجدان، والعلم قياس، والإيمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن بأهل الوجدان أو بأهل العرفان.

• [﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً... ﴿١٢﴾ ﴾]

١١١٨ - نسخ تقديم الصدقة أمام المناجاة، والتلاوة باقية.

• ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ... ﴿٢٢﴾ ﴾

١١١٩ - في الأولياء.

* * *

١١١٥ - الإحياء (٣/٢٥). ١١١٦ - نفسه (١/١٥).
١١١٧ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص٣٦).
١١١٨ - المستصفى (١/١٢٤).
١١١٩ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص١٠٤، ١٠٥).

(١) قول بعض الأصوليين: كل تأويل يرفع النص أو شيئًا منه فهو باطل، ن: المستصفى (١/٣٩٤).

* سُورَةُ الحَشْرِ *

• ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

١١٢٠ - ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الحشر: ٤].

وليس كل من يشاقق اللَّه يخرب بيته، فتكون العلة منقوضة، ولا يمكن أن يقال: إنه علة في حقهم خاصة؛ لأن هذا يعد تهافتًا في الكلام، بل نقول: تبين بآخر الكلام أن الحكم المعلل ليس هو نفس الخراب، بل استحقاق الخراب، خرب أم لم يخرب، أو نقول: ليس الخراب معلولًا بهذه العلة لكونه خرابًا، بل لكونه عذابًا، وكل من شاق اللَّه ورسوله فهو معذب، إما بخراب البيت أو غيره، فإن لم يتكلف مثل هذا كان الكلام منتقضًا.

١١٢١ - ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ إذ معنى الاعتبار: العبور من الشيء إلى نظيره إذا شاركه في المعنى، كما قال ابن عباس: « هلا اعتبروا بالأصابع ».

• ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟... ﴿٧﴾ ﴾

١١٢٢ - **الفيء**: هو كل مال فاء إلى المسلمين من الكفار بغير إيجاف خيل وركاب كما إذا انجلوا عنه خوفًا أو بذلوه لنكف عن قتالهم فهو مخمس، وكذا ما أخذ بغير تخويف كالجزية والخراج والعشر، ومال المرتد، ومال من مات ولا وارث له.

فخمس هذا المال مقسوم بخمسة (ح) أسهم بحكم نص الكتاب:

السهم الأول: المضاف إلى اللَّه تعالى ورسوله ﷺ مصروف إلى مصالح المسلمين (و) إذ كان لرسول اللَّه ﷺ في حياته، والأنبياء لا يورثون، ومصالح المسلمين: سد الثغور وعمارة القناطر وأرزاق القضاة وأمثاله.

السهم الثاني: لذوي القربى، وهم أقارب رسول اللَّه ﷺ، كبني هاشم وبني عبد المطلب، دون غيرهم من بني عبد شمس وبني نوفل، ويشترك في استحقاقه الغني والفقير والصغير والكبير والرجل والمرأة والغائب والحاضر، بعد أن يكون الانتساب لجهة الآباء، ولا يفضل

١١٢٠ - المستصفى من علم الأصول (٢/٣٣٧، ٣٣٨).

١١٢١ - نفسه (٢/٢٥٤). ١١٢٢ - الوجيز (٢/١٨٨، ١٨٩).

أحد على أحد إلا بالذكورة فإنه يضعف به الحق كما في الميراث.

السهم الثالث: اليتامى: وهو كل طفل لا كافل له، وشرط كونه فقيرًا على أظهر الوجهين؛ لأن لفظ اليتيم ينبئ عنه.

السهم الرابع: للمساكين.

السهم الخامس: لأبناء السبيل.

وبيانها في تفريق الصدقات. والمستحقون بالحاجة تتفاوت حقوقهم بتفاوت الحاجة.

أما الأخماس الأربعة فقد كانت لرسول الله ﷺ في حياته، وبعده ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها للمصالح كخمس الخمس. **والثاني:** يقسم كما يقسم الخمس، فيكون جملة الفيء مقسومًا بخمسة أقسام كما دل ظاهر الكتاب عليه، **والثالث:** وهو الأظهر أنه للمرتزقة المقاتلين كأربعة أخماس الغنيمة.

١١٢٣ - ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ هذا صريح في التعليل.

١١٢٤ - ألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به عنه في أمر الدنيا والآخرة، وألزمهم اتباعه والاقتداء به، فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

• ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ... ⁽٩⁾ ﴾

١١٢٥ - وصف الله تعالى المحبين في الله فقال: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ووجود الحاجة هو الحسد.

١١٢٦ - ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي: لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد.

• ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ⁽١٣⁾ ﴾

١١٢٧ - أحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه [١].

١١٢٣ - شفاء الغليل (ص ٢٤).
١١٢٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٠).
١١٢٥ - الإحياء (٣/٢٠٤).
١١٢٦ - نفسه (٢/٢٠٢).
١١٢٧ - نفسه (١/٤٤).

---

(١) قال الإمام الغزالي: « ما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تعريفات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف، بل التجرد على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له ». الإحياء (١/٤٤).

• ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

١١٢٨ - روي عن النبي ﷺ أنه قال: « **كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها، وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك قل ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال: ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها، فأطعني تنج وأخلصك منهم قال: بماذا؟ قال: اسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين، فقال له الشيطان: إني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه:** ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ »[1].

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ... ﴿١٨﴾ ﴾

١١٢٩ - هذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال.

• ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

١١٣٠ - تنبيهًا على تلازم الأمرين، وأن نسيان أحدهما مع نسيان الآخر.

١١٣١ - ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم، يقال: فسقت الرطبة عن كمامها إذا خرجت عن معدنها الفطري.

• [﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ... ﴿٢٣﴾ ﴾]

١١٣٢ - **القدوس**: هو المسلوب عنه كل ما يخطر بالبال ويدخل في الوهم.

السلام: هو المسلوب عنه كل عيب ونقص.

١١٢٨ - الإحياء (٣٤/٣). ١١٢٩ - الإحياء (ص ٤٢٨).
١١٣٠ - ميزان العمل (ص ٢٠٠). ١١٣١ - الإحياء (ص ٤٠٣/٣).
١١٣٢ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن مردويه في التفسير من حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلًا، وللحاكم نحوه موقوفًا على علي بن أبي طالب، وقال: صحيح الإسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي، ن: المغني بهامش الإحياء (٣٤/٣) وتفسير ابن كثير (٤٠٩/٤).

• ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١]

* * *

* سورة الممتحنة *

• ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ... ﴾

١١٣٣ - ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ المراد به: العلم الحقيقي بكلمة الشهادة التي هي ظاهر الإيمان، دون الباطن الذي لم يكلف به. والإيمان باللسان يسمى إيمانًا مجازًا.

١١٣٤ - ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ نسخ لما قرره ﷺ من العهد والصلح.

* * *

* سورة الصف *

• ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

١١٣٥ - المراد به: الوعد الكاذب.

* * *

* سورة الجمعة *

• ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ... ﴾

١١٣٦ - أي: يطهرهم من الأخلاق المذمومة؛ من صفات البهائم، ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم.

• ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا... ﴾

١١٣٧ - مثل الله ﷻ من يعلم ولا يعمل بالحمار، فقال ﷻ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟

١١٣٣ - المستصفى (١/١٤٥، ١٤٦).

١١٣٤ - نفسه (١/١٢٤).

١١٣٥ - الإحياء (٢/٣٤٢).

١١٣٦ - كيمياء السعادة، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ١٢٣).

١١٣٧ - الإحياء (٣/٣٨٣)، وكتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١١٨).

---

(١) ن: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ أراد به علماء اليهود.

• ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

١١٣٨ - ذلك أنهم ادعوا الولاية، وكان من المعلوم أن الولي يتمنى لقاء وليه، وكان من المعلوم أنهم لا يتمنون الموت الذي هو سبب اللقاء، فلزم ضرورة أنهم ليسوا أولياء لله.

وكمال صورة هذا الميزان أن يقال: كل ولي يتمنى لقاء وليه، واليهودي لا يتمنى لقاء الله، فلزم منه أنه ليس بولي الله، وحده أن التمني يوصف به الولي وينتفي عن اليهود، فيكون الولي واليهودي متباينين لسلب أحدهما عن الآخر فلا يكون الولي يهوديًا، ولا اليهودي وليًا.

١١٣٩ - ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فإنه علم في العادة أن المحب يحب لقاء الحبيب، وتأليف القياس فيه أن يقال: إن كنت تحب لقاء زيد فأنت صديقه، لكنك تحب لقاءه فأنت إذًا صديقه، فيجيء البيان على وفق المقدمة.

ونظم القياس لليهود أن يقال: إن كان اليهودي يحب لقاء الله تعالى فهو ولي، لكنه يكره لقاء الله تعالى، فإذًا ليس هو بولي.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾

١١٤٠ - حرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة.

١١٤١ - ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فمعقوله: تحريم التجارة والجلوس في البيت.

١١٤٢ - ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ فإنه أوجب السعي، والتعريج على البيع مانع، فكان تحريمه لكونه مانعًا، فلا جرم انعقد البيع وفارق البيع المنهي عنه لعينه.

فإن قيل: بمَ عرف هذا، وهلا قيل: السعي إلى الجمعة مقصود الإيجاب، والمنع من

١١٣٨ - القسطاس المستقيم، ضمن المجموعة رقم (٣) (ص ٢٢).

١١٣٩ - معراج السالكين، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٥٣).

١١٤٠ - الإحياء (٢١١/١).

١١٤١ - شفاء الغليل (ص ٥٠، ٥١).

١١٤٢ - المستصفى (٢٤٥/٢).

البيع مقصود؟ قلنا: فهم ذلك من سياق الآية فهمًا لا يتمارى فيه.

فإن قيل: السياق عبارة عن محملة، فما معنى السياق؟ وما مستند هذا الفهم؟

قلنا: المعني به: أن هذه الآية في سورة الجمعة إنما نزلت وسيقت لمقصد: وهو بيان الجمعة، قال اللَّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وما نزلت الآية لبيان أحكام البيعات ما يحل منها وما يحرم.

فالتعرض للبيع لأمر يرجع إلى البيع في سياق هذا الكلام يخبط الكلام ويخرجه عن مقصوده، ويصرفه إلى ما ليس مقصودًا به، وإنما يحسن التعرض للبيع إذا كان متعلقًا بالمقصود، وليس يتعلق به إلا من حيث كونه مانعًا للسعي الواجب، وغالب الأمر في العادات جريان التكاسل والتساهل في السعي بسبب البيع، فإن وقت الجمعة يوافي الخلق وهم منغمسون في المعاملات.

فكان ذلك أمرًا مقطوعًا به لا يتمارى فيه، فعقل أن النهي عنه لكونه مانعًا من السعي الواجب، فلم يقتضِ ذلك فسادًا، ويتعدى التحريم إلى ما عدا البيع من الأعمال والأقوال وكل شاغل عن السعي لفهم العلة.

١١٤٣ - ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ فهي نهي عن البيع، وحكمنا بأنه غير منهي عنه لعينه، بدلالة عرضت من سياق الآية فقط، وهو: أن الآية سيقت لمقصد، وحظره لأمر يرجع إلى البيع في إدراجه، فكان التعرض للبيع من الوجه الذي يتلعق به، وهو تضمنه ترك السعي الواجب، فيتعدى التحريم إلى الإجارة والنكاح والأقوال والأعمال المانعة مع الحكم بصحة البيع وسائر التصرفات؛ لأن النهي لا يلاقيها، ولا دليل سوى ما عرف من سياق الآية.

• ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ... ﴿١٠﴾ ﴾

١١٤٤ - قال أنس بن مالك [٢] في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾: أما أنه ليس بطلب دنيا، لكن عيادة مريض وشهود جنازة

١١٤٣ - شفاء الغليل (ص ٦٥، ٦٦). ١١٤٤ - الإحياء (١/١١٩).

---

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري أبو حمزة صاحب النبي ﷺ وخادمه، شهد بدرًا وهو غلام (ت ٩٣هـ)، ن: صفة الصفوة (١/٧١٠) وتهذيب الأسماء (١/١٢٦).

وتعلم علم وزيارة أخ في الله ﷻ(١).

وقد سمى الله ﷻ العلم فضلًا في مواضع: قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ [سبأ: ١٠] يعني العلم.

فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه أفضل القربات.

١١٤٥ - ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ فالمراد به: العلم والثواب، وقيل: هو رخصة؛ إذ هو أمر وارد بعد الحظر، فيكون بمعنى الإباحة لا بمعنى الإيجاب والإلزام.

* * *

* سُورَةُ المنافِقُونَ *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

● ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ﴾

١١٤٦ - أي: في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم.

١١٤٧ - ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ وقد قالوا: إنك لرسول الله، وهذا صدق، ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان، بل هو من حيث ضمير القلب، وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر، وهذا القول يتضمن إخبارًا بقرينة الحال؛ إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول، فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه، فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به، فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص، فكل صادق فلا بد وأن يكون مخلصًا.

● ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا... ۝١١ ﴾

١١٤٨ - قيل: الأجل القريب الذي يطلبه: معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد:

١١٤٥ - منهاج العابدين (ص ٢٠٤). ١١٤٦ - الإحياء (٣/٣١٩).
١١٤٧ - نفسه (٤/٤١١). ١١٤٨ - نفسه (٤/١٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن أنس مرفوعًا، ولم يذكر: « وتعلم ». ن: جامع البيان (١٨/١٠٣) ورواه القرطبي في تفسيره (١٨/١٠٩) بنحوه عن ابن عباس من قوله، انظره في الدر (٨/١٦٥).

يا ملك الموت أخرني يومًا أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود صالحًا لنفسي فيقول: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: فأخرني ساعة فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتردد أنفاسه في شراسفه (١)، ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر.

* * *

* سُورَةُ التَّغَابُنِ *

● ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا... ﴿٨﴾ ﴾

١١٤٩ - أعظم الحكمة كلام الله تعالى، ومن جملة كلامه القرآن خاصة، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة؛ إذ به يتم الإبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نورًا كما يسمى نور الشمس نورًا، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾.

● ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ... ﴿١٥﴾ ﴾

١١٥٠ - لما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال: « صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ إني لما رأيت ابني تعثر لم أملك نفسي أن أخذته » (٢) ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار.

* * *

١١٤٩ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢).
١١٥٠ - الإحياء (٧٣/٤).

---

(١) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. اللسان (شرسف).

(٢) روى الترمذي وغيره واللفظ للترمذي قال: « كان النبي ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله؛ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما] وقال الترمذي: حسن غريب. كتاب المناقب، مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب. وأخرجه أبو داود في « كتاب الصلاة » باب: الإمام يقطع الخطبة لأمر يحدث (ح١١٠٩)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة (١٠٣/٣) وابن ماجه في كتاب اللباس، باب: لباس الأحمر للرجال (ح٣٦٠٠). والإمام أحمد (٣٥٤/٥) كلهم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه باختلاف يسير في اللفظ.

* سُورَةُ الطَّلَاقِ *

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ... ﴿١﴾ ﴾

١١٥١ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ عام؛ لأن ذكر النبي جرى في صدر الكلام تشريفًا، وإلا فقوله: ﴿ طَلَّقْتُمُ ﴾ عام في صيغته.

١١٥٢ - قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾: مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة، وهذا أريد به في العدة، ولكنه تنبيه على المقصود.

• ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ... ﴿٣﴾ ﴾

١١٥٣ - ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ من الإشكالات والشبه: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ يعلمه علمًا من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة.

١١٥٤ - معناه: ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجًا من الشدائد.

• ﴿ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ... ﴿٦﴾ ﴾

١١٥٥ - ﴿ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾ أنكر أبو حنيفة مفهومه لما ذكرناه (١) ويجوز أن نوافق الشافعي في هذه المسألة وإن خالفناه في المفهوم من حيث إن انقطاع ملك النكاح يوجب سقوط النفقة، إلا ما استثني والحمل هي المستثنى، فيبقى الحائل على أصل النفي، وانتفت نفقتها لا بالشرط لكن انتفاء النكاح الذي كان علة النفقة.

١١٥٦ - الصحيح أنه يجب تعجيل النفقة قبل الوضع بنفس الحمل لظاهر الآية.

١١٥١ - المستصفى (٢/٦٥).
١١٥٢ - الإحياء (٢/٦٢).
١١٥٣ - نفسه (٣/٢٦).
١١٥٤ - منهاج العابدين (ص ٢٢).
١١٥٥ - المستصفى (٢/٢٠٦).
١١٥٦ - الوجيز في الفقه (٢/١١٤).

---

(١) ذكر الإمام الغزالي مراتب ودرجات توهم النفي من الإثبات من بينها: الشرط؛ وذلك أن يقول: إن كان كذا فافعل كذا، وإن جاءكم كريم قوم فأكرموه، ﴿ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾ وقد ذهب ابن شريح وجماعة من المنكرين للمفهوم إلى أن هذا يدل على النفي، ن: المستصفى (٢/٢٠٥).

• ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ... ﴿٧﴾ ﴾

١١٥٧ - قيل معناه: ليبع أحد ثوبيه، وقيل معناه: فليستقرض بجاهه، فذلك مما آتاه الله.

• ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

١١٥٨ - قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ لو ذكرت تفسيره لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر.

١١٥٩ - عبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق، حيث قرأ قوله تعالى: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ فقال: لو ذكرت ما أعرفه عن معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر.

١١٦٠ - اعلم أن العلم والعمل لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما بينهما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ وكفى بهذه الآية دليلًا على شرف العلم ووجوب طلبه، لا سيما علم التوحيد.

١١٦١ - كأن الله عز وجل يقول: إني خلقت السماوات والأرض وما بينهما في كل هذه الصنائع والبدائع، واكتفيت بنظرك لتعلم أني عالم، وأنت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والتقصير، فلا تكتفي بنظري إليك، وبعلمي بك، وثنائي عليك، وشكري لك، حتى تحب أن يعلم الخلق ليمدحوك بذلك، أيكون ذلك وفاء؟ أيكون ذلك عقلًا يرضاه أحد لنفسه؟ ويحك أفلا تعقل؟

* * *

* سُورَةُ التَّحْرِيمِ *

• ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا... ﴿٣﴾ ﴾

١١٦٢ - قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾

١١٥٧ - الإحياء (٢٢٢/٤). ١١٥٨ - نفسه (١١٩/١).

١١٥٩ - نفسه (١٠٣/٤).

١١٦٠ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٨)، ومنهاج العابدين رقم (٥٩).

١١٦١ - منهاج العابدين (٢٩٢).

١١٦٢ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٠).

قال في الحديث: « **إن أباك هو الخليفة من بعدي** »[٢].

• ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا... ۝٤ ﴾

١١٦٣ - قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي: مالت، وقال ذلك في خير أزواجه[٣].

• ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا... ۝٦ ﴾

١١٦٤ - أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا... ۝٨ ﴾

١١٦٥ - ومعنى النصوح: الخالص لله تعالى، خاليًا من الشوائب، مأخوذ من النصح.

• ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ... ۝٨ ﴾

١١٦٦ - روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، « **إني أجعل حساب أمتك إليك** » قال: « **لا يا رب أنت أرحم بهم مني** ». فقال: « **إذن لا نخزيك فيهم** »[٤].

١١٦٧ - ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ أي: يوم القيامة.

١١٦٨ - ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ﴾ هو أن ينعم عليهم بإتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق فيكون هو المراد بتمامه.

١١٦٣ - الإحياء (٢/٥١).
١١٦٤ - نفسه (٢/٣٨).
١١٦٥ - نفسه (٤/٦).
١١٦٦ - نفسه (٤/١٥٥).
١١٦٧ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٢٦).
١١٦٨ - الإحياء (٤/٣٤٢).

---

(٢) رواه البغوي في المعالم (٧/١١٦) عن ميمون بن مهران قال: « أسر إلى حفصة أن أبا بكر هو خليفتي بعدي ... ».

(٣) حديث نزول قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ في خير أزواجه. متفق عليه من حديث عمر، والمرأتان: عائشة وحفصة ﵄، ن: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته لحال زوجها حديث رقم (٥١٩١)، وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ حديث رقم (٣٤).

(٤) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله. ن: المغني بهامش الإحياء (٤/١٥٥).

• ﴿ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا... ﴿١٠﴾ ﴾

١١٦٩ – قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون.

* * *

* سُورَةُ المُـلْكِ *

• ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا... ﴿٢﴾ ﴾

١١٧٠ – قال السدي (١): أي أيكم أكثر للموت ذكرًا وأحسن له استعدادًا وأشد منه خوفًا وحذرًا.

• ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ... ﴿٨﴾ ﴾

١١٧١ – أي: تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها.

• ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾

١١٧٢ – عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الفجار في النار:** ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ » (٢).

• ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

١١٧٣ – أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإضمارهم؛ لعلمه بموارد أفعالهم، واستدل على العلم بالخلق، وكيف لا يكون خالقًا لفعل العبد، وقدرته تامة لا قصور فيها، وهي متعلقة بحركة أبدان العباد، والحركات متماثلة، وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها؟ أو كيف يكون الحيوان مستبدًا بالاختراع، ويصدر عن العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من

١١٦٩ – الإحياء (٣/١٦٤). ١١٧٠ – الإحياء (٤/٤٨٨).

١١٧١ – الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢٧).

١١٧٢ – الإحياء (١/١٠٠). ١١٧٣ – نفسه (١/١٣٢).

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير، القرشي أبو بكر، اشتهر بالتفسير والسير، روى عن ابن عباس وأنس، واتهم بالتشيع. (ت ١٢٧هـ) ن: ميزان الاعتدال (١/٢٣٦) وطبقات المفسرين (٢/١١٠).

(٢) قال الحافظ الزبيدي: أخرجه داود بن المجبر في كتابه: « العقل ». ن: الإتحاف (١/٧٥٥).

وظائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب، وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب؟

هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسماوات.

١١٧٤ - ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب، ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف، فما ذكر الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف.

١١٧٥ - ﴿ ٱللَّطِيفُ ﴾: يدل على الفعل مع الرفق.

• ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا... ﴿١٥﴾ ﴾

١١٧٦ - من الحكمة في لينها تيسير السير للسعادة فيها، وإذا صلبت عسر السير ولم تظهر الطرق، وقد نبه الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾.

• ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

١١٧٧ - قيل في تفسيره: إنه مثل ضربه الله ليوم القيامة في حشر المؤمنين والكافرين.

* * *

* سُورَةُ القَلَمِ *

• ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾

١١٧٨ - من فضل القلم وشرفه، أن الله تعالى أقسم به فقال عز من قائل: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

١١٧٩ - من شرف الكتابة أن الله ﷻ أقسم بها فقال: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فإن

١١٧٤ - الإحياء (١/١٢٩).

١١٧٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

١١٧٦ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (١) (ص ١٤).

١١٧٧ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٢١).

١١٧٨ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٩٣).

١١٧٩ - المعارف العقلية (ص ٧٨).

الكتابة نعمة من نعم اللَّه تعالى ولها مزية حسنة عند ذوي الألباب؛ لأنها تحفظ ما يتولد عن أفهام العقلاء، وتقيد ما تصطاده أذهان الحكماء.

• ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾

١١٨٠ - قال اللَّه تعالى لنبيه وحبيبه مثنيًا عليه ومظهرًا نعمته لديه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول اللَّه ﷺ خلقه القرآن » [1].

• ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾

١١٨١ - ﴿ عُتُلٍّ ﴾ قيل: العتل هو الفظ اللسان، الغليظ القلب على أهله.

١١٨٢ - قال عبد اللَّه بن المبارك [2]: الزنيم: ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا، استنباطًا من قوله عز وجل: ﴿ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ والزنيم: هو الدَّعِيّ.

• ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝ ﴾

١١٨٣ - تخصيصًا لقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥].

• ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ ﴾

١١٨٤ - يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس تعظيمًا له وتواضعًا، إلا الكفار فإن أصلابهم تعود حديدًا فلا يقدرون على السجود، وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ ﴾، وروى البخاري في تفسيره مسندًا إلى رسول اللَّه ﷺ قال: « **يكشف اللَّه عن ساقه يوم القيامة فيسجد كل مؤمن ومؤمنة** » [3].

١١٨٠ - الإحياء (٥٤/٣).
١١٨١ - نفسه (٥٠/٢).
١١٨٢ - نفسه (١٦٤/٣).
١١٨٣ - المستصفى (١٤٦/٢).
١١٨٤ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ضمن المجموعة (٦) (ص ١٢٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) هو أبو عبد الرحمن بن المبارك بن واضح المروزي، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس وغيرهم، وروى عنه معمر وابن وهب وغيرهما. توفي (سنة ١٨١هـ)، ن: صفوة الصفوة (١٣٤/٤) ووفيات الأعيان (٣٢/٣) والسير: (٣٧٨/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ن: كتاب التفسير حديث رقم (٤٩١٩).

● ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

١١٨٥ – قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: إنهم كلما أحدثوا ذنبًا، أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

● ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

١١٨٦ – قال الحسن: العراء هو يوم القيامة.

ونهي النبي ﷺ أن يقتدي بيونس عليه السلام، وقيل له: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨][(١)].

* * *

* سُورَةُ الحَاقَةِ *

● ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾

١١٨٧ – ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] وهو معنى قوله: ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾.

● ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

١١٨٨ – قال وكيع [(٢)] في قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ

١١٨٥ – الإحياء (٣/٤٠٥). ١١٨٦ – نفسه (٤/٣٦٠).
١١٨٧ – سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٧٩).
١١٨٨ – الإحياء (١/٢٧٣).

---

(١) قال الإمام الغزالي: « الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وقوله في التعليل والاعتذار لما قيل له: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [طه: ٢٤] فقال: ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ ﴾ [الشعراء: ١٤] وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣] وقوله: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥]، وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب؛ لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل، ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة، فعوقب بالسجن في بطن الحوت، في ظلمات ثلاث » الإحياء (٤/٣٦٠).

(٢) هو ابن الجراح بن مليح بن عدي، الإمام الحافظ، محدث العراق، سمع ابن جريج والأوزاعي وغيرهما، وحدث عنه سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك وغيرهما، قال الإمام أحمد: ما رأيت أحدًا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع، ن: تاريخ بغداد (١٣/٤٦٦) وشذرات الذهب (١/٣٤٩) وسير أعلام النبلاء (١٩/١٤٠).

ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ هي أيام الصيام؛ إذ تركوا فيها الأكل والشرب.

١١٨٩ - كانوا قد أسلفوا ترك الشهوات.

• ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾

١١٩٠ - أعظم حسرة أهل النار فقدهم في القيامة حميمًا يشفع لهم، قال الله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾.

* * *

* سُورَةُ المَعَارِج *

• ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

١١٩١ - لا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن الفكر، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع، فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها.

* * *

* سُورَةُ نُوح *

• ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

١١٩٢ - أي لا تخافون.

* * *

* سُورَةُ الجِنّ *

• ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ﴾

• ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾

١١٩٣ - علم على مزاج الظن، وظن على مزاج العلم.

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾ إشارة إلى الظن الأول ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ إشارة إلى الظن الثاني.

١١٨٩ - الإحياء (١٠٣/٣). ١١٩٠ - نصيحة من الإمام الغزالي (ص ٣٨).

١١٩١ - بداية الهداية، ضمن المجموعة، (٥) (ص ٦٧).

١١٩٢ - الإحياء (١٧١/٤). ١١٩٣ - المعارف العقلية (ص ١٤١).

• ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ... ۝٢٧ ﴾

١١٩٤ - في الكلام حذف يدل على صحة تقدير الشرع الصادق والمشاهدة الصورية؛ وهو أن يكون معناه: إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة، أو عمل بما جاء به النبي؛ لأن النبي ﷺ قال: « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** » وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن ينكشف إليه؟!

١١٩٥ - وقوله: ﴿ مِن رَّسُولٍ ﴾ وهو ستر على الحال، لئلا يحسب أجلاف العامة أنها مشاركة غيبية، وهذا غير بعيد؛ إذ خزائن الملوك يطلع عليها المملوك، والأمور المستورة عن المعشوق فقد يشاهدها العاشق الصادق قياسًا بالصورة الحسناء يشاهدها مالكها وهي مستورة عن الغير.

• ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ۝٢٨ ﴾

١١٩٦ - المحصي: يدل على العلم الذي يحيط بمعلومات محصورات معدودة التفصيل.

* * *

* سُورَةُ المُزَّمِّلِ *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ ﴾

١١٩٧ - أي: قم نصفه وليس باستثناء.

• ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾

١١٩٨ - أوقات ليليات ما بين العشائين هي ناشئة الليل.

١١٩٩ - لأنها أول نشأتها.

• ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾

١٢٠٠ - معناه الانقطاع عن كل شيء، وتطهير القلب من كل شيء والابتهال إليه ﷻ

١١٩٤ - الإملاء: ملحق بالإحياء (٥/ ٤٠). ١١٩٥ - سر العالمين، ضمن المجموعة (٦) (ص ٨٦).

١١٩٦ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١١٩٧ - المستصفى (٢/ ١٧٣). ١١٩٨ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٧٤).

١١٩٩ - بداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٤٠).

١٢٠٠ - كيمياء السعادة، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ١٣٧).

بالكلية وهو طريق الصوفية في هذا الزمان.

١٢٠١ - ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ أي: أخلص إخلاصًا.

١٢٠٢ - ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ أي: انقطع إليه، والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه والإعراض عن غيره، وترجمته قوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩] والإقبال عليه إنما يكون بملازمة الذكر، والإعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها، والفلاح نتيجتها، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

• ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ... ۝ ﴾

١٢٠٣ - فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه، فإن كسر قوله: ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ كان نصف الثلثين وثلثه، فيقرب من الثلث والربع، وإن نصب كان نصف الليل.

وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ »[1] يعني الديك، وهذا السدس فما دونه.

* * *

* سورة المدثر *

• ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ ﴾

١٢٠٤ - أي: لا تعطِ لتطلب أكثر.

١٢٠٥ - قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾: أي لا تدل بعملك. وفي الخبر: « إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه، ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك »[2]. والإدلال وراء العجب.

١٢٠١ - منهاج العابدين (ص ٦٢).
١٢٠٢ - جواهر القرآن ودرره (ص ١٦).
١٢٠٣ - الإحياء (٤٢٥/١).
١٢٠٤ - الإحياء (٤٦/٢).
١٢٠٥ - نفسه (٣٣١/٢).

---

(١) متفق عليه، ن: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، الحديث رقم (١١٣٢) ون: صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة، ن: الحديث رقم (١٣١).

(٢) قال العراقي: لم أجد له أصلًا، ن: المغني بهامش الإحياء (٣٩١/٣).

• ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ ﴾

١٢٠٦ - أخبر أنه عذب الكفار بترك الصلاة، وحذر المسلمين به.

• ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ ﴾

١٢٠٧ - قال ﷺ: « **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل** »[1] وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ ﴾.

* * *

* سُورَةُ الْقِيَامَةِ *

• ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ ﴾

١٢٠٨ - قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ قال: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه.

١٢٠٩ - إن كانت مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع، وكانت الحرب بينهما سجالًا، فتارة لها اليد عليها، وتارة للقوى عليها اليد، فلا تكون حالها مستقيمة، فتارة تنزع إلى جانب العقول فتتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات، وتارة تستولي عليها القوى فتهبط إلى حضيض منازل البهائم، فهذه النفس نفس لوامة، وهذه النفس هي حالة أكثر الخلق.

• ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝ ﴾

١٢١٠ - قيل في التفسير: معناه: إذا قرأه عليك جبريل.

١٢١١ - ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾، ﴿ ثُمَّ ﴾: للتأخير.

١٢٠٦ - المستصفى (١/٩١).
١٢٠٧ - الإحياء (٣/١٢٥).
١٢٠٨ - الإحياء (٤/٤٢٩).
١٢٠٩ - معارج القدس (ص ١٦).
١٢١٠ - الإحياء (٤/٢٧٣).
١٢١١ - المستصفى (١/٣٧١).

---

(١) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات، ورواه هو والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح، ن: المغني بهامش الإحياء (٣/١٢٥).

• ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

١٢١٢ - إنه تعالى مع كونه منزهًا عن الصورة والمقدار مقدسًا عن الجهات والأقطار، مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة - دار القرار - لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.

• ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾

١٢١٣ - قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾: أي يتبختر.

* * *

* سُورَةُ الإِنسَانِ *

• ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ... ﴿٢﴾ ﴾

١٢١٤ - إنما عنى به الإنسان التوالدي.

• ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

١٢١٥ - قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ فقال: وهم يشتهونه.

• ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾

١٢١٦ - مدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله، والرياء ضده.

* * *

* سُورَةُ المُرْسَلَاتِ *

• ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ ﴾

١٢١٧ - انظر كيف جعل الله الأرض مهادًا ليستقر عليها الحيوان، فإنه لا بد له من مستقر ولا غنى له عن قوت، فجميع الأرض محل للنبات لقوته، ومسكن يسكنه من الحر والبرد، ومدفن يدفن فيه ما تؤذي رائحته والجيف والأقذار من أجسام بني آدم وغيرها، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ قيل في تفسير هذه

١٢١٢ - الإحياء (١٢٩/١). ١٢١٣ - نفسه (٣٥٩/٣).

١٢١٤ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٤٠).

١٢١٥ - الإحياء (٢٦٧/١). ١٢١٦ - نفسه (٣١٠/٣).

١٢١٧ - الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ضمن المجموعة رقم (٧) (ص ١٢).

الآية هذا القول وغيره.

* * *

* سُورَةُ النَّبَإِ *

• ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾

١٢١٨ - أي: وافق الجزاء أعمالهم، فقوبل الخالص بالصرف من الشراب، وقوبل الشوب بالشوب، وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله.

* * *

* سُورَةُ النَّازِعَاتِ *

• ﴿ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ ﴾

١٢١٩ - [قال] ﷺ: « ... **ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴾ أتدري ما هذا يا معاذ؟** » قلت: ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: « **كلاب في النار تنشط اللحم والعظم** ... » الحديث [(١)].

• ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾

١٢٢٠ - **الزجرة العظيمة**: هي الصيحة، **والساهرة**: هي الأرض السفلى؛ لأنهم فتحوا أبصارهم عند قيامهم، فنظروا إلى جبال منسوفة وبحار منزوفة، والأرض لا عوج فيها ولا أمت، **والأمت**: الشيء المرتفع كالربوة، **والعوج**: الأرض المنخفضة كالوهدة والأودية، وإنما صارت مستوية كأنها صفحة قاعدة، فتعجبوا لما نظروا من الساهرة.

• ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

١٢٢١ - قال بعضهم: إنما قال فرعون: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ لطول العافية؛ لأنه لبث

١٢١٨ - الإحياء (٣٥٣/٤).

١٢١٩ - الإحياء (٣١٣/٣) ومنهاج العابدين (ص ٣١١) وبداية الهداية، ضمن المجموعة رقم (٥) (ص ٧٦).

١٢٢٠ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١١٧، ١١٨).

١٢٢١ - الإحياء (٣٠٧/٤).

---

(١) أورد الغزالي حديثًا طويلًا، وأسند روايته إلى عبد الله بن المبارك عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ، ن: منهاج العابدين (ص ٣١١).

وهذا الحديث أخرجه الإمام العراقي فقال: رواه ابن المبارك في الزهد، وقال: رواه ابن الجوزي في الموضوعات، ن: المغني بهامش الإحياء (١١٣/٣) وهامش الأربعين في أصول الدين (ص ٣١١).

أربعمائة سنة.

• ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾

١٢٢٢ - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا، فينبغي أن يكون الزهد فيه.

* * *

* سُورَةُ عَبَسَ *

• ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾

١٢٢٣ - استأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ، وعنده رجل من أشراف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ يعني: ابن أم مكتوم.

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ يعني: هذا الشريف.

١٢٢٤ - قد عاتب الله نبيه ﷺ في الإعراض عن عبد والإقبال على عبد، وهما في العبودية سيان، ولكن في الحال مختلفان، فقال: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ وقال في الآخر: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾ (١).

• ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ ﴾

١٢٢٥ - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره، وإلى وسطه، فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية.

أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئًا مذكورًا، وقد كان في حيز العدم دهورًا، بل لم يكن لعدمه أول، وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم؟ وقد كان كذلك في القدم

١٢٢٢ - الإحياء (٤/٢٤). ١٢٢٣ - نفسه (٤/٢٠٩).
١٢٢٤ - نفسه (٤/٣٦٠). ١٢٢٥ - نفسه (٣/٣٧٨ - ٣٨٠).

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عائشة، وقال: غريب، وقال العراقي: ورجاله رجال الصحيح، ن: أبواب التفسير (٥/١٠٤، ١٠٥) من سنن الترمذي، ون: المغني بهامش الإحياء (٤/٢٠٩).

ثم خلقه اللَّه من أرذل الأشياء، ثم من أقذرها؛ إذ قد خلقه من تراب، ثم نطفة ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعله عظمًا، ثم كسا العظم لحمًا، فقد كان هذا بداية وجوده؛ حيث كان شيئًا مذكورًا، فما صار شيئًا مذكورًا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت؛ إذ لم يخلق في ابتدائه كاملًا، بل خلقه جمادًا ميتًا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم، فبدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبجهله قبل علمه، وبعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه، وبضلالته قبل هداه، وبفقره قبل غناه، وبعجزه قبل قدرته، فهذا معنى قوله: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس: ١٨، ١٩] ومعنى قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان: ١، ٢] كذلك خلقه أولًا.

ثم امتن عليه فقال: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ١، ٢] ومعناه: أنه أحياه بعد أن كان جمادًا ميتًا ترابًا أولًا ونطفة ثانيًا: واسمعه بعد ما كان أصم، وبصره بعد ما كان فاقدًا للبصر، وقوَّاه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال، فانظر كيف دبره وصوره، وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره؟ فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

فانظر إلى نعمة اللَّه عليه، كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودًا بعد العدم، وحيًّا بعد الموت، وناطقًا بعد البكم، وبصيرًا بعد العمي، وقويًّا بعد الضعف، وعالمًا بعد الجهل، ومهديًّا بعد الضلال، وقادرًا بعد العجز، وغنيًّا بعد الفقر؟ فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أخس من لا شيء؟ وأي قلة أقل من العدم المحض؟ ثم صار باللَّه شيئًا. وإنما خلقه من التراب الذليل يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضًا ليعرف خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا؛ ولذلك امتن عليه فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [عبس: ٨ - ١٠] وعرف خسته

أولًا فقال: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً ﴾ [القيامة: ٣٧، ٣٨] ثم ذكر منته عليه فقال: ﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٨، ٣٩] ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولًا بالاختراع.

فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء؟ وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء، ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم، وذلك لدلالة خسة أوله - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

نعم لو أكمله وفوض إليه أمره، وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة، من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أم أبى، رضي أم سخط، فيجوع كرهًا ويعطش كرهًا ويمرض كرهًا ويموت كرهًا، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا خيرًا ولا شرًّا، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه، ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحييه، ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره، وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل إن تُرك بقي وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه؟ وأنى يليق الكبر به لولا جهله؟

فهذا أوسط أحواله فليتأمله.

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ [عبس: ٢١، ٢٢] ومعناه: أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته، فيعود جمادًا كما كان أول مرة، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته، لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأول نطفة قذرة، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه، ويصير رميمًا رفاتًا، ويأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما، ثم بخديه فيقطعهما، وبسائر أجزائه، فيصير روثًا في أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان، ويستقذره كل إنسان، يهرب منه لشدة الإنتان، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابًا يعمل

منه الكيزان ويعمل منه البنيان، فيصير مفقودًا بعد ما كان موجودًا، وصار كأن لم يغن بالأمس، حصيدًا كما كان في أول أمره أمدًا مديدًا، وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابًا، لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فنظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة، وأرض مبدلة، وجبال مسيرة، ونجوم منكدرة وشمس منكشفة، وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد، وجهنم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر، ويرى صحائف منشورة فيقال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾ [الإسراء: ١٤] فيقول: وما هو؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها، ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود، قد نسيت ذلك وأحصاه اللَّه عليك، فهلم إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب، فينقطع قلبه فزعًا من هول هذا الخطاب قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه، فإذا شاهده قال: ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ [الكهف: ٤٩] فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾.

فما لمن هذا حاله التكبر والتعظم؟ بل ما له وللفرح في لحظة واحدة فضلًا عن البطر والأشر؟ فقد ظهر له أول حاله ووسطه، ولو ظهر آخره - والعياذ باللَّه تعالى - ربما اختار أن يكون كلبًا أو خنزيرًا ليصير مع البهائم ترابًا ولا يكون إنسانًا يسمع خطابًا أو يلقى عذابًا.

● ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ ﴾

١٢٢٦ - يأتي الرجل إلى ولده فيقول له: يا بني: إني كسوتك حيث لا تقدر تكسو نفسك، وأطعمتك طعامًا وسقيتك شرابًا حيث كنت عاجزًا عن ذلك، وكفلتك صغيرًا حيث كنت لا تستطيع دفع الضراء ولا جلب السراء، فكم من فاكهة تمنيتها فابتعتها لك، حسبك ما ترى من هول يوم القيامة، وسيئات أبيك كثيرة، فتحمل عني منها ولو سيئة فيخف عني، وأعطني ولو حسنة أزيدها في الميزان، فيفر منه الولد ويقوله له: أنا أحوج منك إليها. وكذا يفعل الفصيل مع الفصيلة والصاحب والأخ، وهو قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾.

* * *

١٢٢٦ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ١٣٩).

* سُورة الانفطار *

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾

١٢٢٧ - لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرًا وباطنًا، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين.

١٢٢٨ - **الكريم**: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات.

• ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾

١٢٢٩ - أي: لبرهم وفجورهم.

١٢٣٠ - ومعنى البر والفاجر بالسعادة والشقاوة: أن يجعل البر والفجور سببًا يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة، كما جعل الأدوية والسموم أسبابًا تسوق متناوليها إلى الشفاء والهلاك.

* * *

* سُورَة المطففين *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾

١٢٣١ - كل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية.

١٢٢٧ - جواهر القرآن (ص ٣٣).

١٢٢٨ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٦).

١٢٢٩ - المستصفى (٢/١٩٠). ١٢٣٠ - المقصد الأسنى (ص ٨٥).

١٢٣١ - الإحياء (٢/١٩٣).

• ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾

١٢٣٢ – قال كعب [(١)] وقتادة: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: يقومون مقدار ثلاثمائة عام. بل قال عبد الله بن عمرو : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال: « **كيف بكم إن جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنافة خمسين ألف سنة ولا ينظر إليكم** » [(٢)].

• ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ ﴾

١٢٣٣ – قال علي كرم الله وجهه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء، فإذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه، فذلك الختم. وتلا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

١٢٣٤ – روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، فإن زاد زادت حتى تغلق قلبه** » [(٣)]، فذلك الران الذي ذكره الله ﷻ في كتابه: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

١٢٣٥ – من أكل الشبهة أربعين يومًا أظلم قلبه، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

١٢٣٦ – ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾: قال شيخي الإمام ؒ: هكذا تؤدي الذنوب إلى قسوة القلب؛ أولها خاطر، ثم يؤدي إلى القسوة والرين.

١٢٣٧ – الآثار المذمومة مثل دخان مظلم، يتصاعد إلى مرآت القلب، ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم، ويصير بالكلية محجوبًا عن الله تعالى،

١٢٣٢ – الإحياء (٥٨٤/٤).
١٢٣٣ – نفسه (١٤٤/١).
١٢٣٤ – نفسه (٣٧٠/١).
١٢٣٥ – نفسه (١٠٣/٢).
١٢٣٦ – منهاج العابدين (ص ١١٤).
١٢٣٧ – الإحياء (١٣/٣).

---

(١) هو كعب بن مانع الحميري اليماني، العلامة الحبر الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، كان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء، وكان خبيرًا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة، توفي بحمص ذاهبًا للغزو في أواخر خلافة عثمان ﷺ.

(٢) قال العراقي: إنما هو عبد الله بن عمر، ورواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبي حاتم راويًا غير ابن وهب، ولهم غير عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحدهم مصري والثلاثة الآخرون شاميون، ن: المغني بهامش الإحياء (٥٤٨/٤).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، ن: كتاب الزهد (١٤١٨/٢) حديث رقم (٤٢٤٤).

وهو الطبع، وهو الرين، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

١٢٣٨ - قال ميمون بن مهران (١): إذا أذنب العبد ذنبًا نكت نكتة سوداء، فإذا هو نزع وتاب صقل، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران.

• ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ﴾

١٢٣٩ - رتب العذاب بالنار على ألم الحجاب، وألم الحجاب كافٍ من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟

١٢٤٠ - احتج الأشعري في مسألة الرؤية بقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ قال: وهذا يدل على أن المؤمنين بخلافهم.

• ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾

١٢٤١ - الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال: ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ ثم قال: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، فكان أمارة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون.

• ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ ﴾

١٢٤٢ - قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ قال: يمزج لأصحاب اليمين، ويشربه المقربون صرفًا. وقال: لو أن رجلًا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

* * *

* سُورَةُ الانشِقَاقِ *

• ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝١٦ ﴾

١٢٤٣ - الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة، قد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾.

١٢٣٨ - الإحياء (١٤/٣).
١٢٣٩ - نفسه (٢٥٥/٤).
١٢٤٠ - المستصفى (١٩٢/٢).
١٢٤١ - الإحياء (٣٥٢/٤).
١٢٤٢ - نفسه (٥٧٤/٤).
١٢٤٣ - نفسه (٤٠٤/١).

---

(١) هو الإمام القدوة أبو أيوب الرقي عالم أهل الجزيرة، روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس، وعنه الأوزاعي وخلق كثير، قال النسائي: ثقة ت: سنة (١١٧ هـ)، ن: تذكرة الحفاظ (٩٨/١، ٩٩) والأعلام للزركلي (٣٤٢/٧).

• ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾

١٢٤٤ - أي: وما جمع من ظلمة.

* * *

* سُورَةُ البُرُوج *

• ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾

١٢٤٥ - قيل في قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ ﴾: الشاهد هو اللّٰه، والمشهود هو عكس جمال الحضرة الصمدية، فهو الشاهد والمشهود.

• [﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾]

١٢٤٦ - **الودود**: يرجع إلى الإرادة مضافًا إلى الإحسان والإنعام، وفعل الرحمة يستدعي محتاجًا، وفعل الود لا يستدعي ذلك، بل بالإنعام على سبيل الابتداء.

• [﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾]

١٢٤٧ - **المجيد**: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات.

• ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾

١٢٤٨ - قال زيد بن أسلم [١] في قوله تعالى: ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾: هو قلب المؤمن.

* * *

* سُورَةُ الطَّارِقِ *

• ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾

١٢٤٩ - أي: يكشف عن أسرار الأعمال وأرواحها القبيحة أو الحسنة.

١٢٤٤ - الإحياء (٤٠٤/١).

١٢٤٥ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ١٩).

١٢٤٦ - نفسه رقم (٢) (ص ٦٦). ١٢٤٧ - نفسه رقم (٢) (ص ٦٦).

١٢٤٨ - الإحياء (١١/٣). ١٢٤٩ - كتاب الأربعين (ص ٢٢٢).

---

(١) هو زيد بن أسلم العدوي الإمام، أبو جعفر العمري المدني الفقيه. يروي عن مولاه عبد اللّٰه بن عمر وأنس ابن مالك وعطاء وغيرهم، وعنه مالك والسفيانان وغيرهم. له كتاب في التفسير، رواه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة (١٩٦هـ).

ن: طبقات المفسرين للداودي (١٨٢/٢) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٢/١) والأعلام (٥٧/٣).

* سُورَةُ الأَعْلَى *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾

١٢٥٠ - إن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾، والذات هي المسبحة دون الاسم.

قلنا: الاسم هنا زيادة على سبيل الصفة، وعادة العرب جارية بمثله، وهو كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يجوز أن يستدل فيقال: فيه إثبات المثل؛ إذ قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، كما يقال: ليس كولده أحد؛ إذ فيه إثبات الولد، بل الكاف فيه زيادة.

• ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾

١٢٥١ - الخلق دون هداية لا يفضي إلى خير؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾.

• ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ ﴾

١٢٥٢ - إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان.

• ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾

١٢٥٣ - بين أن الشر قديم في الطباع، وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة.

* * *

* سُورَةُ الفَجْرِ *

• ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ ﴾

١٢٥٤ - هذا خطاب موجه لموجود؛ إذ لا يجوز خطاب المعدوم.

١٢٥٥ - إذا سكنت النفس تحت عالم الأمر، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت النفس المطمئنة.

١٢٥٠ - المقصد الأسنى (ص ٣٨).

١٢٥١ - مقاصد الفلاسفة (ص ٣٧٤).

١٢٥٢ - الإحياء (٣/٨٥).

١٢٥٣ - نفسه (٣/٨٥).

١٢٥٤ - سر العالمين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٧٩).

١٢٥٥ - روضة الطالبين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٤١).

١٢٥٦ - إن اتجهت إلى صواب الصواب، ونزلت عليها السكينات الإلهية، وتواترت عليها نفحات فيض الجود الإلهي فتطمئن إلى ذكر الله ﷻ، وتسكن إلى المعارف الإلهية، وتطير إلى أفق الملكية، يقال: نفس مطمئنة.

* * *

* سورة الشمس *

• ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ ﴾

١٢٥٧ - أراد وبنائها.

• ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾

١٢٥٨ - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة.

١٢٥٩ - إنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها، تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه، ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ومراد تزكيته: حصول أنوار الإيمان، أعني: إشراق نور المعرفة.

١٢٦٠ - التزكية: التطهير.

* * *

* سورة الليل *

• ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝ ﴾

١٢٦١ - هذا الاستثناء ليس فيه معنى التخصيص والإخراج؛ إذ المستثنى ما كان ليدخل تحت اللفظ أصلًا، ومن معتاد كلام العرب: ما في الدار رجل إلا امرأة، وما رأيت أحدًا إلا نورًا،... فتكون « إلا » في هذا الموضع بمعنى « لكن ».

* * *

١٢٥٦ - معارج القدس (ص ١٥).

١٢٥٧ - المنخول (ص ٩٠).

١٢٥٨ - الإحياء (٤١٨/٤).

١٢٥٩ - نفسه (١٧/٣).

١٢٦٠ - كتاب الأربعين (ص ٦٣).

١٢٦١ - المستصفى (١٦٨/٢، ١٦٩).

* سُورَةُ الضُّحَىٰ *

• ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾

١٢٦٢ - سئل رسول اللَّه ﷺ أي الليل أفضل؟ فقال: « **نصف الليل الغابر** »[(١)] وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾، ولأنه وقت غفلة الخلق، يفضل فيه الاشتغال بالحق، ووقت في آخر الليل، وأوله بعد انقضاء ثلث الليل إلى أن يبقى سدسه وهو مقدار سدس الليل، وهي الأسحار المخصوصة بالاستغفار، والأخبار فيه باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن، ونزول الجبار إلى سماء الدنيا، وهي آخر النفحات المندوب إلى التعرض لها.

١٢٦٣ - ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي: إذا سكن، وسكونه هدوءه في هذا الوقت، فلا تبقى عين إلا نائمة، سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. وقيل: **إذا سجى**: إذا امتد وطال، وقيل: إذا أظلم.

• ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾

١٢٦٤ - عن جابر قال: دخل رسول اللَّه ﷺ على فاطمة - رضي اللَّه تعالى عنها - وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: « **يا فاطمة، تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد** »، فأنزل اللَّه عليه: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾[(٢)].

١٢٦٥ - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ قال[(٣)]: « **لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار** »[(٤)]، وكان أبو جعفر محمد بن علي[(٥)]

١٢٦٢ - مدخل السلوك إلى منازل الملوك (ص ٧٤). ١٢٦٣ - الإحياء (٤٠٩/١).
١٢٦٤ - نفسه (٢٤٧/٤). ١٢٦٥ - نفسه (١٥٥/٤).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر دون قوله: « الغابر »، ن: الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (٤/٢) حديث رقم (٢٥٥٥).

(٢) قال العراقي: أخرجه أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف، ن: المغني بهامش الإحياء (٨٤٧/٤).

(٣) أي الرسول ﷺ.

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن علي. انظر فتح القدير (٤٦٠/٥).

(٥) هو السيد الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي، المدني، ولد زين العابدين، ولد في حياة عائشة رضي الله عنها . روى عن جديه: النبي ﷺ وعلي رضي الله عنه مرسلًا، وجديه الحسن والحسين مرسلًا أيضًا وغيرهم. وروى عنه ابنه عطاء والأعرج وغيرهما، كان من فقهاء المدينة، له تفسير، وهو أحد الأئمة الاثني عشر =

يقول: أنتم أهل العراق تقولون: أرجى آية في كتاب الله ﷻ قوله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، ونحن نقول آل البيت: أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾.

• ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾

١٢٦٦ - الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾.

• ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾

١٢٦٧ - العبد ينبغي أن يكون مجيبًا أولًا لربه تعالى فيما أمره به ونهاه عنه، وفيما ندبه إليه ودعاه، ثم لعباده فيما أنعم الله عليه بالاقتدار عليه، وفي إسعاد كل سائل بما يسأله إن قدر عليه، وفي لطف الجواب إن عجز عنه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾.

* * *

* سُورَةُ التِّينِ *

• ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾

١٢٦٨ - أي: طور سيناء.

* * *

* سُورَةُ العَلَقِ *

• ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

١٢٦٩ - الله سبحانه منَّ على نبيه بعلم القلم فقال: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

١٢٦٦ - المستصفى (١/١٧٧).
١٢٦٧ - المقصد الأسنى (ص ١٠٦).
١٢٦٨ - الإحياء (١/٣٤٤).
١٢٦٩ - المعارف العقلية (ص ٧٧).

= على اعتقاد الإمامية. توفي سنة (١١٧ هـ)، ن: طبقات المفسرين للداودي (٢/٢٠٠) وشذرات الذهب (١/١٤٩) والسير (٤/٤٠١).

١٢٧٠ - القلم عبارة عن خلق من خلق اللَّه تعالى، جعله سببًا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر، قال اللَّه تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾، وقلم اللَّه تعالى لا يشبه قلم خلقه، كما لا يشبه وصفه وصف خلقه، فليس قلمه من قصب ولا خشب، كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض.

• ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝ ﴾

١٢٧١ - قال اللَّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ وقد ورد: « **أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده** »[1]، فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب؛ لأنه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون، ما كان وما يكون، ويسجد على طرف رداء العظمة فيقترب.

١٢٧٢ - قيل: « إن أقرب ما يكون العبد إلى اللَّه تعالى أن يكون ساجدًا » وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾.

* * *

* سُورَةُ القَدرِ *

[بسم اللَّه الرحمن الرحيم]

• ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾

١٢٧٣ - أراد القرآن.

١٢٧٤ - ليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾.

* * *

١٢٧٠ - الإحياء (١٩/٣).
١٢٧١ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٠).
١٢٧٢ - الإحياء (١٧٧/١). ١٢٧٣ - الإحياء (٣٤٤/١).
١٢٧٤ - نفسه (٢٧٨/١).

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣٥٠/١) حديث رقم (٢١٥).

* سُورَةُ البَيِّنَة *

• ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾

١٢٧٥ - سئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربه ﷻ وحاسب نفسه وتزود لمعاده.

* * *

* سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ *

• ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾

١٢٧٦ - اتفق أهل اللغة على أن فهم ما وراء الذرة من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم.

١٢٧٧ - قد يطلق الخاص، ونريد العام كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ فيعبر بالقليل عن الكثير.

١٢٧٨ - ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ يدل على أن من يعمل مثقال ذرات خيرًا يره أيضًا، لا بطريق اللغة والتعليل، بل بطريق العرف.

١٢٧٩ - والذرة أقل القليل الذي لا أقل دونه في مقصود هذا الكلام، ما دون الذرة لا يتصور في التقدير فهو ملحق به بطريق التعليل، وهو أن السبب هو المجازاة على الحسنة والسيئة، وما دون الذرة حسنة وسيئة، فقد وجد سبب المجازاة فيجازى.

* * *

* سُورَةُ العَادِيَات *

• ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾

١٢٨٠ - **الهاء الأولى**: كناية عن الحوافر وهي الموريات [1]، أي: أثرن بالحوافر نقعًا، **والثانية**: كناية عن الإغارة، وهي المغيرات صبحًا.

١٢٧٥ - الإحياء (٤/٤٢٢).
١٢٧٦ - المستصفى (١/٣٥٥).
١٢٧٧ - معيار العلم في المنطق (ص ١٩٦).
١٢٧٨ - شفاء الغليل (ص ٥٥).
١٢٧٩ - نفسه (ص ٥٧ - ٦٥).
١٢٨٠ - الإحياء (١/٣٤٥).

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ [العاديات: ٢].

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ ﴾ جمع المشركون فأغاروا بجمعهم.

• ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾

١٢٨١ - أي: يعرض عليها حاصلها، أي روحها وحقيقتها.

* * *

* سُورَةُ التَّكَاثُرِ *

• ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ﴾

١٢٨٢ - ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: في الآخرة.

١٢٨٣ - ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ﴾ أي: أن الجحيم في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين، ﴿ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ قيل: أن تروها بعين اليقين.

• ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾

١٢٨٤ - النبي حاسبه اللَّه على شبعه مرة واحدة من خبز وشعير وتمر، وقال له: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

* * *

* سُورَةُ العَصْرِ *

[بسم اللَّه الرحمن الرحيم]

• ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ ﴾

١٢٨٥ - أقسم اللَّه تعالى بوقت العصر، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ هذا أحد معنيي الآية، وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين، وهو العشي المذكور في قوله: ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١١] وفي قوله: ﴿ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨].

* * *

١٢٨١ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢٢٢).

١٢٨٢ - الإحياء (١٠٨/٤).

١٢٨٣ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ٢١٣).

١٢٨٤ - سر العالمين وكشف ما في الدارين، ضمن المجموعة رقم (٦) (ص ٩٥).

١٢٨٥ - الإحياء (٤٠٣/١).

* سُورَةُ الهُمَزَةِ *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾

١٢٨٦ - عن مجاهد أنه قال: **الهمزة**: الطغيان في الناس، **واللمزة**: الذي يأكل لحوم الناس.

١٢٨٧ - قيل: **الهمزة**: النمام.

* * *

* سُورَةُ المَاعُونِ *

• ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ﴾

١٢٨٨ - ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴾ لا حكم له قبل إتمام الكلام، فإذا تم الكلام كان الويل مقصورًا على من وجد فيه شرط السهو والرياء، لا أنه دخل فيه كل مصلٍّ ثم خرج البعض. فهكذا ينبغي أن يفهم حقيقة الاستثناء والشرط، فاعلموه ترشدوا.

١٢٨٩ - سئل أبو العالية [1] عن قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ قال: هو الذي يسهو في صلاته، فلا يدري على كم ينصرف، أعلى شفع أم على وتر؟ وقال الحسن: هو الذي سهى عن وقت الصلاة حتى تخرج. وقال بعضهم: هو الذي إن صلاها في أول الوقت لم يفرح، وإن أخرها عن الوقت لم يحزن، فلا يرى تعجيلها خيرًا ولا تأخيرها إثمًا.

* * *

١٢٨٦ - الإحياء (٣/١٥٢).
١٢٨٧ - نفسه (٣/١٦٤).
١٢٨٨ - المستصفى (٢/١٨٤).
١٢٨٩ - الإحياء (١/٢٠٢).

---

(١) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، من كبار التابعين المخضرمين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ. روى عن ابن مسعود وابن عباس، وعنه قتادة والربيع بن أنس. (ت٩٠هـ)، ن: صفة الصفوة (٣/٢١١) وتهذيب الأسماء (٢/٢٥١).

* سُورَةُ الكَوْثَرِ *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

• ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ① ﴾

١٢٩٠ - قال أنس: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسمًا، فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال: « **آية أنزلت عليَّ آنفًا** » وقرأ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ حتى ختمها ثم قال: « **هل تدرون ما الكوثر؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « **إنه نهر وعدنيه ربي ﷻ في الجنة عليه خير كثير، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء** » وقال أنس: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: « **بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر** » (١).

• ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ② ﴾

١٢٩١ - قيل: أراد به صلاة عيد النحر.

* * *

* سُورَةُ النَّصۡرِ *

• ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجًا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ③ ﴾

١٢٩٢ - أنزله منزلة النظارة، وقال: إذا رأيت عباد الله يدخلون في دين الله فقل: بحمد الله لا بحمدي، وهو معنى التسبيح بحمد ربه.

* * *

١٢٩٠ - الإحياء (٤/٥٦٢). ١٢٩١ - الوسيط (٢/٧٨٣).
١٢٩٢ - كتاب الأربعين في أصول الدين (ص ١٣٩).

(١) قال الحافظ العراقي: رواه البخاري من قول أنس: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء .. الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي ﷺ، ن: كتاب التفسير، سورة ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ الحديث (٤٩٦٤) وأخرج الطبري في جامع البيان (٣٠/٣٢٣) بنحوه عن أنس، وانظر: المغني (٤/٥٦٢).

* سُورَةُ المَسَدِ *

• ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ ﴾

١٢٩٣ - قيل: إنها كانت نمامة، حمالة للحديث.

* * *

* سُورَةُ الإِخْلَاصِ *

١٢٩٤ - قال ﷺ: « ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ **تعدل ثلث القرآن** » (١)، فما أراك أن تفهم وجه ذلك، فتارة تقول: هذا ذكره للترغيب في التلاوة وليس المعنى به التقدير، وحاشا منصب النبوة عن ذلك، وتارة تقول: هذا بعيد عن الفهم والتأويل، وأن آيات القرآن تزيد على ست آلاف آية، فهذا القدر كيف يكون ثلثها؟

وهذا لقلة معرفتك بحقائق القرآن، ونظرك إلى ظاهر ألفاظه، فتظن أنها تكثر وتعظم بطول الألفاظ وتقصر بقصرها، وذلك كظن من يؤثر الدراهم الكثيرة على الجوهر الواحد، نظرًا إلى كثرتها.

فاعلم أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن قطعًا، وارجع إلى الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمات القرآن؛ إذ هي معرفة اللّٰه تعالى، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة والباقي توابع، وسورة « الإخلاص » تشتمل على واحد من الثلاث، وهو معرفة اللّٰه وتوحيده وتقديسه عن مشارك في الجنس والنوع، وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ، ووصفه بالصمد يشعر بأنه الصمد الذي لا مقصد في الوجود للحوائج سواه، نعم ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم، وقد ذكرنا أن أصول مهمات القرآن معرفة اللّٰه تعالى ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم؛ فلذلك تعدل ثلث القرآن، أي ثلث الأصول من القرآن، كما قال ﷺ: « **الحج عرفة** » (٢) أي هو الأصل والباقي توابع.

١٢٩٣ - الإحياء (٣/١٦٤). ١٢٩٤ - جواهر القرآن (٤٨).

---

(١) رواه الترمذي في سننه، ن: أبواب فضائل القرآن (٤/٢٤٠) حديث رقم (٣٠٥٩).

(٢) روى أبو داود في سننه: « ... فأمر رسول اللّٰه ﷺ رجلًا فنادى: الحج الحج يوم عرفة »، ن: كتاب المناسك حديث رقم (١٩٤٩).

١٢٩٥ - لما قال بعض الأعراب لرسول الله: ما نسبة الله؟ نزله في جوابه: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ معناه: التقديس عن النسبة.

• ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾

١٢٩٦ - **يعني**: إلى الناس دون الجن.

١٢٩٧ - **الأحد**: هو المسلوب عن النظير والقسمة.

١٢٩٨ - فرق بين الواحد والأحد، قال الله تعال: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فيقال: الإنسان شخص واحد وصنف واحد، والمراد به أنه جملة هي جملة واحدة، ويقال: ألف واحدة، فالواحد المشار إليه من طريق العقل والحس هو الذي يمتنع مفهومه عن وقوع الشركة فيه، والأحد هو الذي لا تركيب فيه ولا جزء له بوجه من الوجوه، فالواحد نفي الشريك والمثل، والأحد نفي الكثرة في ذاته.

• ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ﴾

١٢٩٩ - **الصمد**: الغني المحتاج إليه غيره، وهذا دليل على أن الله تعالى [أحدي] (١) الذات وواحد؛ لأنه لو كان له شريك في ملكه لما كان صمدًا غنيًّا يحتاج إليه غيره، بل كان هو أيضًا يحتاج إلى شريكه في المشاركة والتثنية، ولو كان له أجزاء تركيب واحد لما كان صمدًا يحتاج إليه غيره، بل هو محتاج في قوامه ووجوده إلى أجزاء تركيبه وحده. فالصمدية دليل على الواحدية والأحدية.

• ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ﴾

و ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ دليل على أن وجوده المستمر، ليس مثل وجود الإنسان الذي يبقى نوعه بالتوالد والتناسل، بل هو وجود مستمر أزلي وأبدي.

﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ دليل على أن وجوده ليس مثل وجود الإنسان الذي يحصل بعد

١٢٩٥ - مشكاة الأنوار، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ٢٨).

١٢٩٦ - المنخول (ص ١٦٦).

١٢٩٧ - روضة الطالبين وعمدة السالكين، ضمن المجموعة رقم (٢) (ص ٦٥).

١٢٩٨ - المضنون به على غير أهله، ضمن المجموعة رقم (٤) (ص ١٢٩، ١٣٠).

١٢٩٩ - نفسه رقم (٤) (ص ١٣٠).

---

(١) في الأصل المطبوع: إحدى، والصواب ما أثبته.

العدم، ويبقى دائمًا إما في جنة عالية لا تفنى، وإما في هاوية لا تنقطع.

• ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

﴿ أَحَدٌ ﴾ دليل على أن الوجود الحقيقي الذي له تبارك وتعالى، وهو الوجود الذي يفيد وجود غيره ولا يستفيد الوجود من غيره ليس إلا له تبارك وتعالى.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ دليل على إثبات ذاته المنزه المقدس، والصمدية نفي، وإضافة نفي الحاجة عنه واحتياج غيره إليه، والأحدية، و﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ إلى آخر السورة سلب ما يوصف به غيره تعالى عنه. فلا طريق في معرفة ذات اللّٰه تعالى أبين وأوضح من سلب صفات المخلوقات عنه.

* * *

* سُورَةُ الفَلَقِ *

• ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

١٣٠٠ - في نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال: قيام الذَّكر.

• ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

١٣٠١ - إن اللّٰه أمر بالاستعاذة من شر الحاسد، فقال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، كما أمر بالاستعاذة من شر الشيطان الرجيم والساحر.

فانظر كم له من الشر والفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر، حتى أن لا مستعان عليه ولا مستعاذ إلا باللّٰه رب العالمين.

* * *

* سُورَةُ النَّاسِ *

• ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾

١٣٠٢ - ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم؛ إذا ذكر اللّٰه تعالى خنس، وإذا غفل وسوس.

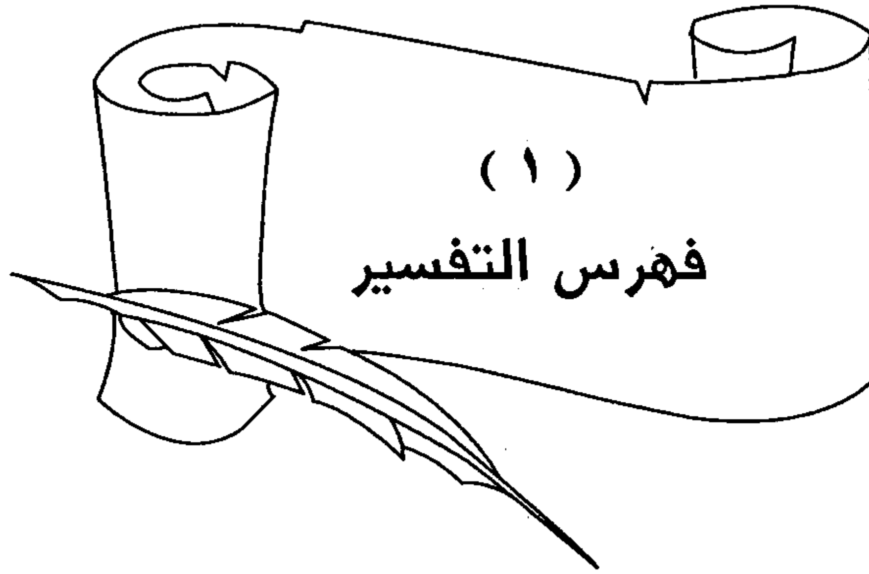
١٣٠٠ - الإحياء (٣٢/٢) و (١٠٧/٣).
١٣٠١ - منهاج العابدين (ص ١٥٢).
١٣٠٢ - منهاج العابدين (ص ١١٥).

١٣٠٣ - قال مجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ﴾ قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر اللَّه تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على القلب، فالتطارد بين ذكر اللَّه تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على القلب، فالتطارد بين ذكر اللَّه تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام والليل والنهار، ولتضادهما قال اللَّه تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٩].

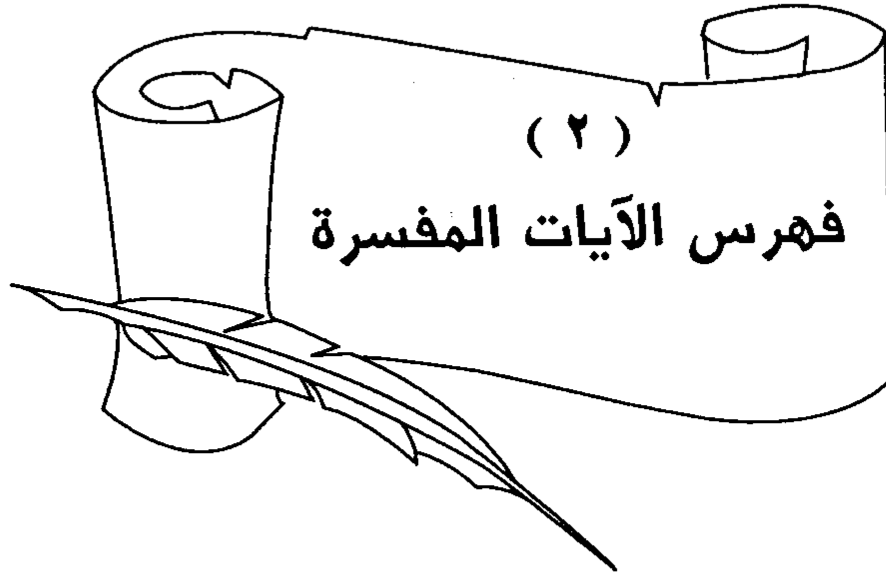
* * *

١٣٠٣ - الإحياء (٣/٣١).

الفهارس

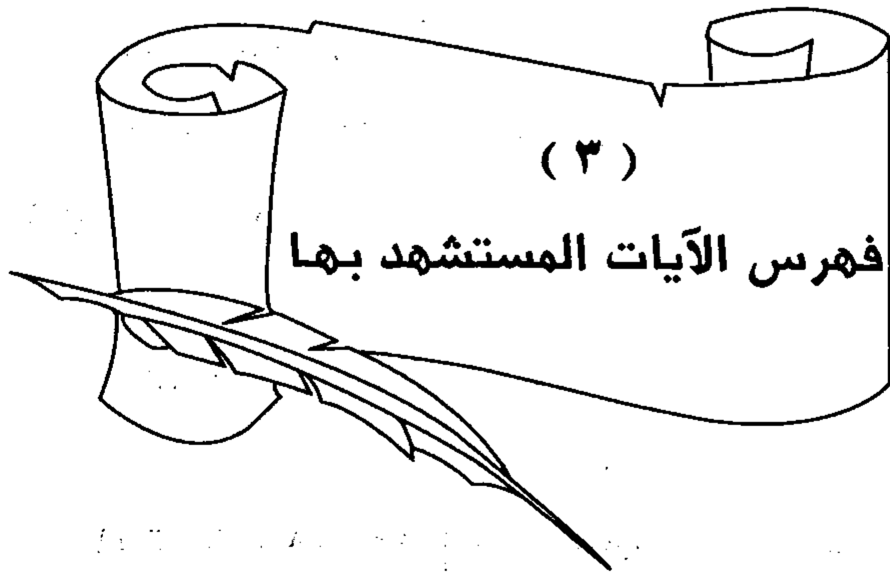

(١)
فهرس التفسير

* * *



(٢)
فهرس الآيات المفسرة

* * *



(٣)
فهرس الآيات المستشهد بها

سُورَة هُود

سُورَة يُوسُف

سُورَة النَّحْل

سُورَة الإِسْرَاء

سُورَة الكَهْف

سُورَة مَرْيَم

سورة المرسلات

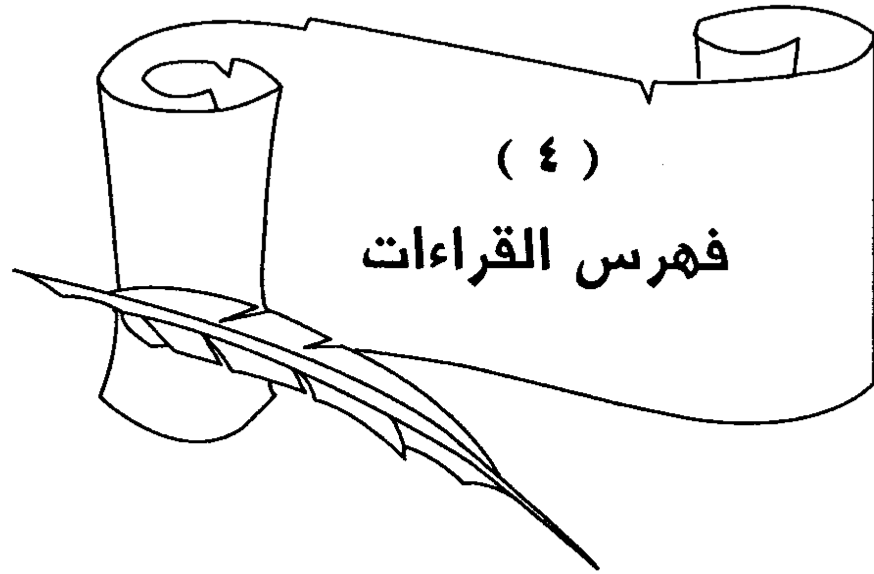
سورة النازعات

سورة الأعلى

سورة البلد

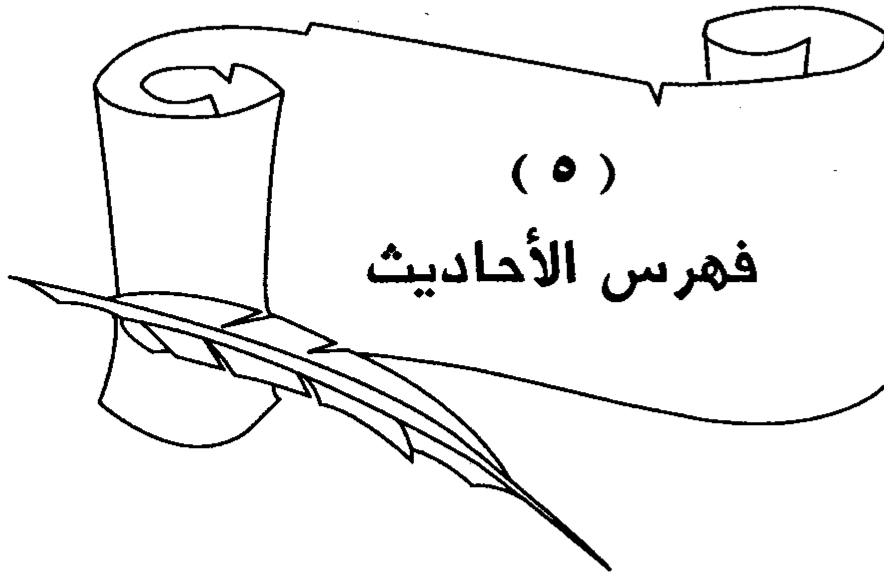
سورة الإخلاص

* * *



السورة	القراءة	رقم الآية	صاحبها	الصفحة
المائدة	(وأرجلِكم)	٦	ابن كثير وأبو عمرو وحمزة	١٣٨
المائدة	(فصيام ثلاثة أيام متتابعات)	٨٩	ابن مسعود	١٤٢
الحج	(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث)	٥٢	ابن عباس	٢٣٢
النور	(مثل نوره في قلب المؤمن)	٣٥	ابن مسعود	٢٣٩
النور	(مثل نور قلب من آمن)	٣٥	أبي بن كعب	٢٣٩
الزمر	(ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم)	٥٣	رسول الله ﷺ	٢٧٤
الرحمن	(ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان)	٨، ٩	عبد الله بن مسعود	٣٠٢

* * *


(٥)
فهرس الأحاديث

حَرْفُ ٱلثَّاء

حَرْفُ ٱلحَاء

حَرْفُ ٱلخَاء

حَرْفُ ٱلرَّاء

حَرْفُ ٱلزَّاي

حَرْفُ ٱلسِّين

حَرْفُ ٱلشِّين

حَرْفُ ٱلصَّاد

حَرْفُ ٱلعَيْن

حَرْفُ ٱلغَيْن

حَرْفُ ٱلفَاء

حَرْفُ ٱلقَاف

حَرْفُ ٱلكَاف

حَرْفُ ٱللَّام

حَرْفُ المِيمِ

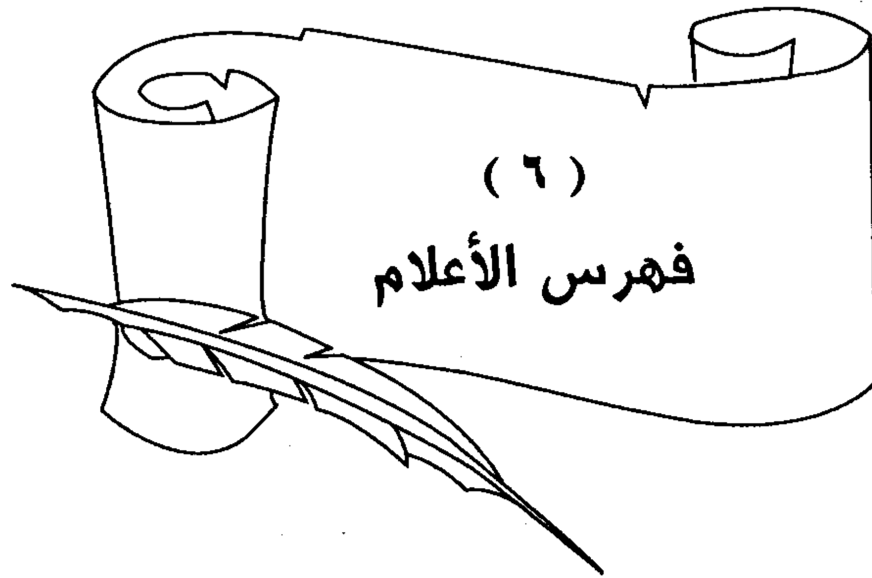
حَرْفُ النُّون

حَرْفُ الهَاء

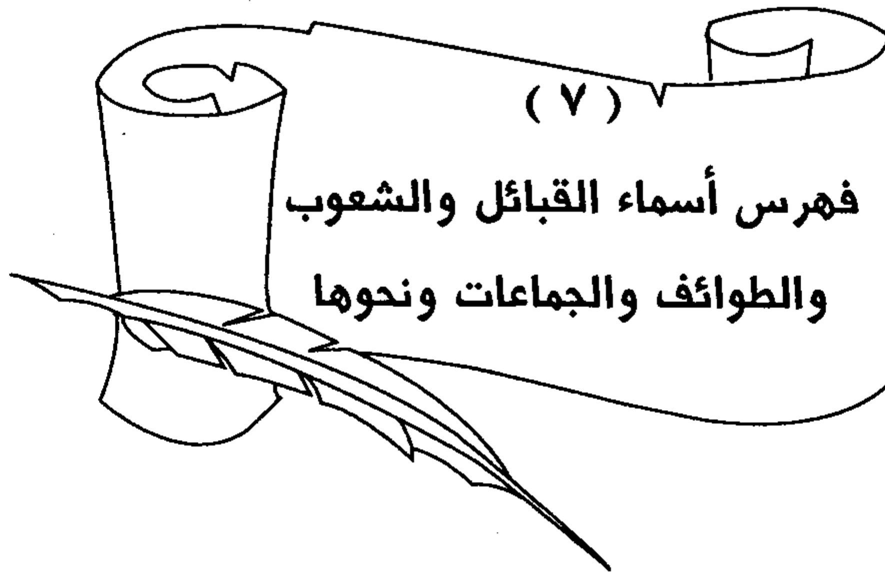
حَرْفُ الوَاو

حَرْفُ اليَاء

* * *

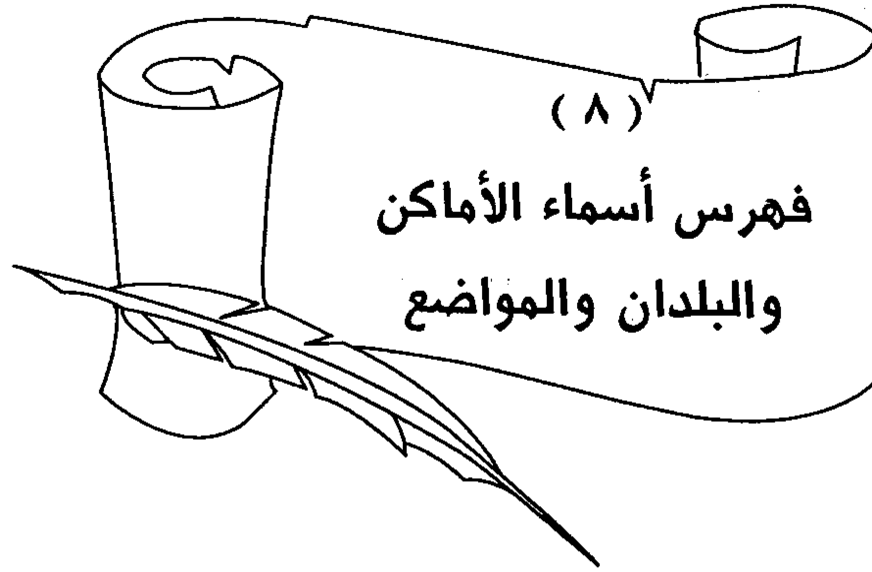

(٦)
فهرس الأعلام

* * *



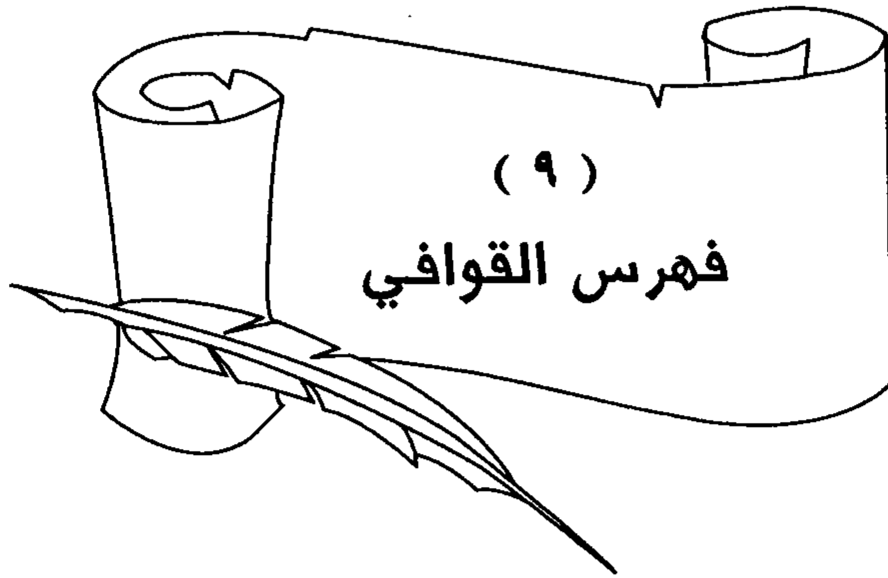
الاسم	الصفحة

* * *



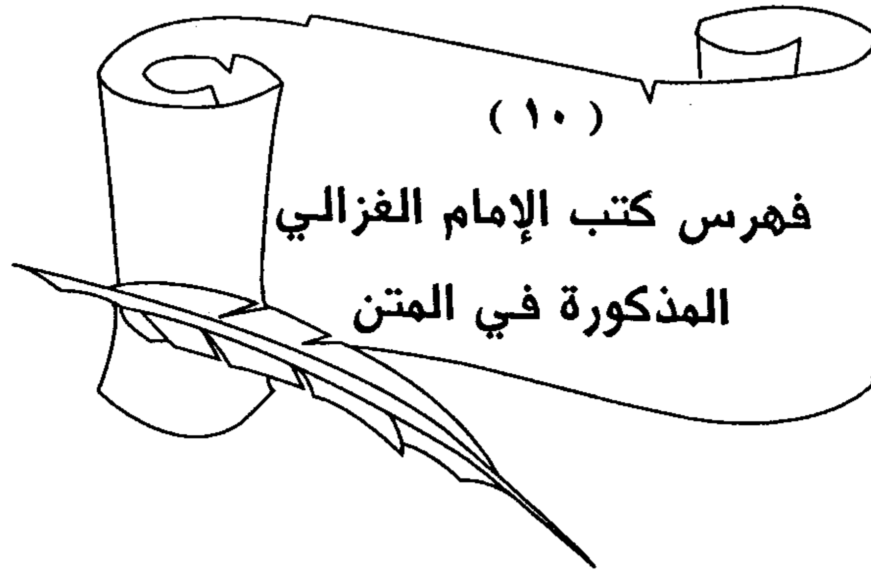
(٨)
فهرس أسماء الأماكن والبلدان والمواضع

* * *

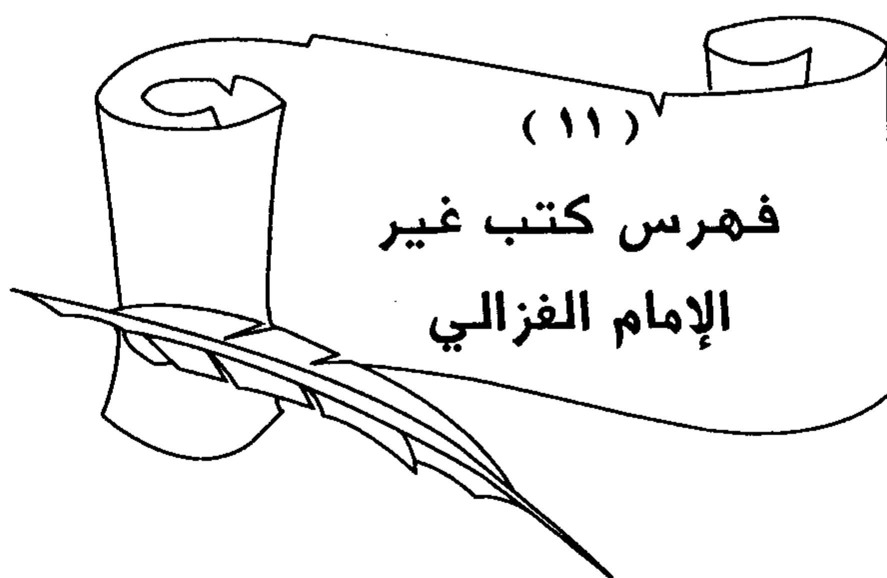


بداية البيت	القافية	الصفحة
ولا عيب فيهم...	الكتائب	٢٤٥
ولو شاء أجني الجذع...	سبب	٢١٨
ولست بمستبق...	المهذب	١٠٩
ألم تر أن اللّه...	الرطب	٢١٨
إذا نطقت...	غريب	١٣٤
أحسنت ظنك...	القدر	١٦٢
وسالمتك الليالي...	القدر	١٦٢
وأنت إذا أرسلت...	المناظر	٢٣٨
وبلدة ليس بها..	العيس	٢٤٥
قد استوى بشر...	مهراق	٢٧٧
ولا عار إن زالت...	التجمل	٩٩
فمن منح الجهال...	ظلم	١١٥

* * *


(١٠)
فهرس كتب الإمام الغزالي
المذكورة في المتن

* * *


(١١)
فهرس كتب غير
الإمام الغزالي

* * *



- القرآن الكريم.

حَرْفُ الألِف

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) الشهير بمرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) المكتبة الثقافية، بيروت (١٩٧٣م).

- الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٤) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (ت٣٥٤هـ) ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ) قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- أحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) جمعه الإمام الكبير الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ)، عرف بالكتاب وكتب مقدمته محمد زاهد بن الحسن الكوثري، وكتب هوامشه الشيخ عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا - دار الفكر - دار الكتب العلمية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٤م).

- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٩١م).

- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار لموفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) تحقيق/ د. علي نويهض دار الفكر بيروت (١٩٧١م).

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) تحقيق / علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة دون تاريخ.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ) دار الفكر، بيروت (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ فريال علوان، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٩٩٢م).

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

- أصول التفسير وقواعده للشيخ عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

– الأعلام للزركلي دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة السابعة (١٩٨٦م).

– إلجام العوام عن علم الكلام، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية، طبع (١٩٨٦م).

– الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ملحق بالجزء الخامس من كتابه الإحياء، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٩١م).

– أيها الولد، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) حققها وعلق عليها وقدمها ببحث عن آداب المتعلم والعالم علي محيي الدين علي القرة داغي، طبعة دار الاعتصام (١٩٨١م).

حَرْفُ ٱلبَاء

– بداية الهداية، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٨م).

– البرهان في علوم القرآن، لمحمد الزركشي (ت٧٤٩م) تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٤٠٠هـ – ١٩٩٠م).

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

حَرْفُ ٱلتَّاء

– تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

– التبر المسبوك في نصيحة الملوك، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق / د. محمد أحمد، دمج المركز الإسلامي للبحوث، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

– تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين (ت٧٨٤هـ) تحقيق / عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، مكتبة الحرم المكي بمكة المعظمة (١٣٧٤م).

– ترتيب المدارك، للقاضي عياض، تحقيق / مجموعة من الأساتذة، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، مطبعة فضالة المحمدية.

– تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدوسي (ت١٠٣٨هـ) ملحق بالجزء الخامس من كتاب الإحياء، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٩٩١م).

– تفسير الإمام مالك جمع وتحقيق وتقديم، المنشور خطأً: الإمام مالك مفسرًا لحميد لحمر، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

– تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دون تاريخ.

– تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة للدكتور محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة – دار الحرمين للطباعة (١٩٩٢م).

– تفسير الفخر الرازي، للإمام محمد الرازي (ت٦٠٤هـ) دار الفكر، دون تاريخ.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) كتب هوامشه وضبطه حسين ابن إبراهيم زهران، دار الفكر (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) تحقيق / مجموعة من الأساتذة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- تهذيب الأسماء واللغات لمحيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) إدارة الطباعة، المنيرة، مصر دون تاريخ.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى (١٣٢٥هـ).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) دار الفكر: (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الجامع الصحيح للترمذي: سنن الترمذي.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق/ محمد السقا، دار الفكر، بدون تاريخ.
- الجامع الصغير، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) دار الفكر، بيروت.

حَرْفُ ٱلحَاء

- الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).
- جواهر القرآن ودرره، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

حَرْفُ ٱلخَاء

خلاصة التصانيف في التصوف، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٦م).

حَرْفُ ٱلدَّال

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت٩١١هـ) دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) دار الكتب العلمية، بيروت طبعة (١٩٨٦م).
- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق / د. محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.
- دقائق التفسر لابن تيمية جمع وتحقيق وتقديم / د. الجليند، الطبعة الأولى (١٩٧٨م) القاهرة.

حَرْفُ ٱلرَّاء

- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تقديم وتحقيق وتعليق/ د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

- الرسالة اللدنية، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

- الرسالة الوعظية، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) دار الفكر بيروت (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

- روضة الطالبين وعمدة السالكين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٢) دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٦م).

حَرْفُ ٱلسِّين

- سر العالمين وكشف ما في الدارين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن رسائل الإمام الغزالي رقم (٦) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

- سنن الترمذي: الجامع الصحيح (ت٢٧٩هـ) حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت- الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ/١٩٩٣م).

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٣٩٨هـ).

- سنن أبي داود (ت٢٧٥هـ) تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دون تاريخ.

- سنن ابن ماجه (٢٠٧ - ٢٧٥هـ) حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، دار الجيل، بيروت (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، دار الحديث، القاهرة (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٦٧٣هـ) أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

حَرْفُ ٱلشِّين

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلح عبد الحي بن عماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) دار الفكر (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

- شعب الإيمان: للبيهقي: تحقيق / أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق د. محمد الكبيسي، مطبعة الرشاد، بغداد (١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

حَرْفُ ٱلصَّاد

- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد البخاري دار الفكر، بيروت.

- صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني = الفتح.

- صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة (ت٣١١هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له د. محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي.

- صفة الصفوة، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) تحقيق/ محمود فاخوري، خرج أحاديثه د. محمد رواس قلعة، دار المعرفة، بيروت.

- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت٢٦١هـ) دار الفكر، بيروت.

- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

حَرْفُ ٱلطَّاء

- طبقات الحفاظ، للسيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق/ علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

- طبقات ابن الخياط: كتاب الطبقات.

- طبقات الشافعية الكبرى، لتقي الدين السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت الطبعة الثانية.

- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٠هـ/١٩٦٠م).

- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت٩٤٥هـ) راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- طبقات المفسرين، للسيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

حَرْفُ ٱلغَيْن

- غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) عنى بنشره م. بجستراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- الغزالي: للدكتور أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

حَرْفُ ٱلفَاء

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

– فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.

– الفرق بن الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، لعبد القاهر البغدادي منشوارت دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

– فضائح الباطنية أو كتاب المستظهري، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) حققه وقدم له. د. عبد الرحمن بدوي، الدار القومية، طبعة (١٩٦٤م).

– فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

حَرْفُ ٱلقَاف

– القسطاس المستقيم، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٣) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

– قواعد العقائد في التوحيد، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٢) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

حَرْفُ ٱلكَاف

– كتاب الأربعين في أصول الدين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) علق عليه/ محمد محمد جابر، كتب المقدمة وترجم للمؤلف ونوه بالكتاب محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي، القاهرة، طبعة (١٩٦٣م).

– كتاب المستظهري، للإمام أبي حامد الغزالي: فضائح الباطنية.

– كتاب الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفد القسنطيني تحقيق/ عادل نويهض دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

– الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) دار الرشاد الحديثة – دار الفكر، بيروت.

– كيمياء السعادة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٥) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٨م).

– كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين البرهاني فوزي (ت٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

حَرْفُ ٱللَّام

– اللامعقول وفلسفة الغزالي لمحيي الدين غزوز، الدار العربية (١٩٨٨م).

– لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر، بيروت، ودار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

– اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، جمعه محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه / د. عبد الستار أبو غدة، المطبعة العصرية بالكويت (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

حَرْفُ ٱلْمِيمِ

- مدخل السلوك إلى منازل الملوك، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق / محمد رياض المالح، مطبعة العلم، دمشق، الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق / علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

- محك النظر، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق وضبط وتعليق / د. رفيق العجم، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) تحقيق / مجموعة من العلماء ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ/١٩٨٢م).

- المستصفى من علم الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دار الفكر، بيروت.

- مشكاة الأنوار للإمام أبي حامد الغزالي، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية بيروت (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

- المضنون به على غير أهله، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام أبي حامد الغزالي رقم (٤) دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة (١٩٨٦م).

- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة (١٩٨٠م).

- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٥م).

- المعارف العقلية للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) حققه وقدم له عبد الكريم العثمان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى (١٣٨٣هـ/١٩١٥م).

- معاني القرآن، لأبي زكرياء الفراء (ت٢٠٧هـ) تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- معجم البلدان، لشهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سلمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره د. أ. ي رنسك. مكتبة بريد في مدينة ليدن (١٩٣٦م).

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- معراج السالكين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي رقم (١) دار الكتب العلمية، بيروت طبعة (١٩٨٦م).

- معيار العلم في المنطق، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) طبعة دار الأندلس (١٩٨٣م).

- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ) بذيل كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دار الفكر، الطبعة الثالثة (١٤١١هـ/١٩٩١م).

- مقاربة بين الغزالي وابن تيمية، للدكتور محمد رشاد سالم، دار القلم، الدار السلفية (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

- مقاصد الفلاسفة أو مقدمة تهافت الفلاسفة، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق / سليمان دنيا، دار المعرفة، طبعة (١٩٦١م).

- مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير، لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث بمصر الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق / محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، طبعة (١٩٨٥م).

- المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام أبي حامد العزالي (ت٥٠٥هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب المختصر من مكاشفة القلوب الأكبر المنسوب للإمام الغزالي، المطبعة العامرة الشرقية، الطبعة الأولى (١٣٢٣م).

- الملل والنحل، للإمام أبي حامد الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم (ت٥٤٨هـ) دار الفكر (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

- المنخول من تعليقات الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق / محمد هيتو، دار الفكر دمشق (١٩٨٠م).

- المنقذ من الضلال، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق / د. عبد الحليم محمود مع تقديم في قضية التصوف، دار المعرفة، طبعة (١٩٨٨م).

- منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق / د. محمد حلاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- موارد الظمآن لابن حبان.

- موطأ الإمام مالك (ت١٧٩هـ) برواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي، علق عليه في دراسة مقارنة مع فقه الإمام أحمد بن حنبل: د. سعيد اللحام، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- مؤلفات الغزالي، للدكتور عبد الرحمن بدوي، مطابع دار القلم، بيروت، وكالات المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية (١٩٧٧م).

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣هـ) تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).

- ميزان العمل، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) حققه وقدم له د. سلمان دنيا، سلسلة ذخائر العرب (٣٨) دار المعارف بمصر (١٩٦٥م).

حَرْفُ النُّون

- نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، للدكتور الشاهد البوشيخي، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- نصيحة من الإمام الغزالي، للإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ/١٩٨٥).

حَرْفُ الوَاو

- الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) وقد تضمن أيضًا بيان مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة والمزني والأقوال والأجوبة البعيدة لأصحاب الإمام الشافعي بالرمز إلى كل منها باصطلاح مخصوص، دار المعارف، بيروت (١٩٧٩م).

- الوسيط في المذهب، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق / علي محيي الدين على القرة داغي، دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر، الطبعة الأولى.

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان (ت٦٧١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

الرسائل الجامعية:

- تفسير سورة المائدة من كتاب: « أحكام القرآن » لابن الفرس، تحقيق وتقديم/ د. محمد بن عبد الوهاب أبياط، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف د. الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- تفسير سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) جمع ودراسة: د. أحمد العمراني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف د. الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤١١هـ/١٩٩١م).

- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) من أول سورة الجمعة إلى آخر القرآن الكريم تقديم وتحقيق/ د. فيصل مصطفى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف/ د .الشاهد البوشيخي جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ١٩٩٢م).

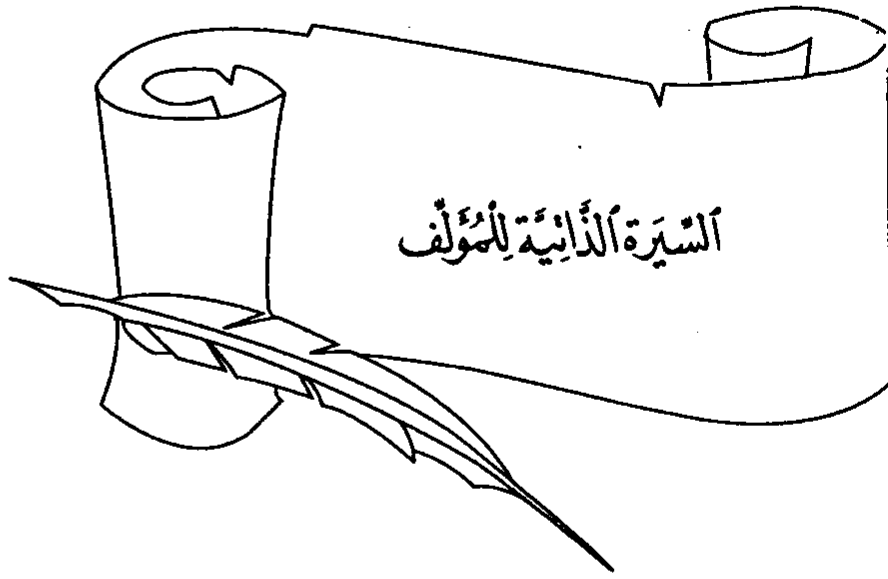
- الطبرسي ومنهجه في التفسير من خلال « مجمع البيان لعلوم القرآن » دكتورة/ زيان جميلة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف/ د. الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

المجلات:

- أبو حامد الغزالي: دراسة في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٩) (١٩٨٨م).

- حلقة وصل بين الشرق والغرب (أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون) السفر الثاني عشر من مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).

- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد خاص بالدراسات الإسلامية رقم (٧) (١٤١٢هـ/١٩٩١م).



الاسم: محمد الريحاني.

تاريخ الميلاد: ١٧ مارس (١٩٦٥م).

الشهادات العلمية:

- شهادة البكالوريا سنة (١٩٨٧م) بميزة مستحسن.
- شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية سنة (١٩٩٢م) من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب بميزة مستحسن.
- شهادة استكمال الدروس (١٩٩٣م) من نفس الجامعة. وحدة القرآن والحديث.
- شهادة دكتوراه السلك الثالث من نفس الجامعة (١٩٩٧م) بميزة حسن جدًا. وحدة القرآن والحديث.
- باحث بوحدة فقه الأموال في المذهب المالكي من خلال تراث الغرب الإسلامي في قسم الدكتوراه.
- حاصل على تزكية المجلس العلمي بمدينة فاس في الوعظ والخطابة.

البحوث المنجزة :

- تحقيق مخطوط لمحمد شقرون المغراوي بعنوان: « الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين ».
- تفسيرالإمام الغزالي من خلال كتابه إحياء علوم الدين.
- تفسير الإمام الغزالي « جمع وتوثيق وتقديم » وهو موضوع هذا الكتاب
- مقبل على مناقشة رسالة دكتوراه في موضوع الفقه المالي عند القاضي عياض « جمع وتوثيق ودراسة ».

* * *

رقم الإيداع

١٤٧٠٩ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي I.S.B.N

978-977-342-929-4



(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « تفسير الإمام الغزالي » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاءٍ بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيًا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملاً : .... **الوظيفـة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... الدولة : ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب: ....

هاتف : ▢▢▢▢▢▢▢ / ▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢▢ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

▢ أثناء زيارة المكتبة ▢ ترشيح من صديق ▢ مقرر ▢ إعلان ▢ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة : .... العنوان : ....

- ما رأيك في الكتاب ؟

▢ ممتاز ▢ جيد ▢ عادي (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

▢ عادي ▢ جيد ▢ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ▢ رخيص ▢ معقول ▢ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة ....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة ... فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسة منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨)

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ طباعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،